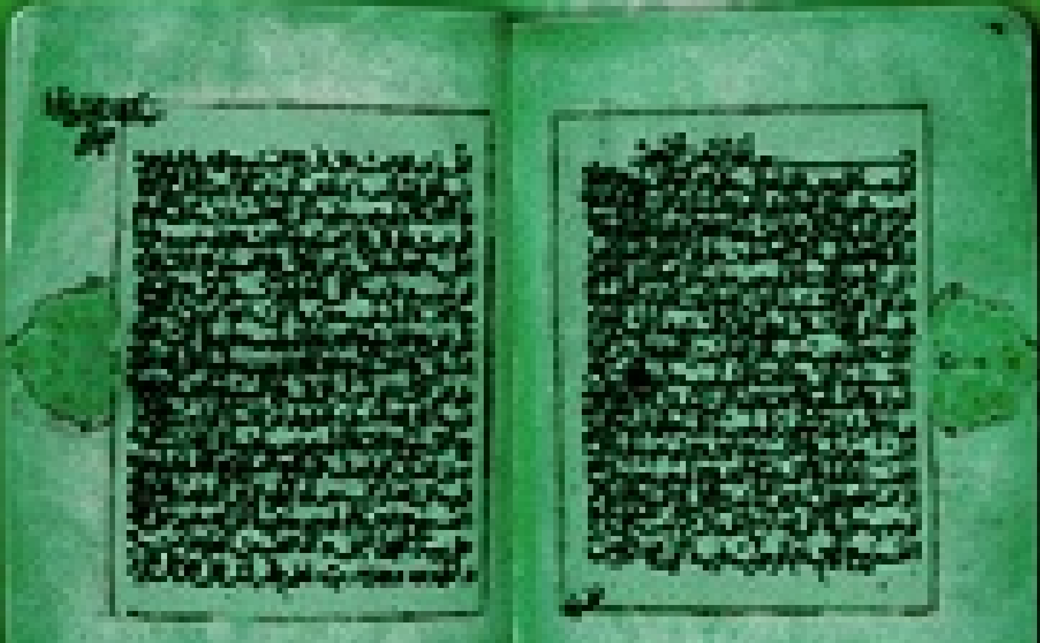
ميقات الحج

أبو سعيد الخدري

٦



بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

كاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

میقات الحج المجلد۶

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج[پیایند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزيارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -

فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست‌نویسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می‌شود

یادداشت : المدیرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئیس‌التحریر: علی قاضی‌عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردبیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص:۱

الحجّ فی احادیث الامام الخمینی- قدس سره-

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

العدد السادس

الحجّ فی أحادیث الإمام الخمینی- قدس سره-

من النقـاط المهمّـِة التی ینبغی علی الحجّاج الکرام االالتفات إلیها أن مکّـهٔ المکرمـهٔ والمشاهـد المشـرّفهٔ هی أساس الأحـداث الکبیرهٔ لنهضهٔ الأنبیاء والإسـلام ورسالهٔ النبی الأکرمصـلی الله علیه و آله، وهی مکان نزل فیه الأنبیاء وجبریل الأمین، هذا المکان الذی یذکّرنا بالمصائب والصـعوبات، التی تحمَّلها النبی الأکرمصـلی الله علیه و آله فی سبیل الإسـلام والبشـریهٔ لسـنین طویلـهٔ، وأن التواجد فی هذه المشاهد المشرفهٔ والأماکن المقدسهٔ لهو من الأهمیهٔ بمکان. وإذا ما أخذنا بعین الاعتبار الشروط الصعبهٔ لبعثهٔ النبی عرفنا أکثر مسؤولیهٔ الحفاظ علی إنجازات هـذه النهضـهٔ وهـذه الرسالهٔ الإلهیهٔ، وکم عانی النبی الأکرمصـلی الله علیه و آله وأئمهٔ الهدی علیهم السـلام من الغربـهٔ لأجـل دین الحق وإزهاق الباطل. لقـد اسـتقاموا ووقفوا ولم یهابوا أو یجزعوا علی کثرهٔ التهم والإهانات التی کالتها ألسـنهٔ امثال أبی لهب وأبی جهل وأبی سفیان. وفی نفس الوقت استمروا وأکملوا طریقهم مع وجود الحصار

ص: ۶

الاقتصادی فی شعب أبی طالب، ولم یستسلموا ولم یهنوا ومن بعدها تحمّلوا الهجرة والغربة ومراراتها وآلامها فی سبیل دعوة الحق، وتبلیغ رسالة اللَّه، وتواجدوا فی الحروب المتتالیة وغیر المتکافئة. ورغم المؤامرات ومع کثرة المنافقین، قاموا بهدایة وإرشاد الناس بهمّة عالیة وصلبة حیث شهدتصخور وحصی مکّة والمدینة وصحاریها وجبالها وأزقتها وأسواقها آثار تبلیغ رسالتهم.

وإذا ما رفعنا الستار وکشفنا النقاب عن سرّ ورمز تحقق، «فاستقم کما أمرت». لعرف وعلم زوّار بیت اللَّه الحرام کم سعی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله لأجل هدایتنا وحصول المسلمین علی الجنّة، وکم أن مسؤولیة أتباعه ثقیلة، ویقیناً أن حجم الظلم والعذاب والصعوبات التی مرت علی أئمتنا کانت أکبر وأکثر بمراتب من مشاکلنا وآلامنا نحن، مع أن الشعب فی إیران قدم الشهداء وخاصة إبان الحرب الفروضة وأثناء أحداث الثورة المبارکة، وعانی الکثیر من الصعوبات والآلام، وتحمل الظلم الکبیر وقدم الشباب الأعزاء فی سبیل اللَّه.

*** إن الکعبة المعظّمة هی المرکز الأوحد لتحطیم الأصنام، لقد رفع نداء التوحید من الکعبة إبراهیم الخلیل فی أول الزمان، وسیرفعه حبیب اللَّه ولده المهدی العزیز الموعود- روحی فداه- فی آخر الزمان، وسیبقی مرتفعاً. قال اللَّه تعالی لخلیله إبراهیم:

«وأذّن فی الناس بالحج یأتوک رجالًا وعلی کل ضامر یأتین من کل فج عمیق».

الحج فی أحادیث الامام الخامنئی- مد ظله العالی-

ص: ۷

الحج فی أحادیث الإمام الخامنئی- مد ظله العالی-

الحجّ .. هذا الینبوع الفیاض بالتقوی والمعنویّة والخیر والبرکة، یتدفّق بعطائه کلّ عام والی الأبد علی العالم الإسلامی، وعلی کلّ مسلم موفّق لأداء هذهِ الفریضة المبارکة، فینال کلّ فرد وکلّ جماعة من عطائه بقدر الوسع والقابلیّة.

عطاء هذا الینبوع الفیّاض لایقتصر علی حجّاج بیت اللَّه الحرام، إذ لو عرفت هذه الفریضة العظیمة وجری العمل بها بشکلصحیح، فإن کل الافراد والشعوب فی جمیع أرجاء العالم سینعمون ببرکاتها.

الافراد والجماعات البشریة یتعرضون للکوارث والمصائب والآلام من جانبین. الاول: من داخل أنفسهم، ومنشأ ذلک الضعفالبشری والاهواء الجامحة والشکوک وجَدب الایمان والخصال المخرّبة. والثانی: الاعداء الخارجیون. فهم النکدُ لحیاة الافراد والجماعات بسبب طغیانهم وأطماعهم وعدوانهم ووحشیتهم، وهم البلاء الداهی بسبب حروبهم وظلمهم وتجبّرهم وتعنّتهم.

ص: ۸

العالم الاسلامی بأفراده وشعوبه کان دائماً عرضة لهذین التهدیدین، وهو الیوم مهدّد أکثر من ذیقبل. فمن جانب نری إشاعة الفساد فی البلدان الاسلامیة وفق خطة مدروسة وضعها الأعداء، ونری فرض الثقافة الغربیة- بمساعدة بعض الانظمة العمیلة- علی مظاهر الحیاة بدءاً من السلوک الفردی وحتی تخطیط المدن والحیاة العامّة والصحافة وغیرها، هذا من جانب، ومن جانب آخر نشاهد الضغوط العسکریة والسیاسیة والاقتصادیة علی بعض الشعوب المسلمة، والمذابح الوحشیة فی لبنان وفلسطین والبوسنة وکشمیر وافغانستان ..

وکلها شواهد بارزة علی هذین التهدیدین فی أجوائنا الاسلامیة.

الحجّ، هو تلک الهدیة الإلهیة، والرحمة التی لا ینضب معینها، به یستطیع المسلمون أن یتخلصوا الی الأبد من نکد العیش ومرارته، ومن مرض الانحراف ولوثته، وبمساعدة هذا الذخر الأبدی یستطیعون تحصین أنفسهم فی کل زمان من هاتین الکارثتین.

ما فی الحج من عناصر التقوی والذکر وحضور القلب والخشوع والتوجّه الی اللّه سبحانه وتعالی هی کفیلة بمواجهة التهدید الاول، وما فیه من عناصر التجمّع والتوحّد والإحساس بعظمة الأمة الإسلامیة الکبری وقدرتها علی ساحة الحجّ هی کفیلة بمقابلة التهدید الثانی.

کلما قوی هذان الجانبان فی الحج ازدادت حصانة ومقاومة الافراد والمجتمعات الاسلامیة إزاء هذین التهدیدین، ومتی ما ضعف او زال أحدهما أو کلاهما فإن الامة الاسلامیة بافرادها وشعوبها وبلدانها تصبح أکثر عرضة للکوارث والمحن.

فی نصّ القرآن الکریم، وفی نصوص الشریعة الاسلامیة المقدّسة تصریح بکلا الجانبین بحیث لا یبقی مجال للشک لکل ذی عین وقلب وإنصاف. مافرضه

ص: ٩

اللّه سبحانه فی قوله: «فاذكروا اللّه كذكركُم آباءَكم أو أشدّ ذكرا» (١)

جاء الی جانبه فريضة أخرى حيث يقول سبحانه: «وأذانٌ من اللَّهِ ورسولِهِ الی النـاسِ يومَ الحجّ الأكبر أنَّ اللَّهَ بریءٌ من المشركين ورسولُه» (٢) واتساقا مع قول الحكيم جلّت قدرته: «لن ينالَ اللَّهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن ينالُهُ التقوى منكم كذلك سخَّرها لكم لتُكبّروا اللّه على ما هداكم وبشّر المحسنين» (٣)

، نزل قول اللطيف سبحانه: «ليشهدوا منافع لهم» (۴).

كل توصية واعلام وسعى لتضعيف واحد من هذين الجانبين أو إبعاده إنّما هو مجابهة مع آيات القرآن الكريم وتعاليمه.

ليس ثمة خسارة للأمة الإسلامية أفدح من أن تتعرّض تعاليم الإسلام وتوجيهاته، برصيدها الحياتی للمسلمين وجميع البشرية، لغفلة وجهل الزعماء الدينيين والسياسيين، وأن يُحال بينها وبين أن يتزوّد من عطائها الناسُ جميعاً.

الحج جزء من هذا الرصيد الحياتی الدائم، وعلى كل المسلمين أن يتعمّقوا فی معرفته ويزدادوا انتهالًا من زاده.

الهوامش:

١- ١ البقرة: ٢٠٠.

٢- ٢ التوبة: ٣

٣- ٣ الحج: ٣٧.

۴- ۴ الحج: ٢٨.

ص: ۱۰

أضواء حول الحجَ

عبد اللَّه جوادى آملى

إن أوّلَ بيتٍ وُضِعَ للنـاسِ لَلَّذى ببكـةَ مباركـاً وهُـدًى للعـالمينَ فيه آيـاتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيم ومَن دخلَهُ كان آمناً وللَّه على الناسِ حِجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلًا ومَن كفرَ فإنّ اللَّهَ غنىٌ عن العالمين» (۱).

إن القرآن الكريم وبعـد ردّه على الشـبهة الأُولى لأهل الكتاب حول الأطعمـة، ينتقل إلى الردِّ على اعتراضـهم الثانى ويجيبهم بقوله: لا تتوهموا بأن بيت المقدس هو «المحور» بل: «إن أُول بيت وضع للناس للذى ببكة ... الآية».

أهمية أحكام الحجِّ:

للحـج أهمية خاصة، وفى هذا الخصوص يمكن الوقوف عليصـفة هذه الأهمية من خلال رواية زرارة التى يسأل فيها من الإمام الصادق عليه السلام عن الحجِّ بقوله: «يا أبا عبد اللَّه جعلنى اللَّه فداك أسألك فى الحجِّ منذ أربعين عاماً فتفتينى؟!» فقال عليه السلام:

۱- ۱ آل عمران: ۹۶- ۹۷.

ص: ۱۱

«يا زرارة بيت يحج قبل آدم عليه السلام بألفى عام تريد أن تفنى مسائله فى أربعين عاماً» (۱).

حرم الكعبة:

يستفاد من الآيـة الكريمـة أن الكعبـةَ بيتٌ بُنى للناس «وُضِعَ للناس» وعليه فإن حرمته بسعة استيعاب جميع الناس. إن حرم الكعبة ليس كحرم مسجدٍ تحدد أرضه من قبل الواقف.

ومن جانب آخر فإن اللَّه- سبحانه وتعالى- أعطى إبراهيم عليه السلام أمراً بالأذان العام:

«وَأذِّن فى النّاس بالحجِّ يأتوكَ رجالًا وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كلّ فجٍّ عميقٍ» (۲).

وعندما يكون الإعلان عاماً، فمن البديهى أن يكون البيت موضوعاً للناس كافة. ومن الممكن قهراً أن يبلغ حرم الكعبة عدّة كيلومترات أيضاً، ولو تحققت بلطف اللَّه حكومـة إسـلامية على تلك الـديار، يحقّ لها أن تهـدم جميع بيوتات مكة وتوسّع حرم البيت، ويعد هذا العمل حلالًا وشرعياً ولا إشكال فيه، وعندها لا تواجه الطائف والزائر أى مشكلة؛ لأن اللَّه- عزّ وجلّ- قال:

بيت وضع للناس كافة «سواءً العاكفُ فيه والبادِ» (۳)

، وعليه فإن الحرم سيتوسع قهراً.

لا بد أيضاً من الالتفات إلى هذه الملاحظة: وهى أن حرم الكعبة وسدانتها، لا يخضـعان للخصوصـيات الإقليمية والتقسـيمات الجغرافية لقوله تعالى: «إنْ أولياؤه إلّاالمتّقونَ» (۴)

؛ أى إن الكعبـة ليست ملكـاً لأحـد، ويتحمـل مسؤوليتهـا المتّقون فى جميع أرجـاء المعمورة، وإن أولياء الكعبـة إلّا المتقون فى أرجاء الوجود وليس خصوص سكنة الحجاز.

والكعبة بيت عتيق أى مُعتقٌ وحرّ ولا يخضع لقانون من القوانين الدولية، وليس كالجبال والمعادن والنفط التى تعود للحجازيين بسبب

۱- ۱ من لا يحضره الفقيه، ج ۲،ص ۳۰۶.

۲- ۲ الحج: ۲۷.

۳- ۳ الحج: ۲۵.

۴- ۴ الأنفال: ۳۴.

ص: ۱۲

وجودها فی أرضهم، کلا فالکعبة لیست کذلک، بل هو بیت وضع للناس کافة ولن یخضع أبداً للقوانین الخاصة بالحجاز.

القاء إحدی الشبهات والردّ علیها

یقول القرآن الکریم فی سورة یونس:

«وأَوحینا إلی موسی وأخیه أن تبوَّءَا لِقومکُما بِمِصرَ بیوتاً واجعلوا بیوتکم قِبلةً وأقیمُوا الصلاةَ وَبشِّر المؤمنینَ» (۱).

بعد أحداث هلاک فرعون وجنوده، عاد بنو إسرائیل المحرومون إلی مصر بتوجیه من النبی موسی علیه السلام.

ولدی عودة هؤلاء المبعدین إلی مصر، حیث إن مراکزهم العبادیة، تم تخریبها علی أیدی الفراعنة، ولم یمتلکوا القدرة والسلطة لإعادة بنائها بعد، فإن اللَّه- سبحانه وتعالی- أمرهم بجعل بیوتهم قبلة. هنا تطرح هذه الشبهة ومفادها:

«کیف أصبحت منازلهم قبلة لصلاتهم؟» وفی الإجابة عن هذه الشبهة لابدّ من القول: إن المراد من القبلة، مصلّی ومحل الصلاة ولیس «جهة» الصلاة؛ بمعنی أنه لوصلی بنو إسرائیل خارج بیوتهم فیجب أن یؤدواصلاتهم باتجاه منازلهم حتماً! وبناءً علی ذلک فلا منافاة بین هذا المطلب والآیة التی هی محل بحثنا، حیث تقول بأن الکعبة هی أول قبلة وضعت للناس.

وإن احتمل بعض المفسّرین أن یکون معنی الآیة بهذا النحو.

«واجعلوا بیوتکم متقابلات بعضها مع بعض»؛ «لیعلم بعضکم بأحوال بعض ولضمان أمنکم». ولکن فی کلّ الأحوال، لا یمکن أن یکون المراد من الآیة أن یتوجه کلّ من أراد الصلاة منهم خارج بیته باتجاه منزله لیکون قبلةصلاته؛ لأنها مراکزهم العبادیة، ومساجدهم ومعابدهم قبل التخریب، کانت باتجاه الکعبة، ولکن بعد التخریب لجأُوا إلی بیوتهم وأخذوا

۱- ۱ یونس: ۸۷.

ص: ۱۳

يمارسون عباداتهم فيها؛ متجهين فيصلاتهم باتجاه الكعبة، كما كانت مساجدهم متجهةً باتجاه الكعبة قبل التخريب، إذن فلا وجود لأىمنافاة أو تعارض فى البيت.

بعض الأحداث التى مرت على الكعبة فى التاريخ

لقد طوت الكعبة وراءها ماضياً طويلًا وأحداثاً كثيرة، ولعل إحدى الحوادث المرّة التى واجهت هذا البيت الشريف- الذى كان معبد الأنبياء وقبلة الأولياء- هى فى جعله معبداً للأصنام لفترة طويلة من الزمن؛ أى إن الوثنيين وعبدة الأصنام من أهل الحجاز، كانوا يضعون الأصنام فوق الكعبة وأحياناً داخلها، ويفتخرون بمفاتيح وسدانة هذا البيت. لقد طهّر القرآن الكريم الكعبةَ من جميع النجاسات. وذكّر جميع الأنبياء بقول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ «أن طهِّرا بيتىَ للطّائفينَ» (۱)

. فكان الجميع ملزمين بتطهير الكعبة من نجاسة الأصنام، ليكون قبلة ومحل طوافٍ للمصلين وزوّار اللَّه تعالى.

وفى زمن الجاهلية، كانت سقاية الحاج وعمارة بيت اللَّه من مسؤولية عبدة الأصنام. وكان للكعبة مفتاحٌ وسدانة للبيت.

وهو منصب ينتقل من فرد إلى آخر بالتناوب. وأحد الذين نال سمة سدانة الكعبة، رجل يدعى أبو غشان وبينما كان ثملًا فى إحدى الليالى، باع هذا الرجل حقَّ سدانة الكعبة ببعير وقربةٍ من شراب.

لقد ألغى الإسلام جميع القيم الخرافية وقال: «أجعلتم سقايةَ الحاجّ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كمن آمن باللَّهِ واليومِ الآخرِ وجاهدَ فى سبيل اللَّه» (۲).

حيث إن هذه الآية نزلت عندما طرحت مسألة خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأراد بعضٌ أن يفضل نفسه عليه فخاطبهم اللَّه تعالى بهذه الآية الشريفة.

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ التوبة: ۱۹.

ص: ۱۴

توضيح حول كلمة «آية»

ليس المراد من كلمـة آية، المعجزة الخارقة للعادة كناقةصالح، وانشـقاق القمر ونحوها، بل إن الآية هى بمعنى العلامة التى تظهر الحقّ وتذكر بها.

وتسـتعمل كلمة آية بمعنى العلامة التكوينية أحياناً، وأخرى بمعنى العلامة التشـريعية مقابل العلامة التكوينية، وتسـتعمل أحياناً بالمعنى الأعم من التكوين والتشريع أيضاً.

ففى قوله تعالى: «أَتَبْنُونَ بكلّ ريعٍ آيةً تَعْبثونَ وتتّخذونَ مصانعَ لعلكم تخلُدُونَ» (۱)

استُعملت بمعنى العلامة والامارة.

وكذا قوله تعالى:

«ما نَنسخ من آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مِثلِها» (۲)

فقد جاءت بمعنى العلامة.

وبنـاءً على ذلـك، فيمـا يتعلق بقوله تعـالى: «فيه آيـات بينـات» لاـ يسـتلزم أن تكون جميع الآيـات المتعلقـة بالكعبـة؛ من نوع المعجزة وخلاف العادة والطبيعة. بل يمكن أن تطلق كلمة آية على كلّ شـيء يذكر الإنسان بالحق. كما قال بمعنى قوله تعالى «ومَن دخله كان آمناً»: بأنه جاء من باب التفصـيل بعـد الإجمال ومصـداقاً لآيات بينات، من دون وجود أمرٍ خارقٍ فى البيت، مع أنه مذكرٌ بالحق، وبهذا السبب فهو علامـة إلهية. وقال سـيدنا الأسـتاذ قدس سـره بتعبير ألطف مع أن جملة «مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً» جاءت بدلًا من آيات بينات. والظاهر من أسلوب الكلام البدلية، إلّاأنه استدلالٌ على البدل فى الحقيقة.

توضيح حول قوله تعالى «مقام إبراهيم عليه السلام»

إحدى آيات اللَّه البينات وعلاماته الواضـحة فى مكة، مقام إبراهيم، وتلك الصـخرة التى وضع سـيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام قدمه عليها وبقى أثره عليها وكانت سابقاً

۱- ۱ الشعراء: ۱۲۸- ۱۲۹.

۲- ۲ البقرة: ۱۰۶.

ص: ۱۵

موضوعـة على الأرض جوار الكعبة بشـكل حسن وبأمرٍ من رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم أو الأعمال التى قام به بعضـهم ووافق عليها رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم، فقـد تم وضـعه حيال الملتزم فيما بعـد؛ أى أن قسـماً من تلك الصـخرة دفنوه فى الأرض لغرض عدم نقله من مكان إلى آخر، ولا يزال موضع المقام واضحاً وبارزاً وقد وضعوا عليه قفصاً فلزياً.

وهذا هو ما أشار له فى الميزان:

«استفاض النّقـل على أنّه مـدفون بحيـال الملتزم»، والملتزم: موضعٌ مـا بين باب الكعبـة والحجر الأسود «الركن الشـرقى» حيث إن مقام إبراهيم يكون بإزائه.

توضيح حول «الحطيم»:

ينقـل المحـدث القمى- رضوان اللَّه عليه- فى السـفينة، بـاب «حطم» روايـةً مفادهـا، أن المراد ب «الحطيم» المسافـة بين الحجر الأسود وباب الكعبـة. وتأسـيساً على ذلك فإن الملتزم هو ذات هـذا الموضع. ومقام إبراهيم الذى هو مقام الحطيم سـيكون قهراً حيال الملتزم، والسَّر فى تسـمية هـذا المكان بـالحطيم، هو أن سـيدنا إبراهيم عليه السـلام اتخـذه اسـطبلًا لأغنامه، ويحطّم فيه التبن والاعلاف لتغـذيتها (وبهـذا المعنى يطلق على الأعلاـف حطيم وعلى التبن حطـام؛ لأـن المحطوم يعنى المهشّم والمكسّـر)، وكـان عليه أن يصـلى فى هـذا المكان ويتوجه بالعبادة والتضرع والمناجاة.

وعلى هـذا الأساس فإن الحطيم أفضل مواضع أطراف البيت، ولهـذا السـبب أيضاً ورد فى الروايات، لو أن الفرد أمضـى سـنين متمادية بالعبادة ليلًا ونهاراً فى ذلك المكان، ولم يكن على ولاية أهل البيت عليهم السلام فلن تقبل منه.

ونقل المحـدث القمى مثل هـذا المضـمون أيضاً فى السـفينة باب «الحجر»- أن الحطيم يطلق على المسافـة ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة.

ويقول: «إن مفهوم ومكان

ص: ۱۶

الحجر الأسود معلوم والحدّ الفاصل بين الحجر الأسود وباب الكعبة يسمى بالحطيم».

ويضيف بعد ذلك: أن جماعة كانوا يقولون حين استلامهم الحجر الأسود:

«إنى اقبّلك وأعلم أنك لا تضرّ ولا تنفع»؛ إلّاأنّ المنتمين لأهل البيت عليهم السلام كانوا يجيبونهم بالقول:

«واللَّه إنّه ليضرّ وينفع»؛ أى إن هذا الحجر ليس كسائر الأحجار، فإنه ينفع ويضر؛ لأنه يشهد لصالح بعض ويشتكى من غيرهم. ومع أن مسألة الشفاعة والشكوى غير موجودة فى هذه الجملة، إلّاأنّ النفع والضرر ناظران لهذا المعنى».

ويقول المرحوم الطريحى فى كتاب مجمع البحرين باب لغة «حطم»:

«تكرر ذكره فى الأحاديث»؛ ثم يتناول المعنى اللغوى لكلمة «حطيم» ويقول:

«هو ما بين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين الباب وسمى حطيماً لأن الناس يزدحمون فيه على الدعاء».

وأفضل الأماكن الموجودة فى أطراف البيت، هو هذا المكان. ثم يذكر فضيلة ومنزلة الأماكن الأُخرى بالتسلسل.

لقد ذكرنا فيما مضى نظرية أهل اللغة، وبعض من أهل الحديث حول كلمة «الحطيم»، إلّاأنّ سيدناالأستاذ قدس سره يقول:

وفسّرت بعض كتب اللغة والجغرافية كلمة الحطيم بهذا المعنى؛ مثلما ورد فى «التهذيب». وجمع بعضٌ المعنيين معاً؛ نظير ما ذكر فى «لسان العرب:ص ۱۹ «وهو ما بين الركن والباب، وقيل هو الحجر المخرج منهما» وقيل: إن المراد بالحطيم حجرُ إسماعيل.

ويذكر عدة وجوه فى تسميته بالحطيم منها:

۱- لأن البيت رُفع وترك فصار محطوماً.

۲- لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثياب فبقى حتى

ص: ١٧

حُطم بطول الزمان. والنتيجة: أن ما ذكره أهل اللغة، لا يمتلك سنداً روائياً.

ولو قالت إحدى الروايات، بأن المراد بالحطيم ما بين الركن والباب، والأُخرى نَفَت هذا المعنى، لثبت بأن المراد بالحطيم خصوص تلك الفاصلة، وإلّا فمن الممكن أن يكون المعنيانصحيحين.

الحجر الأسود:

كلّ ما كان خارجاً في الوجود، له أصلٌ في مخزن اللَّه وينزَّلَ منه، إلّاأن الحجر الأسود يمتلك خصيصة أُخرى يختص بها. بلحاظ أن اللَّه تبارك وتعالى يقول في بعض الموارد:

«أنزلنا»؛ مثل قوله تعالى: «وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ» (١)

. فإن تعبير «أنزلنا» هنا ليس بديلًا عن «خلقنا»، بل إنه ناظرٌ إلى المعنى الواقعي للإنزال. وطبعاً الإنزال بنحو التجلي لا بصورة التجافي. أو كقوله تعالى: «وأنزلَ لكم من الأنعام ثمانيةَ أزواجٍ» (٢)

؛ أي أنزل لكم ثمانية أزواج من كلّ نوع، سواء الداجن منها أو الوحشي «الغنم الداجن والوحشي، والبقر الداجن والوحشي، الخيل الداجنة والوحشية ...»، تجدر بالاشارة إلى أنه لا يراد بإنزال البقر والغنم أو الحديد نفس النوع من إنزال المطر والثلوج. بل بمعنى أن أصله ومنبعه عند اللَّه تعالى كما في قوله تعالى في سورة الحجر: «وإنِ من شيءٍ إلّاعندنا خزائنه ومَا ننزلُه إلّابقدرٍ معلوم» (٣)

أي إن كلّ ما موجود في عالم الطبيعة، أصله موجود في خزائن اللَّه تعالى وتنزل منها. وبهذا المعنى، فهو إنزال حقيقي، لا بمعنى الخلق والايجاد.

ومع كلّ ما قدّمناه، فإن الحجر الأسود يمتلك خصيصة أخرى غير هذا المفهوم العام؛ أي كما أنهُ لو تحول مكان ما إلى مسجد، فإنهَ سيشنع ويشتكي يوم القيامة، إلّاأن الأماكن الأُخرى لا تمتلك مثل هذه الخاصيّة؛ لأنه لا تقام فيها أعمال ومناسك خاصة، والمسجد

١- ١ الحديد: ٢٥.

٢- ٢ الزمر: ۶.

٣- ٣ الحجر: ٢١.

ص: ۱۸

فقط هو الـذی یشـتکی من البعض ویشـهد لصالـح البعض الآـخر؛ والحجر الأـسود أیضاً له هـذه الخاصـیّۀ، وإن کان قـد جاء فی نهج البلاغۀ: من أن الکعبۀ تضم أحجاراً لا نفع لها ولا ضرر (۱).

فـإن هــذه المقولــۀ تعنی أحجـار الکعبـۀ نفســها دون الحجر الأـسود؛ لأـن هـذا الحجر یمتلـک خصـائص أخری أیضـاً طبقـاً لمـاورد عن المحدث القمی قدس سره.

نظریۀ العلامۀ الطباطبائی قدس سره حول «أمن الحرم»

یقول العلامـۀ: المراد من الأـمن المـذکور فی الآیـۀ: «ومن دخله کان آمناً». هو الأمن التشـریعی دون التکوینی؛ لأنه حـدثت فی تاریخ الکعبۀ الکثیر من الحروب، والمذابح والاضطرابات. ولهذا السبب لا یمکن للآیۀ أن تدل علی الأمن التکوینی، ولئن کان هناک وجود للآمن، فإنما یکون مراعاۀ قوانین الشریعۀ من قبل الناس، لا بسبب الأمن التکوینی.

نقد هذه النظریۀ

لا یمکن قبول هذه النظریۀ. لأن القرآن یقول فی سورۀ قریش: «الذی أَطعمهم من جُوع وآمنهم من خوف» (۲)

، فهـذه الآیۀ ترید الأمن التکوینی، لأن أهل مکۀ کانوا یعانون من الجوع، ولکنهم نجواً بلطف اللَّه من الجوع والفقر الاقتصادی، مع أن منطقۀ مکۀ، لیست محلًا مناسباً للزراعۀ وتربیۀ الحیوانات وممارسۀ الصناعۀ، إلّا أنّهُ توجد فیها الکثیر من النعم.

ومن الممکن طبعاً أن یرفع اللَّه- سبحانهُ وتعالی- حکم هذه الآیۀ (أی الأمن) فی مقطعٍ زمنیٍ محدد، إلّاأن أصل الأمن یبقی تکوینیاً.

والنتیجـۀ التی نخلص لها. هی أن خلیل الرحمن علیه السـلام وإن کان قـد دعا بـدعائه، ومن ثم قال اللَّه سـبحانه وتعالی: «أولَم یروا أَنّا جعلنا حرماً آمناً» (۳)

، ولکن ذلک لا یعنی أن باستطاعۀ کلّ فرد أن یفعل ما یشاء فی ذلک المکان بشکل مطلق؛ لأنه تعالی

۱- ۱ نهج البلاغۀ، الخطبۀ ۱۹۲، اختبر الأولین ... باحجارٍ لا تضر ولا تنفع.

۲- ۲ قریش: ۴.

۳- ۳ العنکبوت: ۶۷.

ص: ۱۹

یقول فی مکـان آخر: «وَضـربَ اللَّهُ مثلًا قریـةً کانت آمنـهٔ مطمئنـةً یأتیها رِزقُها رَغَـداً من کلّ مکانٍ فکفرتْ بأنعُمِ اللَّهِ فأَذاقها اللَّهُ لباسَ الجُوعِ والخَوفِ بما کانوا یصنعونَ» (۱)

؛ أی مع أنهم کـانوا ینعمون بنعمـهٔ الأمن، إلّا أنّه وبسبب الکفران بتلک النعمـهٔ، تغیرت الأوضاع وزال الرزق الوفیر وحلّ محلّه الجوع. إذن فإن المسألـهٔ لیست بهـذا الشـکل، بأن اللَّه- سبحانه وتعالی- لو جعل بقعـةً ما من الأرض مأمناً، وکفر أهل تلک البقعةِ بأَنعُمِ اللَّه، فإنّه- تعالی- سیدیم نعمته علیهم، ویتلطف علیهم بدوام الأمن والأمان، کلا، حیث یقول جلّ وعلا فی موضع آخر:

«ولو أنّ أهلَ القری آمنوا واتقوا لفتَحنا علیهم برکاتٍ من السّماء والأرضِ ولکن کذّبوا فأخذناهم بما کانوا یکسِبُونَ» (۲)

؛- وأهل القری یشـمل هنا کل منطقهٔ بشـکل عام- إذن فکلتا الحالتین- نزول البرکات والبلاء- أمران تکوینیان إلّاأنّه من الممکن طبعاً أن یمهل اللَّه أحیاناً ومن ثم یعود فیؤاخذهم.

إن الأـمن لاـ یعنی عـدم وقوع المذابـح هنـاک، بـل إنّ اللَّه- تبارک وتعالی- جعل من ذلک المکان مأمناً، علی أساس لطفه الخاص، ولکن لو ضلّ الناس هناک وکفروا، فإنه- تعالی- سیؤاخذهم؛ لأنه قال: «ولا یحسبنّ الذین کفروا أنما نملی لهم خیر لأنفسهم» (۳)

، ومن الممکن طبعاً أن تتمکن حکومـهٔ ظالمهٔ فی غیر مکهٔ أن تحکم بالظلم لسـنین متمادیهٔ، ولکن الأمر لیس کذلک فی أرض مکهٔ. إذن نخلص إلی القول، بأن أرض مکهٔ لا یمکن أن تتجرد عن أی أمنٍ تکوینی، وأن یعود أمنها إلی خصوص التشریع فقط.

وبعبارهٔ أخری: أن أرض مکهٔ لیست کالجنّهٔ لا یقع فیها أی إثم: «لا لغوٌ فیها ولا تأثیمٌ» (۴)

، بل إن لها أحکام الدنیا، إلّاأنّ هذا المکان یختلف

۱- ۱ النحل: ۱۱۲.

۲- ۲ الأعراف: ۹۶.

۳- ۳ آل عمران: ۱۷۸.

۴- ۴ الطور: ۲۳.

ص: ۲۰

عن الأماكن الأخرى، والشاهد على ذلك قوله تعالى: «ومَن يُرد فيه بِإلحاد بظُلم نذقهُ من عذابٍ أليم» (۱)

؛ ولكن اللّه تعالى يؤاخذ الظالمين فى الأماكن الأخرى أيضاً: «ولا تحسبَنّ اللّهَ غافلًا عمّا يعملُ الظالمونَ» (۲)

. غير أن الأخذ الفورى والقضاء السريع على حياة الظالم، يختص بالبلد الأمين وأرض مكة فقط.

وتأسيساً على ذلك، فإن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بطلب الأمن والرزق لمكة وساكنيها، يجمع بين التكوين والتشريع. «وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهلَه منَ الثمرات مَن آمن منهم باللّه واليوم الآخِرِ قال ومَن كفرَ فَأُمَتِّعُهُ قليلًا ثم أضطرُّهُ إلى عذابِ النار وبئسَ المصيرُ» (۳)

؛ فبعد أن دعا عليه السلام ربّه بجعل هذا البلد آمناً، وأن يرزق أهله من الثمرات، خصّ دعاءَه بالمؤمنين من الناس، ولهذا قال عليه السلام مباشرةً ودون فصل: من آمن منهم باللّه واليوم الآخر، دون أهل الكفر. فاستجاب اللّه سبحانه وتعالى لدعائه، فجعلنا مكة أرضاً مباركةً لأهلها جميعاً، إلّاأن المؤمن له فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة، ويمكن طبعاً أن ينعم الكافرون بنعم مكة أياماً معدودة ببركة المؤمنين، ولكن عاقبة أمرهم ستكون سوء العذاب.

الشاهد الآخر قوله تعالى فى سورة الأنفال: «واذكروا إذ أَنتم قليلٌ مستضعَفونَ فى الأرض تَخافونَ أن يتخطّفكم الناسُ فَأويكَمْ وأيّدكُم بنصره ورَزَقَكُم من الطيبات لعلّكم تشكرونَ» (۴)

؛ حيث كان الاختطاف أمراً تكوينياً؛ ولذا فإن الأمن مقابل ذلك يعدّ أمراً تكوينياً أيضاً.

والشاهد الآخر: هو قول أهل مكة لرسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم: «وقالوا إنْ نَتَّبِعِ الهدى معكَ نُتَخطّف من أرضنا» (۵)

أى لو آمنّا بك فلن نشعر بالأمن.

د

۱- ۱ الحج: ۲۵.

۲- ۲ إبراهيم: ۴۲.

۳- ۳ البقرة: ۱۲۶.

۴- ۴ الأنفال: ۲۶.

۵- ۵ القصص: ۵۷.

ص: ۲۱

ويجيب القرآن الكريم على دعـائهم بقوله: «أَوَلَم نمكّن لهم حرمـاً آمنـاً يجبى إليه ثمراتُ كـلّ شـيءٍ رزقـاً من لَدُنّا ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلمونَ» (۱)

؛ أى إننا جعلنا لبلد مكّة ميزتين:

۱- وجود الأمن حيث إن جميع الناس يلتزمون بمراعاة حرمة الحرم.

۲- البركات الماديـة المتمثلة بتوفر جميع الأطعمـة والثمرات فيها. بينما ينعـدم توفرُ الاثنين معاً أو أحـدهما فى مكان آخر، ويندر توفر هاتين النعمتين معاً فى مكان واحد، طبقاً للظروف الاعتيادية والاقليمية المألوفة.

جـديرٌ بالإشـارة إلى أن أهـل مكّة وبحسب الظـاهر يجب أن يفتقـدوا حالـة الإحسـاس بالأمن؛ لأن أهل الحجاز كانوا مطبوعين بطابع البطش وشـن الغـارات من جهـة، ومن جهـة أخرى كـانوا محرومين من مظـاهر العلم والثقافـة، والزراعـة وتربيـة الحيوانـات، والصـناعة وغيرهـا. ومن الطبيعى أن يتحول المجتمع الجاهـل الجائع إلى مجموعـة قطاع طرق يتصـفون بالسـلب والنهب وشن الغارات، ولكن مع ذلك، فإن اللّه سبحانه وتعالى يقول:

لقد جعلنا مكة محلًا آمناً ومباركاً، ولهذا فإن أهل مكة لا يمتلكون حقّ التعلل وخلق الأعذار.

الجواب على إحدى الشبهات:

لو كانت أرض مكة ترفل بالأمن، فلماذا هاجر المسلمون فيصدر الإسلام، إلى أرض الحبشة؟

وجواباً عن هـذا التساؤل لابد من القول: ولئن كان المسـلمون يعانون من المشـقة والألم، إلّاأنّ هجرتهم إلى الحبشة كانت تنطوى على بعدٍ تبليغى أكثر من تعبيرها عن الاستجابة للضغط المستخدم ضدهم؛ لأن النساء كانت تعيش بأمان فى مكة، بينما لاحظنا مرافقة النساء للرجـال فى الهجرة إلى الحبشـة، وإن دّل هـذا على شـيء فإنمـا يـدل على الرغبـة فى قيام النساء بالترويـج للشـريعة فى أوساط النساء، والرجال فى أوساط الرجال.

۱- ۱ القصص: ۵۷.

ص: ۲۲

أمن الحرم والسلاح (بحثٌ روائی):

فی نهایة هذا البحث، لابد من الإشارة إلی أن الأمر الإلهی تحرک من أجل الحفاظ علی الأمن وإقراره وتطابق التشریع مع التکوین، حیث یقول تعالی: لا یحق لمن کان مسلماً دخول الحرم، ویمنع حمل السلاح حال الإحرام، عند انعدام الخوف أو الضرورة. ویجوز حمل السلاح لأهل مکة ولمن خرج من الإحرام وأصبح محلّاً، إلّاأنّ إظهاره غیر مستحسن؛ لأنه من الممکن أن یشعر الناس بالخوف فیما لو شاهدوا السلاح، فی حین أن ذلک المکان، هو بلد الأمن.

وألفت انتباهکم إلی مجموعة من الروایات فی هذا الخصوص:

۱- عن الحلبی عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام قال: «إنّ المحرم إذا خافَ العدوّ یلبس السلاح فلا کفارة علیه» (۱)؛ تجدر الإشارة إلی أنه یُستفاد من مفهوم الجملة الشرطیة: لا یحق له حمل السلاح، إن لم یکن فی حال الخوف.

۲- عن عبد اللَّه بن سنان قال، سألت أبا عبد اللَّه علیه السلام «أیحمل السلاح المحرم؟ فقال: إذا خاف المحرم عدوّاً أو سرقاً فلیلبس السلاح» (۲). وبما أن «الأمر» جاء بعد «توهم الخطر والمنع»، یدل هذا فقط علی جواز حمل السلاح ولیس وجوبه؛ إی‌لا حرمة فی حمل السلاح فی مثل هذه الموارد.

۳- عن عبد اللَّه بن سنان عن أبی عبد اللَّه قال: «المحرم إذا خاف لبس السلاح» (۳).

۴- عن زرارة عن أبی‌جعفر علیه السلام قال: «لا بأس بأن یحرم الرجل وعلیه سلاحه إذا خاف العدو» (۴)، وهذه الروایات تتعلق بحال الإحرام، وحمل السلاح یعد من تروک الإحرام، وأما الروایات التی تتعلق بالوضع العادی:

۱- عن حریز عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام قال: «لا- ینبغی أن یدخل الحرم بسلاح إلّا أن یدخله فی جوالق أو یغیبه. یعنی یلفّ علی الحدید شیئاً» (۵).

۲- عن أبی بصیر عن أبی

۱- ۱ وسائل الشیعة، ج ۹،ص ۱۳۷، ب ۵۴، ابواب تروک الاحرام، ح ۱.

۲- ۲ المصدر نفسه: ح ۲.

۳- ۳ المصدر نفسه ح ۳.

۴- ۴ المصدر نفسه: ح ۴.

۵- ۵ وسائل الشیعة، ج ۹،ص ۳۵۸، ب ۲۵، ابواب مقدمات الطواف، ح ۱.

ص: ۲۳

عبد اللَّه عليه السلام قال: «سألته عن الرجل يريد مكة أو المدينة يكره أن يخرج معه السلاح، فقال: لا بأس بأن يخرج بالسلاح من بلده ولكن إذا دخل مكة لم يظهره» (۱).

واستناداً إلى هذه التعاليم الدينية، فإن التشريع سيتطابق مع التكوين. تجدر الإشارة إلى أن حمل السلاح من قبل قوات الأمن، يوجب الأمن والاطمئنان للقادمين الجدد، ويجعلهم فى مأمن من هجوم عابرى السبيل عليهم.

الحج تكليف عام:

«وللَّه على الناس حجّ البيت مَن استطاع اليه سبيلًا».

كلمة «الناس» لا- تختص بالمسلمين فقط، بل تشمل جميع شرائح المجتمع؛ بما فى ذلك اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين،صغاراً وكباراً. تجدر الإشارة إلى أن أصل التكليف بأداء فريضة الحج، وإن كان يشمل جميع الناس على وجه الاستحباب، إلّاأنّ وجوبه مختص بالمكلفين، بينما سائر العبادات الأخرى ليست كالحج؛ وعلى سبيل المثال فإن الصلاة التى هى عمود الدين، يشرع بأدائها من قبل الأطفال بعد سنّ السابعة لأغراض الممارسة، (طبعاً مع الأخذ بنظر الاعتبار، اختلاف الفقهاء حول عبادات الصبى وهل هى مشروعة أم لأغراض الممارسة؟ وإن كان الحقّ فى كون عبادات الصبّى المميز مشروعة)، إلّاأنّه لاصلاة على الأطفال دون سنّ السابعة فضلًا عن الصيام و ...، أما فى باب الحج فالمسألة ليست بهذا النحو، حيث يمكن للفرد أداء أعمال فريضة الحج سواء فى مرحلة الطفولة، أو مرحلة الصِّبا أو الشباب والبلوغ. إلّاأنّ الطواف مستحب فى مرحلة الطفولة؛ بمعنى أنه يفضل للأُم والأب أن يطوفوا بوليدهم، طبعاً بإتيان النية ثم يطّوّفون بالطفل، دون أن يؤدوا الطواف نيابة عنه. تجدر

۱- ۱ المصدر نفسه: ح ۲،ص ۳۵۹.

ص: ۲۴

الإشارة إلى أن هذا الطفل عندما یبلغ سنّ الصّبا والتمییز بإمكانه الإتیان بالنّیة وأداء أعمال الحج بنفسه وإن لم یبلغ بعد ولم یعد مكلفاً، إلّاأن حجّه فی هذه الحالة مشروع كفضیلة، وإن لم یحسب له بعنوان حجة الإسلام- الحج الواجب-، ویجب علیه أداء الحج بعد سنّ البلوغ إن استطاع لذلك سبیلًا.

إذن بإمكان الإنسان الإتیان بثلاثة أنواع الحج فی مراحل عمره المختلفة:

۱- حجّ الطواف.

۲- الحجّ المندوب (المستحب).

۳- الحجّ الفریضی (الواجب).

وفیما یتعلق بالأقسام الثلاثة للحج تأملوا الروایات التالیة:

۱- عن عبد اللَّه بن سنان، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام «قال سمعته یقول: مرّ رسول اللَّه برویثة وهو حاج، فقامت إلیه امرأة ومعهاصبی لها فقالت: یا رسول اللَّه أیحجّ عن مثل هذا؟ قال: نعم ولك أجره» (۱).

۲- عن محمّد بن الفضیل، قال سألت أبا جعفر الثانی علیه السلام عن الصّبی:

«متى یحرم به؟ قال علیه السلام إذا ثغر» (۲).

هذه الروایات تتعلق بمرحلة الطفولة، أما فی مرحلة الصبا بحیث یكون ممیزاً، یمكنه أن یؤدی أعمال الحج بشكل مستقل وهو مشروع، إلّا أنه لا یكفی عن حجة الإسلام. وتأملوا الروایات التالیة فی هذا المجال:

۱- عن ابان بن الحكم قال:

سمعت أبا عبد اللَّه علیه السلام یقول: «الصّبی إذا حجّ فقد قضى حجة الإسلام حتى یكبر ...» (۳).

۲- عن سمع بن عبد الملك عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: «لو أن غلاماً حجّ عشر حجج ثم احتلم كانت علیه فریضة الإسلام» (۴).

مكانة الحجّ فی نهج البلاغة:

یقول الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام فی الخطبة الأولى بشأن الحج:

«وفرضَ علیكم حجَّ بیته

۱- ۱ وسائل الشیعة، ج ۸ص ۳۷، ب ۲۰، ابواب وجوب الحج، ح ۱.

۲- ۲ المصدر نفسه: ح ۲.

۳- ۳ وسائل الشیعة، ج ۸ص ۳۷، ب ۲، ب ۱۳، ابواب وجوب الحج، ح ۱.

۴- ۴ المصدر نفسه: ح ۲.

ص: ۲۵

الحرام، الـذی جعلَه قبلـةً للأنام، یَرِدونَهُ ورودَ الأنعام، ویألهُونَ إلیه وُلُوهَ الحَمام، وجعلَه- سـبحانه- علامةً لِتواضـعهم لعظمته، وإذعانِهم لعزتِه، واختارَ مِن خلقِهِ سُـمّاعاً أجابوا إلیه دعوتَه، وصدّقوا کلمتَه، ووقفوا مواقفَ أنبیائه، وتشبَّهوا بملائکته المُطیفینَ بعرشهٔ، ویحرزُونَ الأرباحَ فی متجرِ عبادتِه، ویتبادَرونَ عنـده موعدَ مغفرته، جعله- سـبحانه وتعالی- للإسـلام علَماً، وللعائِذین حرماً، فرضَ حَقَّهُ، وأوجبَ حجَّهُ، وکتب علیکم وِفادتَهُ، فقال سُبحانه: «ولِلَّه علی النّاس حِجُّ البیتِ من استطاع إلیه سبیلًا ومَن کفرَ فإن اللَّه غنیٌّ عن العالمین».

ویقول علیه السلام فی الخطبهٔ العاشرهٔ بعد المائهٔ:

«إن أفضل ما توسَّل به المتوسلونَ إلی اللَّه سبحانه وتعالی الإیمانُ به وبرسوله، والجهاد فی سبیله ... وحجُّ البیت واعتمارُهُ، فإنهما یَنفیان الفقرَ ویرَحضَانِ الذنبَ ...».

ویقول علیه السلام فی أواسط الخطبهٔ القاصعهٔ ناظراً إلی التواضع ونبذ الاستکبار:

«أَلا ترونَ أنَ اللَّه- سـبحانه- اختبرَ الأولینَ من لـدن آدَم-صـلوات اللَّه علیه- إلی الآخِرینَ من هذا العالَم، بأحجارٍ لا تضـرُّ ولا تنفعُ، ولا تُبصِرُ ولا تَسمَعُ، فجعلَها بیتَه الحرامَ «الذی جعلَه للناسِ قیاماً». ثمَّ وضعَهُ بِاوْعَرِ بِقاعِ الأرض حَجراً، وأقلِّ نتائِقِ الدنیا مدراً، وأضیقِ بطونِ الأودیـهٔ قُطراً. بین جبالٍ خَشِنَهٍٔ ورمالٍ دَمِثـهٍٔ وعیونٍ وَشِلهٍٔ وقُرًی مُنقطعهٍٔ، لا یَزکُو بها خُفٌّ ولا حافِرٌ ولا ظِلفٌ. ثمّ أمرَ آدمَ علیه السـلام وَولَـدَهُ أن یثنُوا أعطافَهم نحوهُ، فصارَ مثابـهً لمنتجعِ أسـفارِهم، وغایـهً لمُلقی رحالِهم، تهوی إلیه ثمارُ الأفئـدهِٔ من مفاوِزِ قِفارٍ سـحیقهٍٔ، ومهاوِی فِجاجٍ عمیقهٍٔ، وجزائرِ بحارٍ منقطعهٍٔ، حتی یهزّوا مناکبَهم ذُللًا یهلّلونَ للَّهحولَه، ویرمُلُونَ علی أقدامِهم شُعْثاً غُبْراً له.

قد نبذوا السرابیلَ وراءَ ظهورِهم،

ص: ۲۶

وشوَّهوا بإعفاء الشعورِ محاسنَ خلقهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختياراً مُبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله اللّه سبباً لرحمته، ووصلةً إلى جنّته. ولو أراد- سبحانه- أن يضعَ بيته الحرامَ، ومشاعره العِظامَ، بين جنّاتٍ وأنهارٍ وسهلٍ وقَرارٍ، جمَّ الأشجارِ دانِى الثمارِ، مُلتفَّ البُنى، مُتصل القُرى، بين برّة سمراء، وروضة خضراءَ، وأريافٍ محدقةٍ، وعِراصٍ مُغدقةٍ، ورياضٍ ناضرة، وطرقٍ عامرةٍ، لكان قدصَغُر قدرُ الجزاء حسن ضعفِ البلاء. ولو كان الإِساسُ المحمولُ عليها، والأحجار المرفوع بها، بين زُمرّدةٍ خضراءَ، وياقوتةٍ حمراء، ونورٍ وضياءٍ، لخفَّفَ ذلک مصارعةَ الشکّ فی الصدور، ولوضعَ مجاهدةَ إبليس عن القلوبِ ولنفی معتلجَ الريبِ من الناس، ولكنّ اللّه يَختبر عباده بأنواع الشدائِدِ، ويتعبدهُم بأنواع المَجاهِدِ، ويبتليهم بضروب المكارة، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل فی نفوسهم، وليجعل ذلک أبواباً فُتُحاً إلى فَضله، وأسباباً ذللًا لعفوه» (۱).

وفی موضع آخر من نهج البلاغة يقول عليه السلام حين وصيته للحسنين عليهما السلام والناس كافة بعد أن جُرِحَ علی يد ابن ملجم المرادی عليه اللعنة:

«اللّه اللّه فی بيت ربّكم، لا تخلّوه ما بقيتم، فإنّه إن تُرک لم تُناظروا» (۲).

وقال عليه السلام فی کتاب أرسله إلی واليه علی مکة قثم بن عباس:

«أما بعدُ، فأقِم للناسِ الحجَّ، وذكّرهم بأيام اللّه، واجلس لهم العصرَيْنَ فَأفْتِ المستفتی، وعلّم الجاهلَ، وذاكر العالمَ، ولا يكُن لکَ إلی الناس سفيرٌ إلّالسانُکَ، ولا حاجبٌ إلّا وجهُکَ ... وَمُرْ أهْلَ مكّة ألّا يأخذوا من ساكنٍ أجراً، فإن اللّهَ سبحانهُ يقول: «سواءً العاكفُ فيه والبادِ» فالعاكف: المقيم به، والبادی: الذی يحجّ إليه من غير أهله. وفقنا اللّهُ وإياكم لِمحابّهِ والسلام» (۳).

۱- ۱ الخطبة: ۱۹۲.

۲- ۲ نهج البلاغة، الكتاب رقم ۴۷.

۳- ۳ نهج البلاغة، الكتاب رقم ۶۶.

ص: ٢٧

شبهةٌ حول بركة الكعبة وهدايتها:

يقولصاحب تفسير «المنار» فى تفسير آياتٍ بينات وبركة البيت:

«أى فيه دلائل أو علامات ظاهرة لا تخفى على أحدٍ أحدها أو منها: مقام إبراهيم، أى موضع قيامه فيه للصلاة والعبادة، تعرف ذلك العرب بالنقل المتواتر. فأى دليل أبين من هذا على كون البيت أول بيت من بيوت العبادة الصحيحة المعروفة فى ذلك العهد، وضع ليعبد الناس فيه ربّهم. وإبراهيم أبو الأنبياء فى الأرض الذى أبقى أثرهم بجعل النبوة والملك فيهم، لا يعرف لنبىّ قبله أثر، ولا يحفظ له نسب وقوله:

«ومَن دخله كان آمناً» آية ثانية بينة لا يمترى فيها أحد، وهى اتفاق قبائل العرب كلّها على احترام هذا البيت وتعظيمه لنسبته إلى اللَّه، حتى إن مَن دخله يأمن على نفسه لا من الاعتداء عليه وايذائه فقط، بل يأمن من أن يثأر منه من سفكك هو دماءَهم واستباح حرماتهم مادام فيهم. مضى على هذا عمل الجاهلية على اختلافها فى المنازع، والأهواء والمعبودات وكثرة ما بينها من الأحقاد والأضغان واقرّه الإسلامُ،

أقول: وقد تقدم فى تفسير:

«واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» (١)

إن بعضهم يقول: إن مقامه عبارة عن موقفه حيث ذلك الأثر للقدمين وإن هذا ضعيف. والكلام هنا فى أن مقام إبراهيم مشتمل على ما ذكره من الأثر، أما الأثر نفسه فقد كانت العرب تعتقد أنه أثر قدمى إبراهيم عليه السلام ثم يواصل شبهتهُ بالقول:

«وعدم تعرض ضوارى السباع للصيود فيه هذا القول ضَعيف، إذ ليس آية وعدم نفرة الطير من الناس هناك، ويرد عليه أن الطير تألف الناس لعدم تعرضهم لها، ولذلك نظائر فى الأرض، وانحراف الطير عن موازينه، ليس بمتحقق.

ثم يقول بعد ذلك: «إذا أراد أحد الجبابرة أن يظلم فسيضربه اللَّه، ويرغم

١- ١ البقرة: ١٢٥.

ص: ٢٨

أنفه ويعذبه يوم القيامة عذاباً شديداً».

نقد الكلام المذكور:

لا بد من الإشارة إلى أن الموارد المذكورة ليست من عداد الآيات القرآنية كي يقول: «إن الحمائم لا تشعر بالخوف؛ لأن البيت مكان آمن».

ولكن ثِقل الشُبهة يكمن في الموارد الأخرى المتمثلة في أن الحيوانات المتوحشة لا شأن لها بالحيوانات الأليفة فعلًا، حيث لو تمّ إثبات ذلك، لأصبح أمراً جديراً بالنظر والتأمل.

وأما مسألة عدم وقوف الحمائم على سطح الكعبة، فهي غير مؤكدة؛ لأنه لوحظ أحياناً وقوفها على سطح الكعبة.

إلّا أنّ ما كان من الآيات، هو لو قصد من أراد خرابها، فإنه- سبحانه وتعالى- لن يمهله طرفة عين أبداً، مثل حادثة أبرهة وأصحاب الفيل، التي كانت معجزةً خارقةً للعادة. ومثل هذه الآثار تعدّ آثاراً تكوينية، لابد من بقائها وثباتها، وأدنى مستوى يدل على آية الكعبة، هي آيتها التكوينية، حيث ما انفك الأمن موجوداً في مكة، وأن اللَّه سبحانه وتعالى أخضع ذلك المجتمع العاصي المتوحش بحيث جعلهم يجلّون حرمة هذا البيت ويحترمونها، والآيات التالية من قبيل: «الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف» (١)

و «أوَلَم يَروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطّفُ النّاسُ من حولهم ...» (٢)

وقوله تعالى «وقالوا إن نتّبعِ الهدى معكَ نُتخطَّف من أرضنا أوَلَم نُمكّن لهم حَرَماً آمِناً يُجبى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ» (٣)

، هذه الآيات تتعلق بالعصر الجاهلي وقبل تشريع مسألة الأمن. إذن فإن حكم الأمن التشريعي- جاء بعد ظهور الإسلام، إلّاأنّ القرآن الكريم يذكر الأمن الموجود منذ زمن الجاهلية وحتى ظهور الإسلام كدليل. وإلّا فإن جميع هذه الآيات الشريفة نزلت بعد ظهور الإسلام، ولكنها جميعاً تذكّر بالأمن الشائع قبل الإسلام.

١- ١ قريش: ۴.

٢- ٢ العنكبوت: ۶٧.

٣- ٣ القصص: ۵٧.

ص: ۲۹

تجدر الإشارة إلى أن الآية الشريفة: «ومَن يُرد فيه بإلحاد بظُلم نُذِقه من عذابٍ أليم» (۱)

يحتمل أن تشير الى من يمارس الظلم فى خصوص الحرم والبيت، فإن اللّه سبحانه وتعالى سيضطره إلى عذاب أليم، نظير حادثة أبرهة وأصحابه، الذين أخذهم اللّه تعالى بعذابه. إلّاأنّ الذى يظلم الناس فى خصوص الحرم، من الممكن أن لا يؤاخذه اللّه تعالى فى مدةٍ قصيرة ويمهلهُ إلى أجلٍ قريب.

وبعبارة أخرى فإن مفاد هذه الآية مفاد قوله تعالى: «إنّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يأكلونَ فى بطونِهم ناراً» (۲)

، حيث إنها تشير إلى المنع التشريعى؛ لأن كلّ من يأكل المال الحرام إنّما يأكل فى بطنه ناراً، إلّا أنه جاء التعبير على هذا النحو بخصوص الذى يأكل مال اليتيم، لأن اليتيم فى واقع الحال هو مظلوم لا ملاذ له، وإلّا فإن مثل هذا الحكم، يسرى على المال الحرام وإن لم يكن من مال اليتيم. إلّاأنّه لو كان دعاء الظلم خصوص الحرم، فإن اللّه تعالى أشدّ انتقاماً وأنكى.

وفى نهاية هذه الطائفة من الآيات فإن القرآن الكريم وبعد أن ردّ شبهات أهل الكتاب بخصوص حلّية وحرمة الطعام والقبلة، وبيّن أهمية الكعبة وزيارتها انتقل إلى القول:

«ومَن كفر فإن اللّه غنى عن العالمين» (۳).

۱- ۱ الحج: ۲۵.

۲- ۲ النساء: ۱۰.

۳- ۳ آل عمران: ۹۷.

ص: ۳۰

الهوامش:

تاملات جمالیهٔ

ص: ٣١

ص: ۳۲

تأملات جمالية

عرفان الفهدى

إنَّ أوّلَ بيت وضعَ للناس» (۱)

و «لَلّذى ببكة مباركاً وهدىً».

توضّح لنا أن هناك ثلاث قضايا عالجتها الرسالة الإسلامية فى شعاعها الصادق الأول، هى:

۱- الانفراط فى علاقة بين ما هو قلبى وبين ماهو عقلى.

۲- فوضى الزمان والتاريخ.

۳- ترمّل المكان وتصحّره.

الإسلام دين المعالجات الكبرى، وهو غالباً يوجز المعالجات فى سلوكية نوعية، وكان عليه أن يصهر القضايا الثلاث السابقة فى مركب، ويناضل من أجل دمجها فى بوتقة واحدة، فبأى أسلوبية يمكن ذلك دون أن يسجل انسحاقاً للقناعات البشرية؟ فكان الحجّ .. فهو الفريضة من دون الفرائض الأخرى لها سعة الاستيعاب والامتداد والتنوّع، القادرة على طرح الزائد والناقص من

۱- ۱ سورة إبراهيم. آية ۳۷.

ص: ۳۳

الشعور الاجتماعی والفردی.

لانتحدث هنا عن کشوفات الإسلام علیصعید التشریع الخاص بالإطار العام للفریضة، وإنما نختصر علی جانب واحد من جوانب الإبداع فیها.

فأُسلوبیة الإبداع من طبعها أن تحتوی الموروث والتقلیدی، وتصّبه فی قوالب جدیدة ممتعة تنعکس فیها تجربة المبدع ورؤیته الجمالیة وهدفیته وهو قضیته فی الحیاة والجماعة والواقع .. من أجل ملء الفراغات وإشباع العواطف، ولتتوائم مع الإحساس والتطلع والنزوع الکونی.

ویبرز المکان فی الحجِّ ومناسکه کأحد أهم الصور الجمالیة التی تعکس عنایة الإسلام بالنصّ وبالصورة الذهنیة، إذ تتبرعم لنا المناسک- وفی حالة الأداء الجماعی الواحد- علی شکل مشاهد أخاذة، یکون فیها الجمال حالة حیاة لها، إلی حدّ أن جعل الإبداع الإسلامی فی الحجّ للجمادات استحقاقاً وحرمة، وتطالعنا فی الوصف لوحة رائعة لأمیر المؤمنین علیه السلام وهو یصف البیت الحرام (... ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق الدنیا مدراً ... بین جبال خشنة، ورمالٍ دمثة ... ثم أمر آدم علیه السلام ووَلَدَهُ أن یثنوا أعطافهم نحوه ... تهوی إلیه ثمار الأفئدة ...) (۱).

أسلوبیة الإبداع، هی التی ساعدت التشریع الإسلامی علی الانطلاق إلی أخصّ خصوصیات النفس الإنسانیة وغوامضها القصّیة، کما لم یکن قبول الآثار والتطبیقات العملیة للتشریع فکرة قد تمّت بعیدة عن قطب الإبداع بمعیة الاکتشاف، ولولا الابداع لما کانت عبادة الصلاة ومعرکة الذات فی المحراب والصوم والزکاة والجهاد والحجّ، وما تنطوی علیها من الزامات ومکابدات وممنوعات وتضحیات ومعاناة أعمالًا مأنوسة جمیلة، ویتهاتف معها بغرام فرید مقدس، یتحول فیها کل شیء إلی لذةٍ مشوّبة بسرور فیّاض ... یعیش معها

۱- ۱ نهج البلاغة/ ضبط الدکتورصبحی الصالح: ۲۹۳/ خطبة رقم ۱۹۲.

ص: ۳۴

الموّحد كما لو أنه كائن غير ذى تراب.

مـاهى أقـدر العبادات على اكتشاف الفكرة والطاقـة الجوهريـة للإبـداع؟ بل ماهى العبادات التى تكون كاشـفةً ومبدعـةً ومادةً للجمال بنفس الوقت؟ لعل البعض يلخصها بأنها الدعاء والمناجاة، أو أنها تلك التى ترشح اليقظة الروحية أثناء السجود، أو ...

لا يختلف متأملان على أن هـذه أشـكالًا وظواهرَصالحة تقع مع غيرها من مسـتلزمات بهذا الشـكل أو ذاك؛ لتتم بها الوظيفة. أما الحج فهو الأقدر على الاكتشاف والابداع فهو الفريضة التى يكون الابتداء بل الأنتهاء من مناسـكها المدخل الطبيعى للسلوك نحو اللّه تعالى ... فهو ليس فقط وظيفة .. كما أن السعى والطواف فيه ليسا ركناً أو واجباً فقط ... وأن قوة الواجب فيه ليس كقوة الواجب فى إمساك الصوم أو تحديدصـباح العيـد فى إخراج زكـاة الفطرة ... إن الإطـار العـام للواجب فى الحـجّ لهو من القوة أن يمنع عن الحـاج المبـاح والمندوب، الذى عادة لا يخلّ الإتيان بهما بواجب الصـلاة أو الصوم ... يتكشف لنا أن فى أداء مناسك الحج شـيئاً وجامعاً مؤثراً ليس فى العبادات الأخرى مثيل له.

إن الزمن بين المنسـكين فى الحـجّ زمن مقـدسٌ، ويقع فى إطار الرصـيد العبادى، ولا يجوز فى الغالب ممارسـة المباحات فيه ... وهذه الالتزامات لا تقرّرها طبيعة وشخصـية فريضة الحجّ فحسب، وإنما للحج بكامله أبعد أخرى لاتقل أهمية عن الفريضة نفسـها .. ومساحة هذه الأبعاد ليس المخلوق العاقل فقط .. بل الأشـياء والجمادات والكائنات غير العاقلة وغير الناطقة أيضاً .. ومن هذه الأبعاد جميعاً تنبع القيمة الجمالية للعبادة ..

فالمناسك أداء آخر داخل إطار الأداء العام لفريضـة الحـج التى تغطى المساحـة الزمنيـة والاجتماعيـة الواقعـة بعـد الانتهاء من الحجّ .. ولهذا كان وجوبه

ص: ۳۵

مرة واحدة فی العمر ...

الجمال فی حیاة المؤمن وفی العبادة وفریضة الحج خاصة، له أهمیة کبری ویشکل مضموناً فکریاً لصیاغة النظریة الفنیة فی الإسلام ... ولهذا فإن المنبع الذی یرفد الجمال بالواقعیة ویسدّد حیاة المؤمن وعباداته بالأثر الطیب هو الإیمان .. لکونه الطاقة العظمی التی توازن بین طرفی الانتماء بالمطلق من جهة، وبالواقع العملی والموضوعی من جهة أخری.

فیکون عندنا أن المناسک فی الحج تقوم بعملیة ربط منظم ومرتّب ومحدّد ببرنامج زمانی ومکانی بین طرفی الطاقة الإیمانیة .. فتصبح وظیفة المناسک فی الحجّ وظیفة نوعیة تنفتح علی الساحات بقدر علاقتها مع طرفی الإیمان، المطلق والواقع ...

وعلیه فإن الوظیفة فی المناسک حین تقعصریحة لا تؤرخ وتضبط لنا الفراغ الیقینی أو تشتبک مع الاشتغال الیقینی فقط بل هی أوسع وأشمل من هذا وذاک وهذا هو الفرق بین الوظیفة فی الحج و الوظیفة فی الأعمال الصالحة والواجبة الأخری ...

إذاً وظیفة الحجّ تبقی بعد الإتیان الصحیح بها مقلعاً للخیال والجمال، وتدعو المؤمن الموّحد أن یوّحد بین مشاهد .. مشاهد حیاته والمجتمع ومشاهد الحجّ ... وبالرغم من أن العبادات تشترک فی هذا الهدف السامی إلّاأن وظیفة الحج ومن موقع الإشباع والتسلل والتنقل بین مختلف الأشکال والأشیاء والنسبیات توحی بفعالیة أقوی علی رسم الصورة فی میدان حیاة الفرد والأمة.

إن مفهوم «کنتم خیر أُمة أُخرجت للناس ...» (۱)

له علاقة عضویة موضوعیة مع التجمع الإسلامی الهادف فی الحجّ .. ویتفرع من مفهوم (الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر) وهما أقوی مصادیق الجمال والامتداد غیر

۱- ۱ آل عمران ۱۱۰.

ص: ۳۶

المحددين بسلوك عبادى واحد معين.

ثم إن مفردة «الإفاضـة» تركّز لنـا اللون البارز فيصور الرابطـة الجماليـة الإيمانيـة من خلال أداء المناسك .. «ثم أفيضوا من حيثُ أَفاض الناسُ واستغفروا اللَّه» (۱).

وما تفيـده دلالة الإفاضة هو التلاحم فى الموج البشـرى العائد من مكان الحج .. وإذن فالمكان هنا ليس كأى مكان يفصل أو يعزل أو يصنّف الروافـد على ضوء طبيعـة التضاريس والأعماق والسـطوح .. الإفاضةصـيغة جمالية فى نص الآية السابقة اسـتدعت فكرة أخرى سابحة فى فضاء حياة الجماعة المؤمنة .. هى فكرة الاستغفار غير المحددة بكمٍّ أو زمن أو مكان أو مسلكية خاصة واحدة ..

فالاستغفار يتّجه بضوء قاعدة الإفاضة على شكل تيار جماليصاعد حيث الفضاء الإلهى.

ذكرت هذه النماذج .. لتوكيد مفهوم الجمال فى العبادة النابع من مفهوم الإيمان الرابط بين المطلق والواقع.

فلسفة التلبية والدعاء فى الحج:

تنطلق التلبيـة والـدعاء من قلوب الحجاج لحظـة الدخول فى آخر نقطه من قنوات الميقات ... وبهذا يكون الحاج قد قام بعمليتين التلبية والدعاء يؤشر إليهما الإحرام.

وللـدعاء فى الإسـلام أهميـة واعتبـار كبيران فهو ليس طلباً أو التماساً وتبريكاً لمشاعر النفس المؤمنـة؛ بمعنى أن الاسـتجابة ليست فقط الفعالية الموضوعية أو ما يعادلها فى طريقة الدعاء، وإنما هناك عنصر الإثارة ..

فالدعاء يثير الخوافى والمكاتم والأحلام الراغدة ويدمجها فى أجواء

۱- ۱ سورة البقرة. آية ۱۹۹.

ص: ۳۷

ساخنة. وحين يكون فضاء الكون الساحة المقترحة التى ينطلق فيها خطّ الإثارة والاستجابة للدعاء فإنه والحال هذه يحتاج إليصيغة أكثر غنىً وثراءً ..

ويحتاج إلى مكان وزمان متحدين يلمان بأسباب الدعاء من حيث الإثارة والاستجابة فكان الميقات وكانت التلبية .. الميقات هو زمن فى مكان، ومكان فى زمن، وسرُّ اسم المفعول فيه أقوى بياناً من المفاعيل الأخرى فى العربية .. لأنه اسم ينفعل فيه الزمان والمكان والإنسان والدعاء والإحرام والتجرد .. و ... أما التلبية الخاصة فهى استجابة للإثارة الشعورية وإثارة للاستجابة الموضوعية، وهذه الثنائية توفر لنا وعياً ومعرفة لفلسفة الدعاء فى الإسلام.

ومن الميقات وبالتلبية تنسجم النوايا وتتماسك فى نية واحدة. وفيما يكون التوازن بين نقطتى الانطلاق والنهاية فى الدعاء تحدّد لنا نيّة الحجّ نوعية الإجابة .. ومع أن المكان يتحرر من قيوده الطبيعية، ويأخذ الطبيعة الجمالية لكن مع هذا يبقى العنصر الجمالى غير قادر على رزم المساحات التى تطويها أسئلة الدعاء .. فنعود إذن إلى أن الدعاء الصادر فى التلبية ليس مطلبه الوحيد الاستجابة ولا توقّع زمانها، وإنما هناك جانب الإثارة فيها ... الذى يحرّر الكائن الأرضى من محدودية المشاعر والحاجات وضيق التطلعات إلى ماهو أوسع وأوجب.

إن هذا لا يلغى تدخل العمل بالمناسك فيما بعد الميقات، فى أن يكون محدداً لاتجاهات وتنويعات الدعاء وإجاباته، ويستدعى هذا التدخل أن يُصار للشعيرة فى الحجّ موضوعية تتبادل التأثير مع موضوعية الدعاء. ويتفاعل الاثنان فيشكلان موضوعية أكبر، هى: موضوعية دعاء الحج.

الدعاء فى الحج يهدف أساساً إلى التخطيط من أجل إبراز ظاهرة التجلى، ويتجاوز كونه مدعاة لالتماس العفو والثواب والرزق ... ليهدف إلى رفع مستوى

ص: ۳۸

الإنسان إلى أن يكون كائناً مرهف الشعور والأحاسيس، تتجلى فيه كلّ معانى الخير. وتحتشد فيه تجليات كلّ معانى الكمال والسمو بعيداً عما هو أرضى- دنيوى- وبالتالى الإعراب عن مكنون الهوية الأصلية للسرّ المودع فى كيانه، ومعرفة ما إذا كان قابلًا على تجربة الاستخلاف، لا غرو أن نجد أساليب الدعاء جاءت على شكل آيات قرآنية مقدسة نازلة بخط راجع على غير المألوف فى اتجاه الدعاء .. وهذه الأدعية القرآنية أكثر ما اختصّ بها الحج دون غيره من العبادات «قل ربّ أَدخلنى مُدخَلصدقٍ وأَخرجنى مخرجَصدق ...» (۱) «قل إنصلاتى ونسكى ومحياى ومماتى للّهربِّ العالمين لا شريكَ له وبذلك أمرتُ وأنا أوّلُ المسلمين». (۲) «ربنا واجعلنا مسلمين لكَ ومن ذريتنا أُمةً مسلمة لك وأرنا مناسكناً وتب علينا ..» (۳) «رب اجعل هذا بلداً آمناً» (۴).

إنك تجد فى هذه الطائفة من الآيات الكريمة «المثال الأعظم» للدعاء .. وأنه شديد الارتباط بالبيت الحرام ... وأن فيه تَمَثُلًا لدعاء إبراهيم عليه السلام. فإذا كان الدعاء بهذه الشخصية المحملة بجلال المعانى فإنه يحوّل الخطّ الواصل بين سكن الحاج ومناسك الحج إلى خطّ مستقيم يصلح لقياس وتقييس الفسحة الرحيبة بين الأرض والسماء، ودائماً تقترن حالة التطهّر من النجاسات والخبائث بالاقتراب من نقطة التكليف الخاص بشعائر الحج، وتتناسب طردياً مع الدخول إلى دائرة الأداء الفعلى المباشر للمناسك بحيث تنسحب «الطهارة» على الذات وحركة الجوارح .. فيصبح كلّ كيان الحاج فى أداء منظّم غاية فى الدقة.

من المفاهيم الكبرى فى الحج التركيز على مصطلح (أرض اللّه) انطلاقاً من قاعدة عباد اللّه وسوف يبلور المتأملون فى أداء المناسك مصداقاً أكثر تكثيفاً

۱- ۱ سورة الأسراء. آية ۸۰/ اذ إن هناك اجماعاً، كما نقل ذلك الطبرسى فى مجمع البيان ۶: ۶۷۱ وتفسير البيضاوى ۱: ۵۸۰ والكشاف ۲: ۶۸۸.

۲- ۲ سورة الأنعام. آية ۱۶۲- ۱۶۳.

۳- ۳ سورة البقرة. آية ۱۲۸.

۴- ۴ سورة البقرة. آية ۱۲۶.

ص: ۳۹

وحسية لمفهوم أرض اللّه، وهذا المصداق، هو الكعبة، فالمصداق يؤشر دلالة الطهارة والتطهر للتراب الأرضى والآدمى وبها تصلح أن تكون الأرض الطاهرة قاعدة لنشر حركة الدعاء وخطوطه الصاعدة من أى مكان ونقطة.

ومن داخل كرة الكعبة الكونية يتحول شعور الحاج بالسلام إلى تجربة عملية، ويتمثل إلى حالة القبول النفسى الذى هو أساس وتطوير للالتزام بالأمر والنهى، وقد عبرت المناسك عن هذا القبول النفسى وتجربة السلام بطريقة حرمة الاعتداء عمداً أو سهواً على حيوان أو دابة أو طير إن داخل الكعبة، أو ما يتصل بها أثناء الأداء والإحرام من الداخل أو الماحول أو الفضاء، وفى بعض الأحيان حتى فى حالة الحلّ من الإحرام داخل الحرم، ولعلّ ما يشابه هذا السلام والأمن هو ما جُبِل عليه الحيوان والمخلوقات الأخرى على أسباب حماية البيت والمقام. ويشار إلى هذا الأمن (بالأمن التكوينى) حتى فى الزمن الذى لم يكن فيه أثر للتشريع والأحكام «الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (۱)

وهى اشارة واضحة على أمن البيت التكوينى وما حوله، الذى يوّلد لنا أمناً آخر «مَنْ دخله كان آمناً» وأقصى ما يستعرضه القرآن دلالة على الأمن التكوينى فى سورة الفيل «ألم تر كيف فعل ربُّكَ بأصحاب الفيل ...» (۲).

الأمن التكوينى جعل البيت هدىً ومباركاً، ومن هذه الأرضية يصبح الدعاء رسالة ... وذا معرفة، وليس تقليداً أو ترديداً للصيغ الموروثة، فالحج وتكرار الدعاء فى مناسكه يحول الإنسان إلى كلمة طاهرة من كلماته سبحانه ..

إلى حرفٍ ذى إيقاعٍ فريد من حروف القداسة المتعالية، ومعنى أن يكون الإنسان (الحاج) كلمة أو حرفاً فى أدعية المناسك هو احتفاظه بالشكل .. وبقابلية التجربة الموضوعية المقروءة، وبوجود ثرٍّ للوصف والوصفية والانطباعية والتعبيرية. ويصحح لنا هذا الحضور الشكلى قبالة الحضور الإعانى فى كليه

۱- ۱ سورة قريش. آية ۴.

۲- ۲ سورة الفيل آية ۱ وما بعدها.

ص: ۴۰

الإنسان الحاج فكرهٔ الانفراط بين الإنسان وأشـيائه الدنيويهٔ. فالتجرّد المقصود فى الدعاء والحج ليس إقصاء ما هو دنيوى ترابى أرضـى إنسانى، فهذا ما يواجهه بكلّ حسيهٔ وبطريقهٔ جماليهٔ ممتعهٔ فى رمزيهٔ الأشكال والأشياء فى المناسك ..

وانطلاقاً من وحـدهٔ الزمانى والمكانى فى بوابـهٔ الميقات، بل التجرد هو تحريك كلّ ماهو دنيوى إنسانى بعيـد عن النواقص والنقائض، ودمجه مع مكملاته الأخرى التى سوف تترافـد فى مسـيرهٔ المناسك، واعتماد تشـكيلهٔ رمزيهٔ للجميع ودفعها فى ساحهٔ الكعبهٔ؛ لتمارس أعنف وأجمل تمارين السباحهٔ الكونيهٔ والتلاقى مع جذبات جواهرها الساكرهٔ فى العلو، والتى إلى ما قبيل الحجّ والميقات كانت تعانى من عوازل وعازلات مصـطنعهٔ سـميكهٔ ناتجـهٔ من عـدم اقتراب الزمـان إلى المكـان والـذى يتكفل «الميقات» بالتقريب بينهما فى حالهٔ الاستعداد النفسى للورود داخل البيت الحرام.

من هذه الأرضيهٔ، ومن هذه التسامت بين الإنسان وأشيائه يحرّك لنا الدعاء طيفاً من الشعور الحرّ، لا ليجرد الأشياء عن أشكالها الماديهٔ الحسّـيهٔ، كمـا هو شأن المألوف عن التجرد المثالى، وإنما فى اكتشاف الخيوط الرابطـهٔ الدقيقـهٔ المبعثرهٔ، وضـبطها من جديـد ونسـجها بكيفيـهٔ أخرى أمثل للحس، ونظراً لاعتبار الحـجّ وقفـهٔ عباديـهٔ سـنويهٔ، وأن فيها تتلامس وتتجاور الألسـنهٔ والدماء والأمزجه والمذاهب والقناعـات فـإنه وعبر تكراره فى حياهٔ الأجيال يحتوى على بنيويـهٔ شاملـهٔ تظم من الخارج منظومـهٔ كبيرهٔ من الأصوات، وينبثق فيها من الداخل وبالضرورهٔصوت واحد.

ومهما يكن فإن التركيب بين الأصوات والأمزجهٔ والألوان والانتماءات فى وحدهٔ أداء الحجّ لم تكن عمليهٔ سـهلهٔ يمكن اتقانها ومن ثم تكرارها فى يوم أو شهر أو سنهٔ، لكنها تميل إلى الانتظام والاتساق والتوافق على المدى، وفى فرصهٔ

ص: ۴۱

تكاد تكون نادرة فى وحدة عمر الإنسان الفرد والجماعة.

فإذا كان الإسلام أو بالأحرى الإيمان بالصوت الداخلى الذى يوّحد أصداء النزوع الروحى للجماعة المسلمة هو العنوان العام الذى لا يتعارض مع خصوصيات أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب فى إطار الانتماء العقيدى الواحد، فإن هذا يدعونا إلى تأمل الأصوات الخارجية للجماعة العامة، ورصدها بعدد المرات التى يتشكل منها اتجاهات اللغات والطبائع والمذاهب فى الجماعة الكبرى، ويمكن إحصاء الأصوات الخارجية للجماعة الإسلامية الكبرى، ثم إخضاعها فى عملية توافق أخرى تتكفل بها تجربة الحج .. وهذه العملية الثانية تحوّل الأصوات إليصوت واحد لكنه على شكل مستويات. وإذن فالحج يتقدم على العبادات الأخرى فى تحويل الأصوات المختلفة فى الخارج ونظمها فيصورة واحدة محددة بإطار تميل إليصوت واحد ذى عدّة مستويات ... ثم الجهاد من أجل تقريب المستويات نحو الشكل الواحد، وقد تتعهد المسيرة التاريخية المستقبلية لتحويل المستويات إلى شكل واحد طاغٍ.

وللتوافق بين المستويات الخارجية عدّة أشكال ستستقر على أحدها الجماعة الإسلامية أخيراً فى إحياء تجربة الحجّ الواقعية فى الحياة مستقبلًا، وهى:

۱- مستوى اللغة التى ينطق بها الناس.

۲- مستوى المشاعر والعواطف الإنسانية الإسلامية.

۳- مستوى وحدة المذاهب.

۴- مستوى وحدة الهموم والتطلعات الاجتماعية.

۵- مستوى الانتقاء الثقافى والتقنى والمنهجى.

هذه المستويات وربما غيرها لم تكن فى منأى عن التحقيق الذى تكفلت به مسيرة الحج التاريخية وقد دفعت بعض تجارب الحج بعض هذه المستويات إلى

ص: ۴۲

الإحيـاء الحقيقى .. ولكن لمـا لم تنفـذ رسالـة الحـج على عموم المجتمع البشـرى يبقى لنـا فى المنظور، على المـدى البعيـد الكثير من إشـكاليات تحويل المستويات بكاملها إلى مستوى الصوت والشكل الواحد ... بمعنى أن هناك اشكاليتين متقابلتين لم يتطور إلى واقع وعى ومنهج ومعالجة هما: أن بعض قوانين تجربة الحجّ لم تكن فى مقدور الجماعة البشـرية والمسلمين خاصة أن يتفهموها، والأخرى أن الحاج وقوانين موسم الحج لم يكن بمقدورهما أن يستوعبا فهم قوانين الاجتماع البشرى حتى الآن.

تبقى حالـة مسـتوى أداء المناسک القمة فى تجربة اسـتدعاء المسـتويات الخمسة السابقة إلى التوليف والائتلاف، وإذا كانت مناسـک الحج حظيت بمقام خاص ومتميز فى التشـريع لأمكنتها أجوائها، وأصالة وجودها التاريخى وقدسـية الأثار فيها، توفر للجماعة الإسلامية والإنسانيـة خارطـة مكانيـة متنوعـة منسـجمة مع الأبعاد التكوينيـة على الأرض وحول البيت الحرام، فإن خارطة المشاهد فى المناسـک تقترح على الجماعة بيوتاً أخرى كالبيت الحرام فى أى أُفق مكانى «فى بيوت أذن اللَّهُ أن ترفع ويذكر فيها اسمه» (۱)

. وتقترح المناسک الزينة التى منعت فى الحج أن تكون على أجملها وأروعها فى أى مسـجد وبيت «يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد ...» (۲)

وكذلک جهزت الناس بالبلدان الآمنة بعدما حدّد أولًا الأمن بالبيت الحرام فأصبحت مكة بلداً آمناً «وهذا البلدِ الأمين» (۳).

فتجربـة الولوج إلى الميقات وترديـد الدعاء ابتداءً منه وحتى الانتهاء من المناسک تدعوا إلى عملية اجتماعية تشترک فيها كلّ عناصـر الطبيعـة والاجتماع والتاريـخ، وأول خطّ يواجه الاختبار هو خطّ عودة الحاج من المناسک، ومعنى هـذا إحـداث مقارنة حيّة، فالذاكرة هنا تحمل مستويات متعددة الدلالة لأمكنة

۱- ۱ سورة النور. آية ۳۶.

۲- ۲ سورة الأعراف. آية ۳۱.

۳- ۳ سورة التين. آية ۳.

ص: ۴۳

المناسک وأصوات الإنسان الآخر، وهی مادة المقارنة ومعرفة ما إذا کان الحاج قادراً علی إنزال الدعاء فی ساحته الفردیة والاجتماعیة، وما إذا کان لمفهوم المیقات (وحدة الزمان والمکان) تعبیرات وتطبیقات فی قنوات محلته وقریته وجیرانه ومؤسسته أم لا؟

المیقات والدعاء فی الحجّ ومناسکه یبدأ بهما الحاج وینتهی بهما ذهاباً وإیاباً، ویشکلان المدخل العملی الذی یتداخل معه التجمع البشری المنتخب بالاستطاعة فی کلّ عام لمعرفة وقیاس قرب أو بعد المستویات الخمسة السابقة، أو ما یقترح غیرها من محوریة الصوت الداخلی، المحور الذی تعبر عنه وعن مضمونه العامصیاغیّة (نیّة الحج).

وقبل أن نتأکد من قرب أو بعد المستویات بالنسبة لمحور الحج، فإن مجرد التجمع للأصوات الخارجیة فی فریضة الحج هو موِّلد آنی للکثیر من الاقتراحات والصِّیغ .. إنه مجرد موّلد آنی، وإن هذا الشکل العام للتجمع یشیر فی الأحساس نوعین من الأشکال المنسجمة، هما:

الشکل الأول: انسجام وحدة المکان فی الحج: وهو أداء الحجاج لمناسکهم علی المکان المحدّد، وأن تجمعهم لا یجوز أن یؤدی المناسک المفروضة والمستحبة فی غیر المشاهد المقررة، فکل منسک خاص لا یمکن أن ینجز الیقین فی الفراغ منه مالم یؤد فی جزء المکان ودائرته العامة الواحدة، وهذا ما یفترق فیه الحج عن بقیة الفرائض والواجبات. اذ بإمکان الإنسان أن یأتی بالصلاة جماعة أو فرادی فی المسجد أو البیت، فی السفینة أو علی الجمل أداءً أم قضاءً خارج وقتها أو فی زمن وجوبها ومع کلّ هذا تقعصحیحة. فالانسجام فی أداء المناسک یرشح وحدة مکانیة للجمیع وهو أحد رکنی الجمال فی الحج، ویقرر لنا فی النهایة مفهوم مکان القبلة وحالة التوّجه. إذ المکان فی الحج له واقع وموضوعیة. «جعل اللَّهُ الکعبةَ

ص: ۴۴

البيتَ الحرامَ قياماً للناس» (۱).

الشكل الثانى: انسجام وحدة الزمان فى الحج، وهو الركن الجمالى الثانى لأداء المناسك ويكون أداؤها فى زمن واحد معين «والشهرَ الحرامَ والهدىَ والقلائدَ» (۲)

وقوله: «الحجُّ أشهر معلومات ...» (۳).

ولوحدة الزمان فى الحج بعدان، عام: إذ يكون واجباً مرة واحدة فى العمر على المستطيع، والآخر: أن تقع المناسك جميعها فى وحدة زمنية محددة ويكون أداء جزء المناسك فى جزء الزمن المحدد، وإذا ما حدث اختراق ما لزمن بعض المناسك فإن الإتيان به يقع فى ضيق دائرة الزمن المحدد قضاءً.

ونحن نقتصر على إبراز الدلالات الجمالية فى الانسجام المكانى فقط؛ وذلك فى رسمصور ثلاثة للجمالية المكانية فى أداء مناسك الحج.

الحج ووحدة الزمان والمكان:

الشرط الزمانى والمكانى فى منظومة أداء مناسك الحج لا بدَّ من أن يقترنا تدريجياً وعلى دفعات، حتى يصارا إلى وحدة فى قالب أو بُعدٍ معين ثابت، والبعد هذا يسمى «الميقات». كثير من العبادات تكون مطبوعة غالباً بأحد بعدى الزمان أو المكان كفريضة الصوم فى الشهر المحدّد، أوصلاة الجماعة فى المسجد فى زمن حضور الإمام المعصوم عليه السلام أو غيرها من العبادات ... حين نرى أن عنصرى الزمان والمكان أحد الألوان البارزة فى وصف العبادة ... إن لم يكن أحدهما شرطاً فيصحة العبادة.

غير أننا لا نجد لهذا (الزمان والمكان) إلّاشيئين من مجموعة أشياء يدخلان فى تصميم شكل الصيام أو الصلاة مثلًا، ويمكن عدم الالتزام بهما، ويصح التعويض عنهما وعن زمنهما بالصلاة قضاء أو الكفارة، بل نرى مثلًا أنصلاة

۱- ۱ سورة المائدة. آية ۹۷.

۲- ۲ سورة المائدة. آية ۹۷.

۳- ۳ سورة البقرة. آية ۱۹۷.

ص: ۴۵

المرأة فی بیتها معادلًا موضوعیاً لصلاتها فی المسجد.

فی أداء مناسک الحج نری للأشیاء وضوحاً کبیراً ومشارکة متکافئة محتشدة لعناصر الزمان والمکان معاً، فهما لیسا عنصرین تکوینیین یراد منهما ضبط الواجب والوجوب فحسب، وإنما هناک دلالات جمالیة مؤثرة تترک لمساتها علی ذاکرة المسلم وحیاته ومراجعاته مع ذاته والآخر والأشیاء ...

إنهما فی «المیقات» یتجلیان بقوة وینسکبان فی مثال الکائنات الحیّة القابلة للأنسنة ویستعرضان کلّ قابلیتهما ویتحدان مع محوریة الإنسان الحاج بحیث لا یمکن أن نسجل تقدماً للزمان أثناء الأداء علی المکان فی تسمیة ووصف المیقات، وکذلک لا یصحُّ العکس لحظة الأداء، ومع لحاظ کیفیة ووجوب الإحرام والتلبیة فإن المشهد العام یتقدم أکثر فی استدعاء حالة التجرّد .. إنه تجرّد من أجل وحدة الأشیاء والطبیعة مع الحاج ومن ثم الإنسان الآخر ولیس ضدهما.

فهو أیالتجرّد- یستبطنقوة الزمن الحی والمکان الحی وأن هناک حیویة وعضویة کامنة شبه معطّلة تبحث عن محفز أقوی یدعوهما إلی التمظهر عن طریق المشارکةالواعیة المخططة. إن حدوث مشارکة کهذه توفرللحاج مساحات أکبر للانتماء فی المطلق، فیما تعرب الکائنات عن طاقة وأشکال أمثل وأثری للتسخیر الألهی والطبیعی، وعبر التعاطی المتبادل والمتواصل یستبصر الإنسان الانحیاز الکلی نحو وجه اللّه، والتغلغل نحو معرفة الطاعة والطواعیة؛ لتتکامل من ثمصورة التکامل الإنسانی، وتتکافل معالم التشریع مع أسس التکوین.

فعند عبورصراط المیقات یکون قد حررّ الحاج فی تأملاته اللقاء بین الزمان والمکان، وتتصل هذ الصورة والحریة بینهما عند الوقوف علی عرفات مثلًا، فالوقوف هناک یشیر فی الحس الجماعی إشارات إحیاء الذاکرة الجمعیة، وکسب المسیرة البشریة التاریخیة التی شرعت من آدم وحواء علیهما السلام فی وحدة

ص: ۴۶

لحظة واحدة فقط، لحظة ويجب أن لا تكون مجردة عن الشكل، فاقترح التشريع الإسلامى الوقوف الطبيعى الجماعى حول شكل مادى حجرى.

الوقوف هذا وحركته الطبيعية إيماءة مثيرة يؤسسها التشريع فى أداء المناسك عامة نحو فكرة الإبداع والجمال فى عبادة الحج، حتى لا تتسرب الذاكرة وتندفع فى دفقة حين تكون جماعية تياريّة نحو الخيال المحض، والقفز نحو المجهول والمجهولية، والتى تتوتر بعيداً فى الخيالى، وتتجه إلى حيث الأسطورية والخرافة، وإذن فإن فى الوقوف بعرفات ذاكرة مسدّدة تخترق الزمن بإشارة وبسماح وبتمويل مكانى حيث يكون الوقوف فى التاسع من ذى الحجة (إن جبرئيل كان يطوّف إبراهيم فى المشاعر ويعلمه المواضع وهو يقول عرفت) (۱) أو (إن فيه تعارف آدم وحواء) (۲) أو (إن الناس يعترفون بذنوبهم فى المكان) (۳).

ما كان للذاكرة أن تتحرر لولا المرور التأملي بالميقات الذى يصمم على المكان وفى الزمان وحدة بين الزمان والمكان.

وكذلك عندما يمرّ الحاج على أطراف مكة فيواجه (المشعر الحرام، عرفات، مِنى) ويرى تلالًا من الحجر الصغير، وكيف أن الحجر المكسر الصغير لا ينتابه نضوب أو تكلس (وقد يبلغ من يرمى فى كل سنة ستمائة ألف إنسان- كل واحد منهم يرمى سبعين حصاة- ثم لا يرى هناك إلّامالو اجتمع فى سنة واحدة لكان غير كثير) (۴).

إن هذه الايحاءات تتماوج حول الإنسان الحاج، والإسلام حين يدعو إلى المثالية والتجرد وسط حضور هذه الأشكال إيماءاتها لا يدعو إلى الإقصاء الكلى لعالم المادة، وإنما لإشباع وتربية العاطفة وتأكيداً منه على نبالة وقداسة الأشياء والطبيعة، ولتتصاعد عوالم الاشياء والماديات إلى مثالها الأعلى، واذاك تنفتح لوحة الكون بكلّ أسرارها أمام الحاج وتبوح بمكنونها فتحدث عملية تفكيك،

۱- ۱ فى طريق الميثولوجيا عند العرب، محمد سليم الحوت: ۱۵۰ بيروت. دار النهار للنشر ۱۹۸۳.

۲- ۲ فى طريق الميثولوجيا عند العرب، محمد سليم الحوت: ۱۵۰ بيروت. دار النهار للنشر ۱۹۸۳.

۳- ۳ معجم البلدان. ياقوت الحموى. تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ۴: ۱۱۷ بيروت. دار الكتب العلمية ۱۴۱۰.

۴- ۴ التفسير الكبير. الرازى ۸: ۱۴۵.

ص: ۴۷

وإعادة نظم للموجودات فى حياة الحاج الفردية والاجتماعية والتوافق معها على أسلوبية اجتماعية راقية مؤيدة بطاقة وحنان طبيعيّين.

فلتجربة الإنسان مع الماديات وعوالمها قطبان، الأول: مع جواهرها والثانى: مع أشكالها وواقعها ومتى ما تكاملت رؤيته لكل الأبعاد فإنه يقرر فى مسيرته الحياتية المحتوى والمثال من جهة، والموضوع والصيغة من جهة أخرى، والإلمام بهذين القطبين فى طول الحياة يحدث توازناً اجتماعياً بين قوانين العقيدة والفكر وبين قوانين الواقع والمتغيرات، ومن هنا فلا يكون المسلم الواقعى متعسفاً فى تنظيم قضايا المجتمع والمستقبل والمرحلة، ولعلنا من هنا نضع لمسة أخرى فى تفسير مفاهيم ومصاديق العصمة والمعجزة والظهور. إذ ليس التكامل هذا بين الإنسان والآخر فحسب بل بينهما والمجتمع وبين الطبيعة والكون.

التنويع الذى يطرحه التشريع بخصوص مثالية التكامل مع الآخر والطبيعة والكون فى فريضة الحج، يتسع ليشمل تلوين إطار حياة مجتمع وطبيعة أرض وأعماق تاريخ ومساحة فضاء ويفترضه أولًا فى دائرة إنسان واحد (الحاج) بل فى فئة معينة من عمره.

التشريعات وكيفيات الأحكام فى مناسك الحج أكثر مما هى فى أى عبادة، فقد ترى أن عناوين النجاسة والطهارة والسهو والنسيان والغصب، وشرائط العقل والبلوغ والحرية فى بعض الفرائض تتجه كلّها نحو تحصين العبادة من غير الجائز أصلًا، أما فى عبادة الحج فإن هذه العناوين وأخرى مشابهة ترقى ليس إلى تحصين الحاج والحج من غير الجائز والحرام أصلًا فحسب، وإنما يُفرض نظام حديدى شامل على المحرمات والمباحات والمكروهات، وإلّا فإن قتل برغوث فى الصلاة لا يوجب إعادتها أو كفارة ما، وحتى مع الكراهية فإن الصلاة تقعصحيحة تامة. أما فى الحج فإن قتل الحيوان يفرض نمطاً معيناً من الإجراء، ولعل

ص: ۴۸

فی أداء الحج تکون فرص المباح أقل مما هی علیه فی العبادات الأخری «والشهرَ الحرامَ والهدی والقلائدَ» (۱)

إذ یجب عدم التعرض للحیوان إذا قُلد بقلادهٔ ویصبح فی أمان حتی وهو یأکل من علف غیرصاحبه من هنا فإن وحدهٔ الزمان والمکان تحدث سیلًا وتلاحماً بین المخلوقات التی یتدخل الزمان والمکان فی حیاتها وعمرها .. والمیقات یشیر إلی ذلک لتکون تجربهٔ الحج تجربهٔ روحیهٔ مع الطبیعهٔ .. مع الکون .. مع الذات والآخر .. مع الأشیاء کما هو واقعها .. مع الأشکال المادیهٔ کما هو انتماؤها الطبیعی الکونی؛ لتنطلق جمیعاً متهادیهً إلی محور خالقها.

القبلهٔ والجمال

لم یکن اختیار الکعبهٔ قبلهٔ للمسلمین سدیً، أو أنه مجرد تلبیهٔ لرغبهٔ الرسولصلی الله علیه و آله و سلم حین رآه سبحانه یقلّبُ طرفه بین الآفاق، وأن الاختیار للقبلهٔ الجدیدهٔ للدیانهٔ الخاتمهٔ لیس انقلاباً ضد القبلهٔ السابقهٔ فی البیت المقدس.

ملاحظهٔ هذین الأمرین والانتقال من قبهٔ الصخرهٔ إلی الکعبهٔ فی مکهٔ یحرر لنا فکرهٔ مهمهٔ هی ظاهرهٔ أرض اللَّه وصلاحها وأنها مع کائناتها محض خیر وفیض وجمال، وأنها تنطوی علی مثال قداسهٍ. إن هذه الفکرهٔ هی التی ترتکن علیها عقیدتنا بقبول الکعبهٔ قبلهٔ جدیدهٔ دائمهٔ وخالدهٔ.

فإن طرح «القبلویهٔ» عن المقدس وإضافتها إلی الکعبهٔ لا یخلُّ بطهارهٔ المکان السابق، وإن کان یضفی علی الجدید قداسهً.

فإن الجامع بین المکانین المحدّدین بقبهٔ الصخرهٔ والکعبهٔ أو غیرهما من الأماکن الأخری. هو کونهما طاهرین، وکان یمکن أن یکون أی مکان «کعبویاً» فی جههٔ الغرب أو الشرق مقدساً وطاهراً. لکن اللَّه اختار الکعبهٔ والبیت الحرام «فَلَنُولینَّکَ قبلهً ترضها» (۲).

۱- ۱ سورهٔ المائدهٔ. آیهٔ ۹۷.

۲- ۲ سورهٔ البقرهٔ. آیهٔ ۱۴۴.

ص: ۴۹

الاختيار هـذا يصبُّ فى اختيار أعظم وأهم وهو الدين الإسـلامى الجديد، الدين الذى حفظ المشترك الرسالى فى الأديان السابقة فيما اقتطع مرحلـة ما بعـد الديانه المسـيحية، مساحة تاريخية لخاتم الأديان، إن القبلة الجديدة اختيار حفظ لنا مشترك الطهارة والقداسة فى القبلة السابقة. لا بدَّ إذن من جديد .. جديد لا يفارق الثوابت الدينية الرئيسـية، ولا ينفصل عن المعطيات ووحدتها التى حملتها الأديان السـماوية، لكن يجب أن تكون القبلـة من الأمور الجديدة فى الديانة الجديدة الخاتمة؛ لتصـبح أمة المسـلمين فى حالة وتجربة، يمكن أن توازن فيها بين الخصوصـية والمشتركات الدينيـة، فلا يرى على الـديانات السابقـة- ورغم الفواصل الزمنية البعيدة بينها- أنها كانت تتجه نحو خصوصية مع ما سبقها أو تعاصر معها. وأقصى ما يصطلح عليه بالخصوصية هو نفسه الذى يصطلح عليه بالشمول والمشترك تجوّزاً، فالجديد فى تفاصيل الديانة الإسلامية جاء ليحرك المسلم نحو تسيس العالم البشرى وقناعاته من موقع ثنائية الخاص والعام فى التشـريع الإسلامى؛ ليضع العقلية العالمية وإبداعها فى قلب الكون وجهاً لوجه مع كلّ ما تلتزم به من خصوصية، ويطلُّ بها بالكامل على كلّ ما يمكن أن ينطوى على مشتركات.

القبلـة إذن فى كونها جديـداً إسـلامياً فهى تـدعو إلى الإبداع، وتوثيق المشاعر بالجمال، واسـتكناه العناصـر الجديدة فى عملية الإبداع الإنسانى .. كما أن القبلـة هى المقصـد الرئيس لفريضـة الحـج ومناسـكه، ومن هنا ترتبط الكعبة بفريضة الحج ارتباط الجمال بمفهومه وجوهره.

اتجاه الدلالات فى المناسک:

الذى يستنطق النصوص والأحكام التى تتعلق بالحج وشؤونه لا يمكن

ص: ۵۰

- إذا أراد أن يكونصورة عامة عن دلالاته وانحلالها فی الساحة الاجتماعية- أن يقرأها آيةً آيةً، أو حكماً حكماً أو مقطعاً مقطعاً؛ وإنما حتى تترشح وحدة مفهومية ذات طاقة عملية، عليه أن يتوقف عند مفردات النصوص والأحكام كأجزاء يُراد منها أن تؤسس لصيغة عامة ضابطة ومنظمة لكلّ الأبعاد من الداخل والخارج.

ولما كان الحج بإجماع علماء المسلمين (۱)هو ما يجب على المكلف المستطيع مرة واحدة فی العمر فإن ترميز (مرة واحدة فی عمر المكلف) تحرّك لنا إجماع النصوص والأحكام وتقودها نحو مصبٍّ واحد هو باختصار؛ المطلب الأعلى لعملية الحج بكاملها. وبقدر ما تندمج العناصر العبادية مع الاجتماعية والسياسية والوجدانية فی عملية الحج فإن لمدلول الحج حين يكون مرة واحدة فی العمرصورة مكثفة تحتشد فيها حزمة من الرموز معبأة بإمكانية السيطرة على مساحة الاجتماع البشری وليس الإسلامی فقط «وأذّن فی النَّاس بالحجِّ» (۲).

التأمل فی الصورة العامة للحج فی كيفيتیّ الإحرام داخل البيت الحرام وخارجه يقرّب لنا نظاماً خاصاً فی الربط بين الدلالات الماثلة فی أداء فريضة الحج، ويمكن تصنيف الدلالات إلی:

۱- الدلالات الرمزية.

۲- دلالات البعد الطبيعی (المكان+ الزمان).

۳- الدلالات الوجدانية.

تتسع عمارات النصوص المتعلقة بالحج لاستيعاب هذه الدلالات الثلاث.

ولا يمكن الانتقال إلی تطبيق حرفية النص أو الحكم دون ربط الدلالات السابقة بفعلية الحج الواقعية العملية الكبری. إذ ليس بمقدور قراءة الأحكام وحدها أن تؤسس لهذه الأبعاد والدلالات مالم نعتقد أولًا بجملة مفاهيم، وبمنتظم متسلسل

۱- ۱ راجع جواهر الكلام ۱۷: ۲۲۰ وكذلك المغنی ۳: ۲۱۷، وقد خالف فی ذلك الصدوق فی علل الشرايع: ۴۰۵ وقد استدل لذلك بما رواه بإسناده عن أبی جرير القمی، راجع كتاب العلل: ۴۰۵.

۲- ۲ سورة الحج. آية ۲۷.

ص: ۵۱

من المعطيات القرآنية الممتدة العامة.

فالحج المحمدى يتحرك بضوء ثنائية المفاهيم/ المعطيات ومتى ما أتقن الحاج وعى العلاقة بين الاثنين، وترتيب الآثار تنبع على الأثر القيمة الاجتماعية كإنعكاس حتمى للمطلب الأعلى، بيْدَ أن هناك تخليطاً أُستدرِج اليه المتحمسون يفيد أن مجرد التجمع الإسلامىالذى هو (معطى طبيعى) والذى تؤكده مسيرة الحج التاريخية منذ بداية التشريع وحتى الآن سوف يحرر لنا المضمون الاجتماعى الحقيقى لفلسفة الحج. وبالتأمل، فإن الوقفات السنوية الموسمية للحجاج يبقى كصيغة اجتماعية على مسافة بعيدة عن وحدوية الهدف القرآنى للحج. فليس فقط الطقوسية والتجارية أو طغيان الذهنية الفردية، أو الانسجام مع ثقافة الأنظمة السياسية الحاكمة فى بلاد المسلمين هى وحدها الأسباب التى أدّت إلى أن تكون شخصية الحج التاريخية محمّلة بالتراكمات والسلبيات، بل ادعى إلى ذلك أن تكون هذه الأسباب ظواهر ومظاهر لسبب أعمق يغور بحجم تأثير الزمن الذى غلّف مسارات أداء الحج وهو؛ الفصل بين المفاهيم (الحج كمطلب أعلى من عامة النصوص يلم بالدلالات الثلاث السابقة) وبين المعطيات التاريخية، ومع الاتجاه فإن الفصل ناتج من عدم وعى العلاقة بين مفاهيم الحج ومعطياته، بل إن الاندفاع فى هذا الاتجاه سوّغَ للبعض أن يضع ويركز على إحلال المعطيات محل المفاهيم، فأحدث هذا على المدى إرباكاً فى الأداء الدينى والاجتماعى للحج عليصعيدىّ الجماعة والفرد، ويضطر الحاج أن يكون منساقاً وراء العروض الطقوسية للفريضة، متنازلًا عن المكاسب التى تماثلت أمامه فى حضرة الأداء، وهكذا يكون ضحيةً فى عصر يُراد منه أن يكون متمثلًا روحية الحج وجماعته الإسلامية التى تهيكلت على شكل رسوم وخطوط بقوة ومن حوله وفيه فى دائرة المشاهد المقدسة.

ص: ۵۲

الطبيعة العبادية فى فريضة الحج أقرب من غيرها إلى معطيات الطبيعة والتكوين، ومن واقع تجربة يطالع فيها العبد الحاج حسيّة الجماعة التى تختلف عنه بمعظمها عن لسانه وعاداته ولونه وانتمائه القبلى، وإلى حدٍّ ما يتقارب مع التفاوت المذهبى، وبلحاظ هذا التطلع والتقارب بين الطبيعة والحج تتضحّ لنا الإثارات التى يثيرها القرآن الكريم والسنة الطاهرة بخصوص تعلق أغلب عناوين المناسك بموجودات طبيعية وأرضية معينة ومحددة، والتى تواصلت قوة وضعفاً منذ أن أمر اللَّه سبحانه خليله إبراهيم عليه السلام بإرساء قواعد البيت الآمن.

مجموعات كبيرة من الرموز المكانية والزمانية فى سياقات النص القرآنى والسنة المطهّرة تصلح أن تترافد كاشفةً عن المحتوى الجمالى لأداء المناسك وعن أصل هذا النوع من الجمال.

ولأن كلّ مفردة فى النص قابلة للالتحام مع وحدوية مضمون السياق، ولأن كلّ نص يتواشج مع آخر فى إطار الاندماج الموضوعى، فإن تياراً عنيفاً يصرف الذهن والخيال إلى معانٍ جليلة مقدسة، إذ الإنسان فى الحج وانطلاقاً من مكانية (الميقات) وبقدر ما يقصى عن طبيعته الآدمية التى خُلق بها كلّ المضافات الترابية، ويتجرد بكلٍّ توّهج فإنه من جهة يخلعُ عليه حُلةً ماديةً بيضاء (لباس الإحرام) إنما يتجلى عنصورة أمثل ليكون معرباً عن خروجه من عقده وحالِه ليندمج فى عقيدة وساحة أخرى فى ذات المكان والزمان الدنيوى؛ هى تلك رمزية تفيد استتلاء المضمون السليم إذ يصبح الحاج وهو يرتدى الإحرام ومعه الحجاج الآخرون بلون الفضاء الممتد بين تخوم الأرض وعنان السماء (فالكعبة ليست البناء الخاص المحدّد بل هى الفضاء الخاص الممتد من تخوم الأرض إلى عنان السماء) (۱).

إن القرية الكونية التى يضع الجمال الكونى مفاتيحها بيد الحاج لهى الساحة

۱- ۱ الوسائل ۳: ۲۴۷.

ص: ۵۳

التی تنشرح أفقیاً أمامه، وتتمحور حول شاقول یشق أحشاء الکون، فالصورة إذن لم تکن هدفاً بلا وسیلة، ولا هی بلا قوة فی التوظیف، ولا قوة بلا فعلیة متجسدة فی الواقع ... وعلیه فمن أین تبدأ الفعلیة المتجسدة؟ إنها تماماً من نفس بؤرة المیقات، وتمتد رجوعاً علی هدی خطّ أفقی إلی بلدة الحاج ووجوده الاجتماعی المباشر المتصل.

المفتاح الرئیس لصور الجمال المکانی فی الحج هو مفتاح المیقات بوصفه أو لکونه البؤرة التی تتلاحم فیه عناصر المکان والزمان، ومنه یصلح انفکاک زمان الحج ومکانه .. ویحمل هذا المیقات إشارة للدخول فی عالم الحج الخاص ألا وهی إشارة (الإحرام) التی ینطلق لسان التلبیة للتعبیر عن محتواها الداخلی .. وإذن فهناکصور کثیرة تدل علی جمالیة أداء المناسک نقتصر علیصورتین منها:

الصورة الجمالیة الأُولی لمکانیّة الحج:

تنطلق فریضة الحج من تصوّر هائل للمکان، ولعل أرقی ما یشیر إلیصورة التصور المکانی هذا هی آیة «وأذّن فی النّاس بالحجِّ یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامرٍ یأتینَ من کلّ فجّ عمیق» (۱)

. إذ تکثّف الصورة الفنیة فی سیاق الآیة، حرکة الإنسان وهی متجهة من الآقاصی، فالضامرات اللواتی حملن الناس من نقاط وأفجاج بعیدة، تدلنا علی رمزیة متحرکة بسرعة الرهان فی میدان سباق مشهود، وبقدر ما تکون الضامرات قد خاضت تجربة الذهاب إلی بؤرة المیقات، فهذا الأخیر یکشف عن مستویین جمالیین للآیة .. إذ تنحلّ عملیة (الاتیان) ومن ثم (یأتین) إلی ممارسة مباشرة مع المکان، وباستثناء الضرورات تصبح رحلة ما بعد المیقات المستوی الدلالی الآخر لرحلة ما قبل المیقات، وهنا تنبع حکمة خط العودة من الحج، ولعلّ انغراس مفردة (ضامر) ومفردة (عمیق) فی أفق النص

۱- ۱ سورة الحج. آیة ۲۷.

ص: ۵۴

يقصّ لنا عن محتويات المكان، وكائنات الطبيعة المطوّاعة المتمثلة للناس، وهى إشارة إلى تمرين الحج على الطبيعة، واشتراك المخلوقات ضمن إنسيابية التسخير مع الإنسان.

إن مفردة «عميق» تفرض مقاومة طبيعية على «ضامر» والمقاومة هذه متمثلة بطبيعة الخط المكانى المتصل (من كلّ فج) وينتج من الأمر بالحج حالة تعاطى «تعاطٍ» لمنظومة من القوى يفجرها فى الأداء التشكيل والتنويع، فيكون الإنسان الحاصد الأخير لجماع المعطيات، وبفضل كيفيات التسخير تتقد مفردة (يأتين) وتومض منها شواظّ تسلّط الأشعة ليس على مستطيل النص فحسب، وإنما على تحوّلات وتضاريس الخط المكانى الرابط بين سكن الحاج والميقات، بمعنى أن البؤرة من جهة والواقع من جهة أخرى يتعاطفان فى الإفصاح عن الخوافى والكوامن المعدّة تكوينياً وطبيعياً فى رحلة الحج، فيما يكون الحرص على تقريب المفاهيم تمهيداً للقراءة الواضحة البعيدة عن التغميض وتعسفات التأويل.

تبرز لنا القيمة الجمالية هدفاً من انسكاب السرد القرآنى فى خلاصات بيانية، وذلك فى اصطفاء الجمال كأرقى عملية لتوضيح المقاصد العليا للفريضة العبادية، والجمال لا ينبسط بصورة عامة فى عرض النص، إنما يترمز فى وقفات خاصة ومن عدة زوايا، وهذه الرموز تنقل النصّ نقلات هائلة، وهى تتقدم مع حداثة العصر وتأملات المياه المقدسة لسواقى القرآن، بحيث كلما يتسع المكان وتتنوّع تضاريسه وتتركب معطلاته وتعقيداته فإن نسغاً خالداً فى طول النص يعكس أطيافه، ويتوالد بعدة ألوان تغطى آخر قافية معرفية فى القرآن.

النسغ هذا: هو وجود الحقيقة المكانية فى النصوص كمكون وكجزءصميمى فى عملية الشروع بفريضة الحج، وفى أداء مناسكه على السواء. لكن وجودها فرع على وجود الأصل العبادى الخالص. وهذا هو التكافؤ الذى يحقق

ص: ۵۵

النسبیة المکانیة فی القرآن وفی الحج خاصةً «جعل اللّهُ الکعبةَ البیتَ الحرامَ قیاماً للنّاس» (۱).

النسبیـة المکانیـة هذه توِّلد لنا المعالجات والأسـلوبیة المتطورة، وتلائم بین المکان فی الخارج وحسـیته الواقعیة، وبین المحتوی الدینی الثابت لفریضة کالحج.

فعنصـر المکان هنا لم یکن مقترحاً من الخارج لتفسـیر النص، کما لم یکن مساعـداً کیمیاویاً مؤقتاً فی تجربة النص والحج، وإنما لکی ینسـحب الجدل ومعهصـعوبات الانسـجام فإن عنصـر المکان نابعٌ من ذات الصورة المعنویة للقرآن، وارتبط بجملة رموز طبیعیة تسجل للناقد الشـکلیة الجمالیة النسبیة؛ ولهذا تأخذ المشاهد المقدسة تسلسـلها فی القیمة والوسـیلة العبادیة دون أی انفراط أو ترّخص فی أیٍّ من مکونات عبادة الحج.

الصورة الجمالیة الثانیة:

الصورة الأولی کانت قـد تناولت الصـیغة الجمالیـة لمفردة حاج واحـد علی انفراد، ولذلک فهی إجراء فنی نقدی قرآنی یصـمم لحالة العلاقـة المثالیـة بین ما یجب أن تکون علیه کائنات الطبیعـة فی ارتباطاتها مع الحـج والحاج، أی إن الصورة الفنیـة وإن کانت لا ترکِّز علی حکم معین إلّاأنهـا تسـتبطن دعوة اجتماعیـة کونیـة یتعاطف فیها الإنسان مع غیره من کائنات الوجود .. دعوة أرقی ما یکون علیها حالة الحج والحاج الحقیقیة ... ولذلک اختیر المکان وینابیعه القصـیة (فج عمیق) لیمهد إلی تمارین أولیة .. وهو رسم علی المکان ... إذ توفرت أفعال ومفاعیل وروابط وأهداف وتحولات بین المنبع المکانی الواحد وحتی مفتاح المیقات.

الصورة التی نحن بصددها هی: أن الآیة السابقة تثیر فی الاجتماع الإنسانی

۱– ۱ سورة المائدة. آیة ۹۷.

ص: ۵۶

مقترحاً خلاصة الدين الإسلامى، وحسب كونه خاتم الأديان، وأنه لا نبىَّ بعد رسولها المصطفيصلى الله عليه و آله وعليه فإنها ذات مهمة رسالية استثنائية أى إنها عالمية تتبنى على ضوء الثبات والمتحرك فى التشريع المتداخل مع جزئيات وفواصل الخطّ التاريخى الصاعد من أجل تسيّس المستقبل والمصير الإنسانيين وتشدّهما بمحورية التوحيد الإلهى .. إن هذا ومع تنوّع أداء الحضارات والمدنيات، وتعقّل الذهنية وانسحابها عن النسبيات والمحدودات المادية، فإن الآية السابقة تركّز هذا الموج البشرى، وتستدعى موجاته بهدوءٍ نحو المسرى الطبيعى، وتحشّده نحو بؤرة مكانية واحدة كتمرين على وحدة العقيدة فى المستقبل .. البؤرة التى انطلق فيها نداء التوحيد المعبّر عن أصالة المشترك الفطرى الإنسانى. ولا بدَّ إذن من أن نواجه شكلًا مادياً يشبع الإحساس بالمكان، فكان الشكل المادى للكعبة يحقّق هذا الإشباع، ويستعرض عبر فضاءاته كلّ العواطف البشرية على الدوام؛ لأنه الشكل الوحيد الذى اتسع ويتسع لحركة الوجدان، وبنفس الوقت يتصل بالمطلق .. اتصالًا من الداخل حيث أداء المناسك المرتبطة بمركزية الشكل الكعبوى، وكذلك اتصالًا من الخارج وعلى السطح، حيث الخطوط النابعة من كلّ الأقاصى، كما هو شأن الدين الإسلامى حين يكون ولا بدَّ من ذلك دين البشر قاطبة.

فهناك منابع بشرية هائلة تسبح فى حركة دائبة، وتتجه فيما تنتظم أخيراً عبر قنوات الميقات، وكلما اقتربت الروافد البشرية من مصبات الميقات، فإن الدوائر المكانية على السطح وفى الخارج تصغر حتى تكون فيصغرٍ طبيعى، وحينما تقترب المحيطات من دائرة المركز (الكعبة) تصبح أنصاف الأقطار التى كانت فى الخارج أقطاراً تندمج وتتكثف وتتكيّف.

إن التماس مع الميقات والعبور إلى الكعبة يحرّر فى ذات الاتجاه المستقيم

ص: ۵۷

أشكالًا ورسوماً بعدد الكتل البشرية مما يحدث تحوّلًا هندسياً فى الروافد البشرية، عملية التحوّل هذه يرشحها الدخول فى الإحرام والشروع فى التلبية وأداء المناسك، فتتساوق الأعمال هذه مع تلاقى أنصاف الأقطار البشرية على دائرة ضيقة نسبياً، ويكاد ينعدم الفراغ المكانى (الخلاء) وتتماسك خلاياه فيحدث إحساسٌ كبيرٌ بأهمية اللوحة (الرقعة) المكانية المقدسة، وإذْاك تفرغ الروافد المكانية كلّ ما فى طبيعتها من لائقية مادية مقبولة، وتتواشج نحو التحام حقيقى يطيح بفوضوية الأجزاء، إن هذا يدعو إلى اعتبار قياسات جديدة للمكان ..

القياسات الجديدة للمواقيت والمشاهد تنبع من الذاكرة .. الذاكرة الجمعية التى هى سنة من سنن الفطرة.

المكان فى الصورة المقدسة هذه يصبح كائناً حيّاً فاعلًا، له موضوعية فى تجربة المناسك؛ ولذا يكون قابلًا لفرضيات الإنسان والاجتماع، لأن مواجهته بهذه القوة والامتداد المفروضة فى التشريعات والأحكام تضفى عليه لوناً من الحركة والتجدد والصيرورة، فلا يكون موضوعاً أو مادة للتاريخ أو حدثاً لزمان معين، إنما يصبح خلية منتجةً من خلايا الوجود تتعاطف إبداعياً مع طهارة الإنسان الحاج. يؤدى هذا إلى تلاشى المقاومة الطبيعية السلبية للمكان وعبر مقابلة اعتراف الحاج وقراره بإقصاء الأنا أو الذات المضافين واللذين هما طرفا النزاع والخصومة والمقاومة مع غفلة الطبيعة وتحجرها.

كلّ هذا يحدث فى لحظة الولوج إلى ما بعد الميقات .. وحين يتمُّ انسحاب الأنا المؤثثة بالكثير من التوابع المادية والترابية، تسلم الطبيعة إلى شكلها الأصيل، وتنتمى للحاج وتتصافح معه بقوة وعنف، وتتجلى عن مواقف ومشاهد مشرّفة طاهرة، تؤرخ وتضبط للإنسان حدود وكيفيات أداء المناسك، وتشترك فعلياً فى رسمصور السنن الشرعية الخاصة بفريضة الحج.

ص: ٥٨

التنـازل الطوعى الـذى يحـدث للـذات ومصافحـة الطبيعـة للحـاج، لم يكن وليـد لحظـة الولوج فى الميقات، وإنما وليـد مجموعـة من التحولات على المكـان يجمعها تمرين (يأتين من كلّ فـج عميق) وتطور عمليـة (الإتيان) إلى (يأتين) المركّزة المشـددة، فهـذا التنازل إذن كان قـد بـدأ ليشـطب عليـةَ الصـراع الـداخلى، وإذا ما شـعر الإنسان الحاج فعلًا أنه فى حضـرة تجربة يكون فيها الاتجاه عملياً نحو تصـفية منابع هذا الصـراع من داخله ومن موقع القرار والحكم، فإن ما يُسـمى بالصـراعات المادية الأخرى والعراك البشـرى والحروب والكوارث والنزلات التاريخية سرعان ما تتداعى وتنتفى حيثيتها.

الخلاصة التى يرسـمها القرآن الكريم لعملية تصـعيد التعاطف بين الإنسان الحاج ودواخله من جهة وبين العالم الخارجى وتحدياته من جهة أخرى تكمن فى دلالة الآية «وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للنّاس وأمناً» (١)

. فالأـمن وليس السـلام مصـداق التصالـح الكامـل فى مجتمـع الحـاج المقـترح مسـتقبلياً .. الأـمن هو أفصـح بيـان فى لغـة التعامـل مع الموجودات فى الكون، وما كان السلام يوماً حقيقةً اجتماعية مالم يشبع بالأمن الاجتماعى، فهو ليس إلّاحالة تعقب الحرب أو الخلاف ومن هنا فهو مهـدد بالاختراق من أحـد أو من كلا الطرفين، لكنه أى (السـلام) مناط بحركة الآتين على الضامرات من كلّ فج عميق .. إنه مـداخله مع نوعيـة القوى المقاومـة .. حتى إذا امتزج الجهـد الإنسـانى بحركـة الطبيعـة وتهـادى إلى الميقات كان يجب أن يتحول السـلام فيه إلى جوهر حياتى .. إلى حقيقـة وينطلق فى خطوة نوعيـة أرقى هى (الأمن). السـلام فى المنظور الاجتماعى ليس إلّا تـدبيراً قانونياً عازلًا يعتمله الإنسان والآخر مع أرضيـة وحيثية الصراع من أجل أن تكون الأسباب المؤدية ومقاومة الطبيعة حيادية، أو فى بعض الحالات يكون السلام مفروضاً، ويمتاز بالصيغة السلبية.

١- ١ سورة البقرة. آية ١٢٥.

ص: ۵۹

أما فی حالـة الأمن یکون السـلام نفسه منطویاً علی اطمئنان، کما أن الطبیعـة وعناصـر الصـراع والنزاع تنقلب إلی عوامل ایجابیـة تـدر بالرحمـة والبرکـة والحریـة .. أی تتصـل بأصالتها وفیضـها وجمالها الکونی، مما یجعلها فی التصاق مع جهـد الإنسان فی انتاج الهـدف الأعلی فی الأرض، وتسیّس باقی المعطلات.

ولعـل مفردة (میقـات) فیهـا إیحـاء وإیماءة علی توقیت الفصل بین ما هو سـلام وتطویره عبر تحوّلات مشاعر وألفاظ وحرکات ولباس الحجاج إلی ما یجب أن یکون علیه السلام، وبین ما یجب أن یکون علیه الواقع الأمنی العام لمجتمع الحاج.

فللأـمن فی وجـدان الإنسـان والحـاج ذاکرة عجیبـة، إذ إنه من وحی الفطرة ویـدّر من نمیرها ... ولها تعلق قـدیم فی مسـلکیة الجماعة الأولی ... وتشـکل مفردة الأمن معادلًا موضوعیاً لمجتمع الجنة ... ولقد توثبت ألفاظ بعینها علی تسـمیة بعض مناسک الحج وذلک ما نلحظه فی تسـمیة (مِنی): (إن جبرائیل علیه السـلام لما أراد أن یفارق آدم علیه السـلام قال له: تَمنَّ. قال: أتمنی الجنة، فسمیت- مِنی- بذلک لأمنیته). (۱)فهناک إذن ذاکرة جماعیـة راجعـة، تکیّف إثاراتها واسـتجاباتها أجواء تلاقی الروافـد البشـریة بین نقطتی المیقات وبـاقی مناسـک الحـج، وتـدعوها للتأمل وللالتحام حول شـکل مادی إلهی یـدعی (الکعبـة) بإعتباره مرکز کلّ دوائر أمکنـة الاجتماع الإنسانی فی النهایة.

هناک فرق خفی یؤشر لحالتین من توارد المشاعر فی سیاق الآیات التالیة:

«وإذ جعلنا البیت مثابة للناس وأمناً ... وعَهدنا إلی إبراهیمَ وإسـماعیلَ أن طهِّرا بیتی» (۲). «فسیحُوا فی الأرض أربعة أشْهرٍ» (۳). «أوَ لَم یَروا أنّا جعلنا حرماً آمناً» (۴). «.. فلا رفثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ فی الحجِّ» (۵).

۱- ۱ جواهر الکلام ۱۹: ۱۰۰.

۲- ۲ سورة البقرة. آیة ۱۲۵.

۳- ۳ سورة التوبة. آیة ۲.

۴- ۴ سورة العنکبوت. آیة ۶۷.

۵- ۵ سورة البقرة. آیة ۱۹۷.

ص: ۶۰

«... فإجعل افئدةً مِنَ النّاسِ تهوِى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون» (۱).

إننا نجد عليصعيد الآيات السابقة مجموعة إشارات:

أولًا: أن الأمن فيها يأخذ مستويات متعدّدة يتصاعد مع حركة الزمن، فمن البيت الحرام وأمر إبراهيم وإسماعيل إلى السياحة الزمنية المحددة بالأشهر الأربعة، إلى التركيز والتأكيد والاستفهام فى الآية الثالثة، وهى إشارة إلى غفلة الإنسان عن حقيقة البيت .. إلى تكثيف أدق لحالة الأمن وذلك فى نفى مطلق يشمل جنس (الجدال). وحتى مخاطبة الأفئدة وتوليف العلاقة بين البيت وما حوله.

ثانياً: امتزاج عناصر التكوين والتشريع، وذلك فى ورود فعل الأمر مقروناً أو متعلقاً بمفردة (الجعل).

ثالثاً: علاقة الأمن بالطهر، بالرزق، بالهوى، (الحب) وكلّها تؤشر اتساق الآثار العملية مع قوة الميل الإنسانى لمعرفة حقيقة البيت الحرام.

هذه الأمور الثلاثة لا ـ تلغى خصوصية كلّ آية عن الأخرى، فالآية الأولى ترمز إلى خصوصية البيت ذاته وطهارته من كل ما يشوّه معالمه ورسالته، وتبين بعض أحكامه وتأتى الآية الثالثة لتثير قضية خطيرة (الأمن) عبر مقطع (استفهامى) «أو لم يروا» وتقتطف الحسّ الإنسانى بمعية الذاكرة وتوجيههما نحو (أمن الحرم) فإن الرؤية هنا تمتزج بالرؤيا .. لكن الآية رشحت أولًا عنصر الحس فى مفردة (يروا) ثم عبر الاستفهام دمجت من بعيد عنصر الرؤيا، التأمل، الذاكرة «أو لم ...» إذ يكون الأمن هنا مسلكاً اجتماعياً وهدفاً متعلقاً بمشاهد الحج ويستتلى هذا ذاكرة كيف يكون مجتمع الجنة .. إن الآية ترمز إلى التفاتة دقيقة نحو المقارنة، والمقاربة بين مجتمع الجنة ومقترح قريب منه هو مجتمع

۱- ۱ سورة إبراهيم. آية ۳۷.

ص: ۶۱

الحجاج، لكن هذه الالتفاتة القرآنية لاـ تخلو من المضمون المكانى .. أى جهة الالتفاتة ... فتصبح (حرماً آمناً) شكلًا مادياً يفى بالمطالب الحياتية الدنيوية النقية، وسيان كان الشكل مادياً أم غير مادى فجماعة الحجاج لم يكونوا طبقة أو جهة متميزة عن الوسط الاجتماعى العام .. إنما هم يؤدون الحجّ ضمن أدوار معينة تحوى أروع محاكاة اجتماعية لوضعية الفائزين بالجنة، ويضعون اناملهم على أدق الحوافز التى تفصلهم عن تمثُل الدرجة العليا التى تطمح لها ذاكرة الجميع.

أما الآية الثانية فقد استخدمت مفردة (السياحة) وهو إشباع لطيف ليس لعموم المكان، بل لأخص رقعة فيه ... وهى حتماً ما تناسب الذوق السليم ...

وهذا توّجه كلى بلغة الوجدان إلى خلاصة الطبيعة الجميلة .. لكن الآية تحدّد السياحة بزمن محدّد حاد حاسم فيتدخل الأمر والتشريع، وهذا التحديد جاء من أجل مفهوم «الحج الأكبر» الذى يقع يوماً واحداً فى الأشهر الأربعة ... وكان بإمكان القرآن أن يسمى ويحدّد الحج الأكبر .. لكنه أى- القرآن- أراد أن تحدث جولة سياحية فى المكان وتتناهى إلى حصيلة زمنية .. وما كان لهذا الايقاع الزمنى والحج الأكبر أن ينسكب فى طهارة وفى اختتام المناسك، لو لم يكن هناك انتظار .. فالانتظار فى الآية جعل المكان فى حالة قلق .. أى إنه فى النهاية سيتكلس وسيسفر عن المشركين، ورغم أن أربعة الأشهر تحدّد يوم الحج الأكبر مع اختلاف بسيط فى الروايات (۱)إلّاأنها تتفق على أن الرسولصلى الله عليه و آله أرسل الإمام علياً عليه السلام لقراءة آيات البراءة من المشركين.

ولا بدَّ من حسم الموقف ... ولا شك فى أن جمرة الانتظار فى الآية ستنطفأ وتتجه الموجه باتجاه آخر .. فى زحمة تيار أقوى داخل البيت .. وهنا تنتظرنا الآية الرابعة ... وعند مقطع «ولا جدال فى الحج». وللإشارة؛ فإن الجدال نوع من الحوار الفكرى وضرب من التأمل والمناظرة ليس فيه فى ذاته حرارة وآلة أو

۱- ۱ تفسير الميزان ۹: ۱۴۹.

ص: ۶۲

سلاح، كما هو فى أشكال الصراعات الأخرى .. الانطلاقة نحو (اللاجدال) ستلقى فى النفوس نشوة الإحساس بالسرور .. إذ يعزل الحاج على دائرة المكان كلّ حوافز ومسوغات الجدل حتى عليصعيد الشعور والتأمل .. مما يدعو الذاكرة إلى أن تنداح أقوى؛ لأنها تحيا حالة قصوى من التهذيب والتشذيب ... وحتماً أن مستوىً كهذا من الصقل والاستقامة سينقّح لها الفراغ ... وتتوفر لها مجالات أكبر للتنقل والتذكير والإنابة.

ارتفاع حركة النفس والروح إلى مستوى الأمن الحقيقى، يعنى أنها تدخل فى تجربة التعايش الكامل مع الموجودات .. ولما كانت التجربة فى ضمن إطار شكل مادى وبتماوج بشرى مختلف، فإن هذا لا يجعل الإتقان سهلًا دون إنزال الدلالات الجمالية بكاملها فى عبادة الحج. مقطع «ولا جدال فى الحج» يصبّ فى بلورة موقف الحاج تجاه أنماط الحياة، التى تزخر بها الدوائر البشرية المتتابعة الدوران حول الكعبة والمناسك .. وهذا الموقف له قطبان، هما: الإنسان مع أخيه، والثانى: الطبيعة، ومهمة الحاج داخل البيت لا تسمح له بالتأجيل أو النقض فيها .. ولما كان هناك حركة دائبة للأشياء فمعناه أن قبالة الحاج نماذج مختلفة من كائنات الطبيعة والبشر .. وهى فى حالة حضور وامتثال واصغاء، فما تبقى إذن؟

إنها قيادة البشر والطبيعة وإلى من؟ قطعاً باتجاه المطلق. طالما تعرّف الحاج على نمطية الأسباب المعطّلة للانطلاق نحو اللّه سبحانه ومن قرب.

المطلق يعنى اللّه- سبحانه- ولا يمكن أن يستوعب الحاج كلّ المساحات والمسافات نحوه- سبحانه- حتى لو كان طاهراً .. لا يمكن له هذا مالم يصحب فى رحلته الفريدة التى تقع فى أول عمره أو وسطه أو أخريات أيامه عناصر أخرى لها استحقاق الوجود؛ تلك العناصر السايحة، التى تسبح بميلها الطبيعى فى الطبيعة، وأهم العناصر فى دنيا الطبيعة فى زمن الحج هو المكان، ومنه يُدرك أنه

ص: ۶۳

الصبغة الطاغيه على فريضة الحج .. وأن هذا المكان سوف يتّحد مع الزمان فيما بعد الميقات، ويحدث بينهما التعجيل فيما تعود الأمكنة بعد الاتحاد فى الميقات إلى حالتها الطبيعية المتناثرة فى الحرم وفيما حوله .. إن هذا الاتحاد والتعجيل يكون معنوياً ويرمز لها فى شكل الميقات، والتعجيل من القوة بحيث يصبح فى منظور الحج أن كلّ ما فى الطبيعة يحمل قابلية ومزاجية عبادية، وتنقلب نسبة البيت الحرام المنحوتة فيصدر الآية «مثابة للناس» إلى نسبة إلهية «طهّرا بيتى» ويتطابق اتجاه هذه الآية مع مدلول «وأتمّوا الحجَّ والعمرةَ للَّهِ» (۱).

على هذا فإن التحشيد الفنى فى الآية يشمل الطبيعة وما تنطوى عليه من أحجار ونبات وحيوان وهوام، إذ تقرر التشريعات حرمة الاعتداء عليها والتعهد بالقضاء والكفارة فى بعض حالات العمد والنسيان، إذ لم يكن قبل الميقات أى حرمة أو التزام ...

يكشف لنا الحج ومناسكه أن لغير العاقلات حرمة وبأى نسبة فإنها تشبه حرمة الاعتداء على الإنسان، بيد أن هذه الكرامة لم تكن وليدة العقل فى الكائنات غير الإنسانية .. إنما هى لحيثية الوجود ... فللموجود قدسية فى أىّ محل وشكل .. وهذا هو المشترك بين الإنسان وغيره فمعنى «أنسنة» الأشياء ليس إحلال العقل فيها، بل فى وعى علاقة الوجود وأنماطه بحركة الإنسان.

تزول كلّ الفواصل بين ما يسمى بالمكان الطبيعى، وبين ما يسمى بالزمان الطبيعى، فيما بعد الولوج فى الدائرة المتصلة بين البيت والميقات، ويتواصل هذا الالتحام بينهما حتى يوم النحر فينطلق الدعاء من فم الخليل عليه السلام «فاجعل أفئدة ...» وهو المصب والمستوى الاجتماعى الأخير للأمن الإلهى. وفى الآية نطالع مفردات (أفئدة- الثمرات- يشكرون) وهى محملة بومضات وجدانية تومئ إلى أن الفؤاد مكان يغلّف لبَّ الكيان الداخلى للإنسان، والثمرات هى لباب

۱- ۱ سورة البقرة. آية ۱۹۶.

ص: ۶۴

وجوهر النعم والأرزاق، فيما تنفرد مفردة يشكرون بأقصيصيغة إيقاع للحمد والثناء والاعتراف.

اللبـاب الثلاثـة وماتستتليه من جـذبات على المكـان تحـدّدلنا ذات الجهـة التى يعتاد أن تكون فيها معاً .. إذاً، إنها حركـة نحوها معاً .. وعبرها تترشـح رسالـة البحث عن الأمن الحقيقى، فليس هـذا الأخير خلوداً إلى اللـذة والراحة والاسـتلقاء، الأمن الحقيقى فى بيت اللَّه، وهو تجربة ومعركة تبدأ من الفرد، الذات، ولها آثار تكوينية وتشـريعية تصل إلى خارج البيت فضلًا عن داخله وحتى أهل إبراهيم عليه السلام وعلى جنبات وادٍ غير ذى زرع تلك المعطيات التى تكفلت الآية بإبرازها. إنها تصفية للذات فى كهوف الذات والذات الأخرى فى أروقة النفس الإنسانية وغوامضها، وهى بدورها نقلة مكانية مثيرة تشكل خطّ النهاية فيصيرورة المكان الإبراهيمى.

فى الـذات. وأين يقع هـذا الـذات؟ فى أى زاويـة من المكان تتناسل نوية الذات .. إنها مواجهة حساسة فعلًا تقتضـى متتاليات هندسـية على خط المكان، بعدما نزع الإنسان الحاج كلّ ما عليه من مقاسات يمكن أن تُستنفذ زواياها. لقد علمناأن بؤرة المكان التى توجهت نحوهـا «أنصـاف الأقطـار» من «كلّ فـج عميق» هى الكعبـة. فأين المكان الـذى تلوذ فيه الـذات وتتعرى على حقيقتها؟. من الطبيعى أن نفس الـذات لاـ تظفر بالتشـخيص السـليم، فلاـ بـد من ذات أخرى تـألف المسـلك الشائك، ووجهاً لوجه يتصالب الحاج مع أخيه فى أقرب نقطه مكانية وزمانية وهو يتقن الطواف والسعى والركعات ورمى الجمرات وغيرها. فما معنى «طهرّا بيتى للطائفين والعاكفين ..»؟ هـل فى إقصـاء رموز الوثنيـة والجاهليـة؟ هـل فى إبعاد اليهود والنصارى والمشـركين؟ وما معنى (والركع السـجود)؟ أو ليس الطائفون العاكفون مصلين؟ وهل توجدصلاة ومصلٍ بدون ركوع وسجود؟

ص: ۶۵

تساؤلات تتوالد ويتوارد طيفها ...

وقبل التلامس مع الإجابة يحسن بنا أن نذكر الخلاصات التى انتهت إليها الآيات الخمسة السابقة.

فالآيـة الأولى: قررت تطهير البيت، والثانيـة، قررت إشباع المكـان بالحركـة والانتظار، والثالثـة: قررت الأمن كـذاكرة جمعيـة والرابعة اقصت كلّ منابع الصراع على الصعيد النظرى فضلًا عن الصعيد المادى، فأقرت أن الأمن ينسحب على النفس فيمتّعها بالسرور، ثم قررت الآية الخامسة أن آل إبراهيم ومن ثم المجتمع وبقدر ارتباطهم بالبيت هم محل الرزق والثمرات والإلفة والمحبة.

هـذا التطوير فى تكامل الحرمـة البشرية كان قـد بدأ ولا زال ... وأنه مع الزمن لم ينته إلى النتائج المطلوبة بشكل كامل ... مما يجعل قسماً من النظرية فيصيغة فرض أو فرضية مجردة تلّح على برهانها ...

أيـن نعثر على البرهـان ليتحـول بـاقى النظريـة الافتراضـى إلى تجربـة عمليـة تامـة وأن تكاملهـا يعكس اجتماعيـة العقيـدة وعالميتهـا؟ التساؤلات السابقـة يعضّـدنا على معالجة واستنباط الحلول لها نفس مكان الحج، وفى واحد هو من أهم مناسك الحج .. كما أن الآية التى تضمنت الإشارة إلى الطائفين والعاكفين يتَجلى لنا ختامها وهو يقفل على بيان المطلع فيها فى مقطع (الركع السجود).

لمـا كـانت حركـة الحجـاج فى البيت ومن حوله من طواف وأشواط وهرولـة وذهـاب وإيـاب. ولمـا كان الطوّافون فى حركـة دائريـة، وباتجاه لا يحيد ولا تنفصل فيه أداء اليد اليمنى عن أداء اليسرى.

ولما كانت حركة السعى والأشواط بين الصفا والمروة هى التى تفصل بين الطوافين، وهى حركة أفقيه مستقيمة .. لما توضّح كلّ هذا؛ فإننا نحصل على نوعين رئيسيين من أنماط الحركة، ويشكلان أساساً لباقى الأنماط وهما: الحركة

ص: ۶۶

الدائريـة، والحركة المسـتقيمة ... وأن المكان الذيصـنف الحركة الواحدة إليصـنفين هو نفسه الذى سوف يعيد الاتجاه فى نمط أو نوع واحد.

الـدائرة والمسـتقيم على المكان هما أهم إحداثيتين اجتماعيتين للناس فى مناسك الحج وما عداهما ليس إلّاانحرافاً مسدداً بالتشـريع .. فالشكل الدائرى والمستقيم للحركة يمكن أن يتداخلا فى المكان الواحد فيشكلا معاً دائرة كبرى ومحوراً أكبر وقطراً أعظم.

لقـد كان الحاج قـد توصل إلى دائرة الكعبة، وذلك عبر التكرار المنظّم للطواف حولها، فهل تسـنى له أن يقطع أو يكرر الاندفاعة فى كلّ الخطوط المستقيمة ليلخصها، من ثم فى سباعية الأشواط بين الصفا والمروة؟

تلك مساءلة جمالية ... وليس بالضرورة أن تنفصل العبادة عن الجمال فى سائر الواجبات الدينية وخاصة الحج ..

إذنمـاذايقترح علينـا الحـج من مناسـك، ومن مكانيـة لاكتشاف الزاويـة التى يكمن فيها عملاق الـذات .. بعـدما اكتشـفنا أن سـياقات النصوص تقذف فى الذهن أن بؤرة المكان المشـعّةالمكتنزه هى الكعبة، فليس حتماًأن يكون الشـكل الدائرى أتمّ الأشـكال وأجملها، فهوبالتحليـل خـطّ مسـتقيم، قديتّضـح فىصوراخرى للأبعـاد المكانيـة فى مناسك الحـج، والتى منها وحـدة المركز المكانى المسـمى بالكعبة.

الهوامش:

الجحفة

اشاره

ص: ۸۲

الجحفة

عبد الهادی الفضلی

اکتسبت الجحفة أهمیتها کموضع جغرافی من العوامل التالیة:

۱- وقوعها مرحلة من مراحل طریق الهجرة النبویة الشریفة.

۲- کونها مفترق طرق تؤدی الی الحرمین الشریفین، والی ینبع حیث المرفإ البحری والطریق الشامی الساحلی.

۳- والعامل الثالث هو العامل الدینی حیث اعتبرت الجحفة شرعاً من المواقیت الخمسة، التی وقّتها رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم للحجاج والمعتمرین من المسلمین.

۴- وقد یضاف الی هذه عامل آخر، هو العامل التاریخی إذ مرت علی الجحفة عهود تقدم وازدهار، وعهود تأخر واندثار تسترعی انتباه الباحث وتستدعیه للبحث فیها.

وبغیة أن نتبین هذه لابد من تصنیف البحث- وفی ضوئها- الی النقاط التالیة:

ص: ۸۳

- اسمها.

- موقعها الجغرافى.

- تاريخها الماضى.

- حاضرها.

- دليل شرعيتها كميقات ومشروعية الإحرام منها.

- الطرق المارّة بها.

اسمها:

كانت تعرف قديماً باسم (مهيعة).

وضُبط الاسم لدى المشهور بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة تحت، وفتح العين المهملة، فتاء مربوطة.

وذكر السياغى فى (الروض النضير ۳/ ۱۴۲): أن القاضى عياضاً حكى عن بعضهم: كسر هائها، وعلّق عليه بأنه غير مشهور.

وهو مأخوذ من هاع هَيعاً- بفتح الهاء- وهيعاناً، بمعنى انبسط، أو من هاع هِياعاً- بكسر الهاء- بمعنى اتسع وانتشر.

قال الخليل فى (العين مادة هيع-): وطريق مهيع من التهيع، وهو الانبساط، وبلد مهيع أيضاً أى واسع، قال أبو ذؤيب:

فاحتثهن من السواء وماؤه بئر وعانده طريق مهيع وقد يرجع هذا الى اتساع واديها وانتشاره وانبساطه حيث يبدأ بغدير خم عند نهاية وادى الخرار واسعاً، ويستمر متسعاً ومنبسطاً حتى يصب فى البحر.

ثم سميت (الجحفة).

وضبط الاسم- من غير خلاف- بضم الجيم وسكون الحاء المهملة، وفتح

ص: ۸۴

الفاء، بعدها تاء مربوطة.

وذكر الاسم فى (الصحاح) بغير أل، وفى كثير من الكتب سواه بالألف واللام من أولها.

وسميت بهذا الاسم لأن السيل اجتحفها (۱) فى قصة أخوة عاد، التى ينسبها اللغويون الى ابن الكلبى المؤرخ المتوفى سنة ۲۰۴ ه، إذ زعم «أن العماليق (وهم ولد عمليق بن لاوذ بن ارم) أخرجوا بنى عَبيل- وهم أخوة عاد (بن عوض بن ارم)- من يثرب فنزلوا الجحفة- وكان اسمها مهيعة- فجاءَهم سيل فاجتحفهم فسميت جحفة» (۲).

وقد جاء فيما روى عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أنه استخدم الاسمين معاً، حيث نقل عنهصلى الله عليه و آله و سلم فيما رواه هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عنهصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال- عند دخوله المدينة المنورة وكانت يومها موبؤة-: «اللهم انقل وباء المدينة الى مهيعة».

وفيما رواه البخارى من طريق هشام أيضاً عن أبيه عن عائشة فى حديث هجرة النبيصلى الله عليه و آله و سلم، قالت: لما قدم رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم المدينة وَعِـَكَ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبتِ كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟، قالت:

فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبّح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله وكان بلال إذا أقلع عنه الحمّى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنّة وهل يبدون لى شامة وطفيل قالت عائشة: فجئت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فأخبرته، فقال: (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ، وصححها، وانقل حمّاها الى الجحفة).

۱- ۱ قال ابن سيده: سيل جُحاف- بالضم- يذهب بكلّ شيء ويجحفه أى يقشره. انظر: اللسان- مادة جحف.

۲- ۲ انظر: اللسان والتاج- مادة جحف.

ص: ۸۵

وكذلك استخدم الاسمان فى حديث أهل البيت عليهم السلام، ففيصحيح أبى أيوب الخزاز- الآتى فيما بعد- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال .... (ووقّت لأهل المغرب الجحفة، وهى عندنا مكتوبة مهيعة) (۱).

ولا يزال الاسمان يستعملان فى بعض الكتب الشرعية، إلّاأن اسم مهيعة انحسر من الاستعمال الاجتماعى، فلا يعرف المكان عند أبناء المجتمع سواء كانوا من أبناء المنطقة أو غيرها إلّاباسم الجحفة.

موقعها الجغرافى:

اتبع الجغرافيون القدامى لتحديد الموقع الجغرافى لأىموضع يقع على طريق معروف المقياسين التاليين:

۱- ذكر المدينتين الرئيستين اللتين يبدأ الطريق بإحداهما وينتهى بالأخرى، فيقولون- مثلًا- الموضع الفلانى يقع بين مكة والمدينة، أو بين البصرة والكوفة.

۲- تقدير الموضع بالمرحلة بالنسبة الى إحدى المدينتين، فيقولون- مثلًا- هو على مرحلتين من مكة، أو على ثلاث مراحل من الكوفة.

وتابعهم على ذلك بعض الفقهاء كما سنرى فى ذكر مصادر التحديد فيما يلى:

ففيصحاح الجوهرى ولسان ابن منظور حددت بموضع بين مكة والمدينة (۲). وكما ترى، أن مثل هذا التحديد لا يعيّن الموقع بالضبط والدقة، وذلك لكثرة المواضع الجغرافية بين مكة والمدينة، ولذا حاول بعضهم أن يكون أقرب الى ضبط الموقع، فقال: هى منزل أو مكان بين مكة والمدينة، قريب من رابغ، بين بدر وخليص، كما فعل هذا الفيومى فى (المصباح المنير)، والطريحى فى (مجمع البحرين) (۳).

۱- ۱ معجم ما استعجم ۱/ ۳۶۷- ۳۷۰.

۲- ۲ انظر: مادة جحف فيها.

۳- ۳ انظر: مادة جحف فيها.

ص: ۸۶

ومتى علمنا جغرافياً أن القرى المشهورة، التى تقع على هذا الطريق بين (بدر) و (خليص) هما (رابغ) و (مستورة)، وأضفنا اليه القرينة التى ذكراها، وهى أن الجحفة قريبة من رابغ، وليس من مستورة، يكون التحديد- هنا- أقرب الى تعيين الموقع، إذ إننا وعلى مقياس آخر من المقاييس المستخدمة قديماً، وهو سؤال سكان المنطقة عن الموقع، يكون التحديد قد أوقفنا على الموقع الجغرافى لها.

أما تحديد الموقع بالمرحلة، فقد قدّر بالتالى:

- ثلاث مراحل من مكة (۱).

- أربع مراحل من مكة (۲).

- خمس مراحل من مكة (۳).

- ست مراحل من المدينة (۴).

ويرجع هذا الاختلاف فى عدد من المراحل بين ثلاث وأربع وخمس الى الاختلاف فى:

۱- المراد من المرحلة.

۲- الطريق.

فالقائلون بالثلاث أرادوا بالمرحلة المسافة بين المنزلين، وبالطريق طريق الهجرة.

والمنازل فى هذا الطريق من مكة الى الجحفة، هى: مكة- عُسفان- خيمة أم معبد- الجحفة.

فالمسافة بين مكة وعسفان مرحلة، وبين عسفان والخيمة مرحلة، وبين الخيمة والجحفة مرحلة.

والقائل بالخمس أراد بالمرحلة المنزل، وبالطريق الطريق السلطانى،

۱- ۱ الروض النضير ۳: ۱۴۲ والروض المربع ۱: ۱۳۵ ولسان العرب مادة جحف: حكاه عن البكرى.

۲- ۲ معجم البلدان ۲: ۱۱۱.

۳- ۳ معجم معالم الحجاز ۲: ۱۲۲.

۴- ۴ معجم البلدان ۲: ۱۱۱.

ص: ۸۷

ومنازله- بعد مکۀ- هی: ۱- الجموم ۲- عسفان ۳- الدف ۴- الطارف ۵- الجحفۀ.

وکذلک القائل بالأربع أراد بالمرحلۀ المنزل، وبالطریق الطریق السلطانی، إلّا أنه حذف (الطارف) لعدم ذکره فی بعض الخرائط.

أما المعاصرون من الفقهاء فاتبع بعضهم فی تحدید الموقع الجغرافی للجحفۀ مقیاس المسافۀ المقدرۀ بالکیلو متر.

منهم: السید الکلبایکانی فی رسالته العملیۀ (مناسک الحجّ) قال:

«والمسافۀ بین جحفۀ ومکۀ المکرمۀ مائتین وعشرین کیلو متراً تقریباً» (۱).

ومنهم: الشیخ سید سابق فی کتابه (فقه السنّۀ ۱/ ۶۵۲) قال: «ووّقت لأهل الشام الجحفۀ: موضع فی الشمال الغربی من مکۀ، بینه وبینها ۱۸۷ کیلو متراً».

والمسافۀ- کما فی خریطۀ وزارۀ المواصلات السعودیۀ للطرق البریۀ فی المملکۀ- من مکۀ الی مطار رابغ ۱۸۰ کیلو متراً، ومن مطار رابغ الی الجحفۀ ۹ کیلومترات، فالمجموع ۱۸۹ کم.

والمواضع التی یمر بها الطریق حالیاً هی:

- مکۀ.

- الجموم.

- عسفان.

- خلیص.

- المفرق (مفرق الطریق الی جدۀ والمدینۀ).

-صعبر.

- رابغ (مطار رابغ الواقع قبل مدینۀ رابغ من جهۀ مکۀ المکرمۀ وبعدها من

۱- ۱صوابه نحویاً: مائتان وعشرون. ومن غیرشک أنه جاء من خطإ المترجم عن الأصل الفارسی أو من الناشر.

ص: ۸۸

جهة المدينة المنورة).

- الجحفة.

يسلك إليها الآتى من مكة يمنة الطريق، والآتى من المدينة يسرة الطريق- كما سأوضحه فيما بعد.

والذى حدّد المسافة بست مراحل من المدينة المنورة أراد بالمرحلة المنزل وبالطريق السلطانى أيضاً.

ومنازله بعد المدينة- هى: ١- الفريش ٢- المسيجيد ٣- السقيا ۴- بئر مبيريك ۵- الابواء ۶- الجحفة.

ونخلص من جميع ما تقدم- وفى هدى ماذكر عليصفحات الخرائط- الى النتيجة التالية:

١- تقع الجحفة شرقى مدينة رابغ مع ميل الى الجنوب.

٢- يوصل إليها بسلوك أحد طريقين يدلفان إليها من طريق المدينة مكة جدة العام:

أ- أحدهما من مركز مدينة رابغ، وطوله ٢٢ كم.

ب- وثانيهما من مطار رابغ وطوله ٩ كم.

تاريخها المعاصر:

إن قصة نزول بنى عَبيل الجحفة بعد أن أخرجهم العماليق من يثرب- التى تقدمت الإشارة إليها- تشير الى قدم الجحفة، والى أن تاريخها يرجع الى ماقبل الإسلام.

قال الزبيدى فى (تاريخ العروس: مادة جحف): «وكانت تسمى مهيعة، فنزل بها بنو عَبيل- كأمير باللام، وهو الصواب، وفى بعض بنو عُبيد كزبير

ص: ۸۹

بالـدال، وهو غلط- وهم أخوة عاد بن عوص بن ارم، وكان أخرجهم العماليق، وهم من ولـد عمليق بن لاوذ بن ارم من يثرب، فجاءهم سيل الجحاف، فسميت جحفة، قال ابن دريد: هكذا ذكره ابن الكلبى».

والعمالقة- كما يعرّفهم القلقشندى (۱): «قبيلـة من العرب العاربـة والبائدة، وهم بنو عمليق- ويقال عملاق- بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السـلام، وهم أمّـة عظيمـة يضـرب بهم المثل فى الطول والجثمان، قال الطبرى: وتفرقت منهم أمم فى البلاد، فكان منهم أهل المشرق، وأهل عُمان والبحرين والحجاز، وكان منهم ملوك العراق والجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر».

أما بنو عَبيل فذكرهم القلقشندى (۲) عن ابن الكلبى بالدال، فقال: «بنو عبيد: قبيلة من العرب البائدة، قال ابن الكلبى: وهم بنو عبيد بن أرم بن سام بن نوح- عليه السـلام- وقيل: عبيـد بنصـداد (شداد) بن عاد بن عوص بن سام، قال فى العبر: وكانت منازلهم بالجحفة بين مكة والمدينة، وهو ميقات الإحرام لأهل مصـر، فهلكوا بالسيل، ويقال: إن الجحفة بين مكة والمدينة، وإنما سميت الجحفة؛ لأن السيل أجحف بها وخربها.

قال المسـعودى: ومنهم الذى اختط مدينة يثرب، وهو يثرب بن باسة بن مهلهل بن أرم بن عبيل، والذى ذكره السـهيلى: أن الذى اختط مدينة يثرب هو ابن عبيل هذا».

ويبدو أن الجحفة بقيت عامرة بعد سـيل الجحاف حتى القرن الخامس الهجرى، فقد ذكر البكرى البلدانى المتوفى سـنة ۴۸۷ ه الجحفة فى كتابه (معجم ما اسـتعجم ۱/ ۳۶۷) وعرّفها بقوله: «وهى قرية جامعة لها منبر». ووصـفها بأن فى أولها- أى من جهة المدينة- مسـجد النبيّصلى الله عليه و آله و سلم بموضع يقال له (عزور)، وفى آخرها- أى من جهة مكة- عند العلمين مسجد الأئمة.

۱- ۱ نهاية الأرب ۱۴۲.

۲- ۲ م. س ۳۲۱.

ص: ۹۰

وربما کان خرابها فی القرن السادس الهجری، ویفاد هذا مما جاء من تعریف لها فی (معجم البلدان ۲/ ۱۱۱) فقد قال مؤلفه یاقوت الحموی المتوفی سنة ۶۲۶ ه: «الجحفة- بالضم ثم السکون فالفاء- کانت قریة کبیرة ذات منبر ... وهی الآن خراب».

والذی یظهر أنها بقیت خراباً حتی عصرنا هذا.

وقد یرجع هذا الی ما تُمنی به المدن والقری الواقعة علی الطرق العامة عند عدول السابلة الی طریق آخر فتهجر لانقطاع مورد المعیشة فیها، وهو تعامل أهلها مع السالکة والسابلة المارة بها.

حیث یفاد مما یذکره الرحالة من مصریین ومغاربة (۱)أن طریق الحاج من المدینة المنورة الی مکة المکرمة المار ب (بدر) ف (الجحفة) عدل عنه، فانحدر من (بدر) الی (مستورة) ف (رابغ).

هذا کلّ ما وقفت علیه من تاریخها الماضی، وبخاصة فی العهد الإسلامی.

ونستطیع أن نخلص منه الی النتائج التالیة:

۱- أن الجحفة حتی القرن الخامس الهجری کانت قریة کبیرة جامعة ذات منبر.

۲- وکان یطلق علی أولها- للداخل إلیها من جهة المدینة المنورة- اسم (عزور)، وکان فیه مسجد یقال له (مسجد النبیّ)، وهو المسجد الجامع الذی فیه منبرها لإقامةصلاة الجمعة.

۳- وفی آخرها- للخارج منها إلی جهة مکة المکرمة- مسجد یقال له (مسجد الأئمة).

۴- وفی نهایتها- من جهة مکة المکرمة أیضاً- عَلَمان أی علامتان من البناء الثابت لبیان حدود المیقات أو نهایة المیقات.

۱- ۱ انظر: علی طریق الهجرة، للبلادیص ۶۰.

ص: ۹۱

حاضرها:

قمت بثلاث زيارات ميدانية أو رحلات استطلاعية لموقع الجحفة فى التواريخ التالية:

۱- الرحلة الأولى فى أوائل سنة ۱۴۰۲ ه.

۲- الرحلة الثانية فى ۷/ ۵/ ۱۴۰۲ ه/ ۲/ ۳/ ۱۹۸۲ م.

۳- الرحلة الثالثة فى ۱۸/ ۶/ ۱۴۰۹ ه/ ۲۵/ ۱/ ۱۹۸۹ م.

ففى الرحلة الأولى: ذهبت إليها من جدة بسيارة سوبربان شفرليت، وكان برفقتى ولدى إياد، وعندما وصلنا مطار رابغ نزلت يمنة الطريق إلى أرض رملية‌صخرية غير ممهدة، وليس فيها علامات واضحة يهتدى بها السائر الى الجحفة، فتوقفنا خشية أن نضل الطريق ريثما نرى من نسير معه، فأقبلت علينا سيارة داتسون وانيت فاستوقفتها وسألتُصاحبها عن الطريق، فقال: معى لأن طريقى يمر بالميقات، وعندما بانت لنا منارة المسجد انطلق الى جهته مسرعاً وتركنا نتخذ من المنارة مناراً نهتدى به. وحين وصلنا عند باب المسجد ترجلنا ودخلنا المسجد، فرأيناه قد لعبت به سوافى الرمال وغطّت فرشه، ورأينا فيه خزانات ماء للاستسقاء ومنها للغسل فى حماماته الملحقة به. وبالتفاتة الى إحدى زوايا المسجد رأينا بدوياً متوسداً يده وغاطاً بنوم عميق، وقدرنا أنه خادم المسجد فأيقظناه وسألناه بعض الأسئلة عن الموقع، فقال: إن هذا المسجد شيد قريباً من قبل الحكومة السعودية وملاصقاً لأسس المسجد القديم، وأرانا شيئاً منها، وهى آثار مسجد الأئمة الذى تقدم ذكره، ثم أرانا بجواره بئراً قديمة مطمورة، ثمصعدنا على سطح المسجد ورأينا على بعد ستمائة متر شرقى هذا المسجد بئر ماء ليست بالقديمة يستقى منها الرعاة وأعراب المنطقة، ثم أشار الى امتداد قرية الجحفة حتى قصر علياء، ولأن سيارتنا ليس

ص: ۹۲

فیها (الـدبل) المساعـد علی السـحب، لم نسـتطع الذهاب إلیه لمعرفة مسافة القریة القدیمة طولًا لوجود کثبان کثیرة من الرمال تجمعت بفعل السیول، فشکرناه، وعدنا أدراجنا الی جدة.

وفی الرحلـة الثانیـة اسـتعرت سـیارة جیب تویوتا، وصـحبت معی ولدی عماداً، وکان برفقتنا خاله المرحوم السـید یاسـین البطاط، وابنه السـید فاضل، وتجاوزنا المسـجد المذکور الی قصر علیاء، ویبدو من أطلاله أنه أثر عباسی، والی جنبه آثار سوق قدیمة وطریقصخری عفّی علیها الذاری. والمسافة بین المسجد الماثل وأطلال القصر أربعة کیلومترات أو تزید قلیلًا.

وفی الرحلـة الثالثـة کان مرکبنا سـیارة جیب تویوتا أیضاً، مسـتعارة، والرفقـة: الخطیب الشـیخصالح العبیدی والشاب عابد العلّاسـی من جدة، وولدای معاد وفؤاد، وابنا عمتهما السـبطان السیدان الحسن والحسین الخلیفة، ورأینا الطریق من مطار رابغ حتی المحرم قد عبدته الحکومة السعودیة وزفتته، وذلک بطلب من الحکومة الإیرانیة.

کما أننا رأینا مسـجداً جدیـداً کبیراً شـید علی موقع المسـجد السابق بعـد تهدیمه، وفیه مرافق من مراحیض وحمامات للرجال وللنساء، عملته الحکومة السعودیة بعد تزفیت الطریق المذکور.

وأیضاً رأینا الی جانب قصـر علیاء- کما یسمیه أعراب المنطقة، ولم أعرف وجه التسمیة- قریباً منه، مسجداً آخر، غیر مسقوف، قیل إن الذی بناه رجل من شیعة حرب القاطنین بوادی الفرع.

«ویسکن أرض الجحفة الیوم قبائل من زبید، منهم: الزنابقة والروایضة والعصلان، تخالطهم عناصر من عوف» (۱).

ونخلص مما تقدم الی التالی:

۱- ۱ علی طریق الهجرة ۵۷.

ص: ۹۳

۱– المسجد المحرم يقع فى أرض تلاصق آثار مسجد الأئمة، قبيل نهاية القرية القديمة من جهة مكة.

۲– وفى نهاية القرية القديمة من جهة المدينة المنورة، أى فى حى عزور تقوم أطلال قصر علياء.

۳– الى جانب قصر علياء مسجدصغير غير مسقوف أنشىء حديثاً.

۴– والمسافة ما بين المسجدين لا تزال رمالًا وصخوراً، لا تسلكك إلَّا بسيارة جيب وأمثالها.

۵– الطريق من المسجد الَمحْرَم الى طريق المدينة– مكة العام مزفت، وبطول تسعة كيلومترات.

۶– ومن رؤيتنا لآثار القرية القديمة تحققنا من أن المسجدين الحديثين المذكورين، وما بينهما من الميقات، ذلك أن الميقات هو القرية الماثلة حالصدور النصوص الموقتة لها.

دليل شرعيتها:

ويتلخص الدليل على اعتبار قرية الجحفة ميقاتاً بالتالى:

۱– السيرة العملية القطعية المتصلة بعصر التشريع، المسلمون يحرمون منها منذ عصر النبِّيصلى الله عليه و آله و سلم حتى عصرنا هذا.

۲– اتفاق فتوى فقهاء المسلمين وتسالمهم على ذلك.

۳– النصوص الشرعية المعتبرة، وهى كثيرة، منها:

–صحيح معاوية بن عمار عن أبى عبداللّه عليه السلام، قال: من تمام الحجّ والعمرة أن تحرم من المواقيت التى وقّتها رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، لا تجاوزها إلّاوأنت محرم، فإنه وقّت لأهل العراق– ولم يكن يومئذ عراق– بطن العقيق من قبل أهل العراق،

ص: ٩٤

ووقّت لأهل اليمن يلملم، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل المغرب الجحفة، وهى مهيعة، ووقّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت ممّا يلى مكة فوقته منزله (١).

-صحيح أوحسن الحلبى، قال: قال أبو عبداللَّه عليه السلام: الإحرام من مواقيت خمسة وقتها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم لا ينبغى لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها، وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة، وهو مسجد الشجرة يصلى فيه، ويفرض الحج، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل نجد العقيق، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل اليمن يلملم، ولا ينبغى لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم (٢).

-صحيح أبى أيوب الخزار، قال: قلت لأبى عبداللَّه عليه السلام: حدثنى عن العقيق أوقت وقته رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، أو شيءصنعه الناس؟ فقال: إن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ووقت لأهل المغرب الجحفة- وهى عندنا مكتوبة مهيعة- ووقت لأهل اليمن يلملم، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل نجد العقيق وما انجدت (٣).

-صحيح على بن رئاب، قال: سألت أبا عبداللَّه عليه السلام عن الأوقات، التى وقتها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم للناس، فقال: إن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، وهى الشجرة، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل اليمن قرن المنازل، ووقت لأهل نجد العقيق (۴).

- وعن ابن عباس: أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: هن لهم، ولكل آتٍ أتى عليهن من غيرهن، ممن أراد الحجّ والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة (۵).

١- ١ الوسائل: الباب ١ من المواقيت.

٢- ٢- الوسائل: الباب ١ و ١١ من المواقيت.

٣- ٣- الوسائل: الباب ١ من المواقيت.

۴- ۴- الوسائل: الباب ١ من المواقيت.

۵- ۵ المحلى ٧/ ٧١ عنصحيح مسلم ١/ ٣٢٨.

ص: ۹۵

وقد أفاد فقهاؤنا الإماميون فتواهم من هذه، ونصّوا عليه:

ففی (فقه الرضا) (۱)و (المقنع) (۲): «وقّت لأهل الشام المهیعة وهی الجحفة».

وفی (الهدایة» (۳) و (المقنعة) (۴): «وقت لأهل الشام الجحفة»، وکذلک فی (النهایة) (۵)و (الجمل والعقود) (۶) و (السرائر) (۷) وفی (المواسم) (۸) و (الجامع) (۹): «ومیقات أهل الشام الجحفة». وفی (الاصباح) (۱۰) و (الغنیة) (۱۱): «ولأهل المدینة مسجد الشجرة اختیاراً، واضطراراً الجحفة، وهی المهیعة، وهی میقات أهل الشام اختیاراً».

وهذا المذکور فی (القواعد) من أن الجحفة میقات اضطراری لمن لم یحرم من ذی الحلیفة عند مروره علیه، واختیاری لمن لم یمر علی میقات قبله، هو رأی مشهور فقهاء المسلمین، ما عدا المالکیة من المذاهب السنّیة فقد ذهبوا الی أن الجحفة میقات تخییری لمن مرّ علی المدینة من أهل الشام خاصة، فیتخیر الشامی المار بالمدینة بین الإحرام من ذی الحلیفة والإحرام من الجحفة.

قال ابن حزم فی (المحلّی) (۱۲): «وفی بعض ما ذکرنا خلاف .. ومنه: أن المالکیین قالوا: من مرّ علی المدینة من أهل الشام خاصة، فلهم أن یدعوا الإحرام الی الجحفة؛ لأنه میقاتهم، ولیس ذلک لغیرهم».

ولعلهم بهذا یأخذون بظاهر الأمر الوارد فی بعض نصوص التوقیت من غیر اعتبار لقرینة أن طریق الشامیین عصر التشریع (صدور النصوص) کان علی الجحفة.

ومن هذه النصوص ما رواه الامام مالک فی (الموطأ) (۱۳) عن عبداللّه بن عمر «أن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم قال: یهلّ أهل المدینة من ذی الحلیفة، ویهلّ أهل الشام من الجحفة .. الخ» ..

۱- ۱ الینابیع الفقهیة ۴.

۲- ۲ م. س ۲۰.

۳- ۳ م. س ۴۸.

۴- ۴ م. س ۶۹.

۵- ۵ م. س ۱۷۴.

۶- ۶ م. س ۲۲۷.

۷- ۷ م. س ۴۶۷.

۸- ۸ م. س ۲۳۹.

۹- ۹ م. س ۶۹۷.

۱۰- ۱۰ م. س ۲۵۶.

۱۱- ۱۱ م. س ۴۱۷.

۱۲- ۱۲ /۷ ۷۲.

۱۳- ۱۳ /۱ ۳۰۶- ۳۰۷.

ص: ۹۶

وعنه أیضاً أنه قال: «أمر رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم أهل المدینة أن یهلوا من ذی الحلیفة، وأهل الشام من الجحفة .. الخ).

وإلیه ذهب بعض فقهائنـا الإمامیین- مع فارق عـدم قصـره علی أهل الشام- اسـتناداً إلی بعض النصوص الدالـۀ بظاهرها علی هـذا، قال الشیخ المظفر فی (کتاب الحجّ من شرح القواعد) (۱): «هذا کلّه فی میقات أهل المدینة اختیاراً وأما اضطراراً فمیقاتهم الجحفة- وهی المهیعة- بلا کلام فی جواز الإحرام بها اضـطراراً، بل قیل بجوازه اختیاراً لقوله فیصـحیح علی بن جعفر علیه السلام: «وأهل المدینة من ذی الحلیفـۀ والجحفـۀ» فـإنه ظـاهر فی التسـاوی بین الوقتین فیتخیر بینهمـا اختیـاراً، ودعوی إجماله لاحتمال إرادة الجمع بینهما باطلـۀ، لمعلومیة عدم لزوم الجمع بین وقتین فلا بد من أن یراد التساوی بینهما.

وصحیح معاویة بن عمار: «عن رجل من أهل المدینة أحرم من الجحفة، فقال: لا بأس».

ونوقش فیه باحتمال مرور الرجل علی طریق الشام فأحرم من الجحفة، وتخیل السائل لزوم إحرامه من الشجرة وإن مرّ علی غیرها لکونه من أهل المدینة فأجابه الإمام بعدم البأس.

ویشـکل بـأن الاحتمال لو سـلم لا یضـر فی العموم المسـتفاد من ترک الاسـتفصال الشامل لصورة الإحرام من الجحفـۀ مع خروجه من المدینة.

وصـحیح الحلبی: «من أین یحرم الرجـل إذا جـاوز الشـجرة؟ قـال: من الجحفـۀ، ولاـ یجـاوز الجحفـۀ الّا محرماً»، فإنه أجاز الإحرام من الجحفة من دون تقیید بالاضطرار وعسر العود إلی الشجرة، بل هو ظاهر فی الاختیار لقوله «ولا یجاوز الجحفة إلّامحرماً».

وصحیح أبی بصیر: «قلت لأبی عبداللّه علیه السلام: خصال عابها علیک أهل

۱- ۱ ۱۱۷- ۱۱۸.

ص: ۹۷

مكهٔ، قال: وما هي؟ قلت: قالوا: أحرم من الجحفهٔ ورسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم أحرم من الشجرهٔ، فقال: الجحفهٔ أحد الوقتين، فأخذت بأدناهما وكنت عليلًا» فانه ظاهر بأنهما بمرتبهٔ واحدهٔ فی الإجزاء اختياراً، فلا يضر الأخذ بأقربهما الی مكهٔ خصوصاً مع العلهٔ.

وخبر معاويهٔ أوصحيحه: «قلت لأبی عبداللَّه عليه السلام: إن معی والدتی، وهی وجعهٔ، قال: قل لها فلتحرم من آخر الوقت، فان رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم وقت لأهل المدينهٔ ذا الحليفهٔ ولأهل المغرب الجحفهٔ، قال: فأحرمت من الجحفهٔ».

فإن تعليله عليه السلام للأمر بإحرامها من آخر الوقت بتوقيت رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم للمواقيت ظاهر فی كفايهٔ الإحرام من أی وقت كان بلا دخل للوجع فيه.

ولعلّ الأصحاب إلّاالنادر خصّوا إحرام أهل المدينهٔ من الجحفهٔ بحال الاضطرار لظهور المستفيضهٔ فی اختصاص كلّ مصر بميقات فتخص الأخبار السابقهٔ بحال الاضطرار، كما يشهد له خبر الحضرمی الدال علی أن الصادق عليه السلام اعتذر عن إحرامه من الجحفهٔ، وهو شاكٍ، بقوله: «قد رخص رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم لمن كان مريضاً أو ضعيفاً أن يحرم من الجحفهٔ» فإنه ظاهر فی أنه رخصهٔ للضرورهٔ لامطلقاً».

كما كان الأمر كذلك عند فقهاء أخواننا أهل السنّهٔ حيث افتوا بذلك استناداً الی ما تقدم من أدلهٔ وأمثالها.

ففی (متن الخرقی) (۱): «وأهل الشام ومصر والمغرب من الجحفهٔ».

وفی (الروض المربع) (۲): «وميقات أهل الشام ومصر والمغرب الجحفهٔ».

وفی «الفقهٔ علی المذاهب الأربعهٔ» (۳): «فأهل مصر والشام والمغرب، ومن وراءهم من أهل الأندلس والروم والتكرور، ميقاتهم الجحفهٔ».

وفی (فقه السنّهٔ) (۴): «ووّقت لأهل الشام الجحفهٔ ... وقدصارت رابغ

۱- ۱ المغنی ۳: ۱۱۰.

۲- ۲ /۱ ۱۳۵.

۳- ۳ /۱ ۶۳۹.

۴- ۴ /۱ ۶۵۲.

ص: ۹۸

ميقات أهل مصر والشام، ومن يمرّ عليها بعد ذهاب معالم جحفة».

وفى (التحقيق والايضاح) (۱): «الثانى: الجحفة: وهى ميقات أهل الشام، وهى قرية خراب تلى رابغ (۲)، والناس اليوم يحرمون من رابغ، ومن أحرم من رابغ فقد أحرم من الميقات لأن رابغ (۳) قبلها بيسير».

ويلاحظ على قولصاحب فقه السنّة (وقدصارت رابغ ميقات أهل مصر والشام .. الخ): أن اندراس معالم الميقات لا يخرجه عن كونه ميقاتاً، والإحرام مما قبله من الأمكنة إحرام مما قبله من الأمكنة إحرام قبل الميقات يخضع لأحكام الإحرام قبل الميقات من حرمة بغير نذر، أو جواز على كراهة أو بلا كراهة.

والصواب أن يعبّر عنه ب (الَمحْرمَ) بدلًا من الميقات.

قال ابن قدامة فى (المغنى) (۴): «وإذا كان الميقات قرية فانتقلت إلى مكان آخر، فموضع الإحرام من الأولى وإن انتقل الاسم الى الثانية؛ لأن الحكم تعلق بذلك الموضع، فلا يزول بخرابه، وقد رأى سعيد بن جبير رجلًا يريد أن يحرم من ذات عرق فأخذ بيده حتى خرج به من البيوت وقطع الوادى فأتى به المقابر، فقال: هذه ذات عرق».

وكذلك يلاحظ على قولصاحب التحقيق والايضاح: «ومن أحرم من رابغ فقد أحرم من الميقات»، أن الاحرام قبل الميقات لا يجعل المكان الذى يحرم منه ميقاتاً، قريباً كان ذلك المحرم من الميقات أو بعيداً عنه.

ويرجع هذا الى أن التوقيت حكم توقيفى ثبت بالنصّ الشرعى، فتجاوزه لا يعدو أن يكون اجتهاداً فى مقابل النصّ، وهو محظور عند جميع المسلمين.

وفى المناسك الحديثة لفقهائنا المعاصرين نقرأ أمثال العبارات التالية:

«الثالث: الجحفة: وهى ميقات أهل الشام ومصر ومَن عبر على طريقهم

۱- ۱ ۱۸.

۲- ۲ الصواب: رابغاً.

۳- ۳ الصواب: رابغاً.

۴- ۴ /۳ ۱۱۱.

ص: ۹۹

الى مکهٔ من أهل الآفاق الأُخَر، إذا لم یمر بمیقات آخر، أو مرّ به وتجاوزه ولم یمکنه الرجوع إلیه والإحرام منه» (۱).

«۳- الجحفهٔ: وهی میقات أهل الشام ومصر والمغرب، وکلّ من یمر علیها من غیرهم إذا لم یحرم من المیقات السابق علیها» (۲).

«ثالثاً: الجحفهٔ: وهو لأهل الشام ومصر، ومن یمر علی طریقهم إلی مکهٔ من أهل الآفاق والأقطار والأمصار الأخری إذا لم یمروا بمیقات آخر، أو مروا بمیقات وتجاوزوه بدون إحرام ولم یمکنهم الرجوع إلیه والإحرام منه فیتعین علیهم الإحرام من جحفهٔ» (۳).

ویلاحظ علی هذه التعبیرات وأمثالها أنها استخدمت مضامین النصوص الشرعیهٔ بقولها: (وهو میقات أهل الشام ومصر والمغرب)، وأضافت علیها ما یعطی المشمولیهٔ للحکم بقولها: (وکل من یمر علیها).

واستخدام مضامین النصوص الشرعیهٔ کان قدیماً من منهج التألیف الفقهی، وبخاصهٔ فی کتب الفتوی. وله- فیما أری- ما یبرره لأن الطرق فی عهود التألیفات الفقهیهٔ المبکرهٔ بعد لما تزل علی ما هی علیه فی عصرصدور النصوص.

أما الآن وقد تغیرت الطرق واختلفت فلا بد من مراعاهٔ ذلک أثناءصیاغهٔ الفتوی؛ لأنها تعطی لعمل العامی، فأهل الشام ومصر والمغرب وغیرهم قد یسلکون طریق الجو فینزلون فی مطار المدینهٔ أو مطار جدهٔ، وقد یسلکون طریق البحر فینزلون فی میناء جدهٔ، وقد یسلکون طریق البر فیقصدون المدینهٔ المنورهٔ أو یقصدون مکهٔ المکرمهٔ عن طریق ساحل البحر الاحمر مروراً بینبع، والمواقیت لهم تختلف باختلاف هذه الطرق المذکورهٔ، وکذلک باختلاف الرأی الفقهی فی الإحرام من غیر المواقیت الخمسهٔ، فعلیه لابد من التعبیر بما یناسب الواقع الخارجی الماثل وقت تألیف المناسک ونشرها.

۱- ۱ منهاج الناسکین للسید الحکیم ط ۶ص ۳۰.

۲- ۲ مناسک الحج للسید الخوئی ط ۹ص ۶۶.

۳- ۳ص ۴۱ من مناسک الحج للسید الکلبایگانی.

ص: ۱۰۰

الطرق الى الجحفة:

تعتبر الجحفة ميقاتاً اختيارياً ل:

۱- من يؤم مكة المكرمة عن طريق جدة جواً أو بحراً على رأى من لا يجوّز الإحرام من جدة نذراً.

۲- من يؤم مكة عن طريق ينبع بحراً.

۳- من يؤم مكة من أبناء شمالی الجزيرة القاطنين فی مدن وقری وبوادی ساحل البحر الأحمر، ومن يمر على طريقهم الساحلی البری من أبناء الأردن، ومن ينفذ الى الطريق الساحلی المذكور عن طريق الأردن كأبناء العراق وسورية ولبنان وفلسطين وتركيا وايران وغيرهم.

۴- القاطنين فی ديار وبوادی الحجاز قبل الجحفة وبعد ذی الحليفة، كأهل المسيجيد وبدر ومستورة والابواء ورابغ ووادی الفرع، ومن إليهم.

واليك المسالك البرية المؤدية أو المارة بالجحفة:

الطريق القديم الى الجحفة (من المدينة إلى مكة)

خيف نوح- الخيام- الاثيل

المدينة- ذوالحليفة- الحفين- ملل- السيالة- الروحاء

الصفراء بدر- الجحفة

الرويثة

الاثاية- العرج- السقيا- الابواء

ودان- عقبة هرش- ذات الاصافر

الجحفة- الطارف- الدف- عسفان- الجموم (مر الظهران)- مكة

خيمة أم معبد

ص: ۱۰۱

الطرق الحديثة إلى الجحفة:

۱- من المدينة الى مكة (طريق برى):

المدينة المنورة- المسيجيد- بدر- مستورة- رابغ (الجحفة)- القضيمة (المفرق)

خليص- عسفان- الجموم- مكة المكرمة.

القضيمة (المفرق)

ثول- ذهبان- جدة.

۲- من وادى الفرع (ابو ضباع) (طريق برى):

أبو ضباع- عقبة هرش- رابغ (الجحفة).

۳- من بدر (طريق برى):

بدر- مستورة- رابغ (الجحفة).

۴- من الاردن الى الحرمين (طريق برى):

- مخططص ۱۴۰ من الأصل-

ص: ۱۰۲

المراجع:

۱- تاج العروس، محمد مرتضی الزبیدی، (القاهرة: م الخیریة ۱۳۰۶ ه) ط ۱ «مصورة».

۲- التحقیق والایضاح لکثیر من مسائل الحج والعمرة والزیارة علی ضوء الکتاب والسنّة، الشیخ عبد العزیز بن عبد اللّه بن باز (الریاض: م الأمن العام ۱۳۹۷ ه) ط ۱۷.

۳- خریطة الطرق لعام ۱۴۰۶ ه، وزراة المواصلات- المملکة العربیة السعودیة (الریاض، مالأهلیة للأفست ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م).

۴- الروض المربع بشرح زاد المستقنع، منصور بن یونس البهوتی (القاهرة: مالسلفیة ۱۳۹۲ ه) ط ۷.

۵- الروض النضیر شرح مجموع الفقه الکبیر، شرف الدین الحسین بن أحمد السیاغی (الطائف:
مکتبة المؤید ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م) ط ۲.

۶- الصحاح، إسماعیل بن حمّاد الجوهری، تحقیق أحمد عبد الغفور عطار (بیروت: دار العلم للملایین ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م) ط ۳.

۷-صفة جزیرة العرب، الحسن بن أحمد الهمدانی، تحقیق محمد بن علی الاکوع، (الریاض: دار الیمامة ۱۳۹۷ ه- ۱۹۷۷ م).

۸- علی طریق الهجرة، عاتق بن غیث البلادی (مکة: دار مکة-) ط ۱.

۹- العین، الخلیل بن أحمد الفراهیدی، تحقیق الدکتور مهدی المخزومی والدکتور إبراهیم السامرائی (بیروت: مؤسسة الأعلمی ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م) ط ۱.

۱۰- فقه السنّة، السید سابق (بیروت: دار الکتاب العربی-).

۱۱- الفقه علی المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزیری (بیروت: دار الکتب العلمیة ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م).

۱۲- کتاب الحجّ من شرح القواعد، الشیخ محمد حسن المظفر (النجف: م النعمان ۱۳۷۸ ه- ۱۹۵۹ م).

۱۳- لسان العرب، محمد بن مکرم بن منظور (بیروت: دارصادر-).

۱۴- مجمع البحرین، فخرالدین الطریحی، تحقیق أحمدالحسینی (بیروت: مؤسسة الوفاء ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م) ط ۲.

۱۵- المحلّی، ابن حزم الأندلسی، تحقیق لجنة إحیاء التراث العربی فی دار الآفاق الجدیدة (بیروت: دار الآفاق الجدیدة-).

۱۶- معجم البلدان، یاقوت الحموی (بیروت: دارصادر ودار بیروت ۱۴۰۴ ه- ۱۹۷۴ م).

ص: ۱۰۳

۱۷- معجم معالم الحجاز، عاتق بن غیث البلادی (مکهٔ المکرمهٔ: دار مکهٔ ۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م) ط ۱.

۱۸- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ابو عبید البکری، تحقیق مصطفی السقا (بیروت: عالم الکتب ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م) ط ۳.

۱۹- المغنی، ابن قدامهٔ (بیروت: دار الفکر ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م) ط ۱.

۲۰- مناسک الحج، السید الخوئی (بیروت: دار الزهراء ۱۳۹۹ ه) ط ۹.

۲۱- مناسک الحج، السید الکلبایکانی (- ۱۳۹۶ ه).

۲۲- منهاج الناسکین، السید الحکیم (النجف الأشرف: م النجف ۱۳۸۲ ه) ط ۶.

۲۳- الموطأ (مع تنویر الحوالک)، الإمام مالک (بیروت: دار الفکر-).

۲۴- نهایهٔ الأرب فی معرفهٔ أنساب العرب، أحمد بن علی القلقشندی، تحقیق علی الخاقانی (بغداد: م النجاح ۱۳۷۸ ه- ۱۹۵۸ م).

۲۵- وسائل الشیعهٔ الی تحصیل مسائل الشریعهٔ، الحر العاملی، تحقیق الشیخ عبد الرحیم الربانی (بیروت: دار إحیاء التراث العربی ۱۴۰۳ ه ۱۹۸۳ م) ط ۵.

۲۶- الینابیع الفقهیهٔ: الحجّ، تحقیق الشیخ علی أصغر مروارید (طهران: مرکز بحوث الحج والعمرهٔ ۱۴۰۶ ه) ط ۱.

۲۷- زیارات میدانیهٔ، الفضلی.

الهوامش:

المنسک الصغیر

ص: ۶۸

المنسک الصغیر

للشهیدالاوّل قدس سره تحقیق: محمد الإسلامی الیزدی

بعـد حمـد اللَّه تعالی علی آلائهِ، وصـلاته علی أشـرف خلقه محمد المصـطفی وأحبّائه وآله الطاهرین. فهذه رسالهٔ فی واجبات العمرهٔ والحجّ (۱) وجیزهٔ مستوفاهٔ (۲) وضعتُها تقرباً الی اللَّه تعالی.

وهی فصلان.

[الفصل] الأوّل فی أفعال العمرهٔ

وهی أربعهٔ:

فأوّلُها: الإحرام

ومعنـاه: توطین النفس علی اجتناب الصـید، والنساء، والطیْب علی العموم، (والقبض علی الأنف عنـد کریهـهٔ الرائحـهٔ) (۳)، والاکتحال بالسواد وبما فیه

۱- ۱ فی نسخهٔ «س» الحجّ والعمرهٔ.

۲- ۲ لم ترد، فی نسخهٔ «ک» وجیزهٔ مستوفاه.

۳- ۳ ما بین القوسین لم یرد فی نسخهٔ «ک» وفی نسخهٔ «س» و «م»: من کریه الرائحهٔ ..

ص: ۶۹

طيبٌ، إخراج الدم، وقصّ الأظفار، وإزالة الشعر، وقطع الشجر والحشيش النابتين فى الحرم- إلا فى ملكه، وإلّا الاذْخر وشجر الفواكه- والكذب، والحلف باللَّه، وقتل هوامّ الجسد، ولبس المخيط للرجال، ولبس الخُفَّين وما يستر ظهر القدم، ولبس الخاتم للزينة، ولبس الحُلىّ للمرأة إلّاأن يكون مُعتاداً، فيحرم عليها إظهارُه للزَوْج، والحنّاء للزينة، وتغطية الرأس للرجل، وتغطية الوجه للمرأة، والتظليل للرجل سائراً، ولبس السلاح بعد التلبية، ولبس ثوبيه إلى (۱) أن يأتىّ بالمحلّل من الأفعال.

وكيفيّته: أن ينوى من الميقات بَعد لبس ثوبى الإحرام.

ونيته: «أُحرم بالعمرة المتمتّع بها إلى الحجّ، حجّ الإسلام، حجّ التمتُّع، وأُلبّى التلبيات الأربع، لعقد هذا الإحرام، لوجوب الجميع، قربةً إلى اللَّه».

«لَبّيْكَ اللّهم لَبّيْك، لَبّيْك، إنَّ الحمدَ والنّعمَةَ والملك لَك، لاشريكَ لك لَبّيْك.»

وفى هذه النية قيودٌ:

الأوّل: «أُحْرِمُ» وهو القصدُ إلى الفعل المذكور آنفاً.

الثانى: «بالعمرة» وهى عبارة عن زيارة البيت الحرام محرِماً للطواف والسعى.

الثالث: «المتمتّع بها» أى المتُوصَل (۲) بها إلى الحجّ، وبه تخرج العمرة المفردة، كما خرج بالعمرة: الحجّ.

الرابع: «إلى حجّ الإسلام» وبه تخرج العمرة المتمتع بها إلى حجّ النذر وشبهه.

الخامس: «حجّ التمتّع» وبه تخرج ما يتمتّع بها إلى حجّ الإسلام حجّ القران أو حجّ الإفراد، فإنه وإن لم يكن مشروعاً إلّاأنّهُ متصوَّرٌ.

السادس: «لوجوب الجميع» معناه: أفْعَلُ هذه الأفعال لكونها واجبة؛

۱- ۱ فى نسخة «ک» الّا

۲- ۲ فى نسخة «ن» الموصل.

ص: ۷۰

للطفٍ فی تکلیفٍ عقلیٍ وبه یخرج الندب.

السابع: «قربةً إلی اللَّه» أی: اوقع هذه الأفعال لکونها واجبةً للتقرب بها إلی رضا اللَّه تعالی؛ ولکونه أهلًا أنْ یُعْبَدَ بهذه العبادة.

ومعنی قوله: «لَبّیْک» إجابة بعد إجابةٍ لک یا ربّ، وإخلاصاً بعد إخلاصٍ، وإقامةً علی طاعتک بعد إقامةٍ.

ومعنی «أَللهُمَّ»: یا أللّه.

ویجوزُ کسر «إنّ» وفتحها، والکسر أَجود؛ لعموم الإثبات لمعنی التلبیة بالنسبة إلی الحمد والنعمة وإلی غیرهما بسببه (۱) (۲).

وفی هذه التلبیة إشارة الی إجابة نداء داعی اللَّه الذی نادی به إبراهیم علیه السلام فی قوله تعالی: «وأذّنْ فی الناس بالحج یأتوک رجالًا» (۳).

وإشارة الی الإخلاص فی الطاعة وإلی تنزیهه تعالی عن الشرک (۴).

وإلی الإقامة علی طاعة اللَّه عزوجل.

وثانیها: الطواف

وهی حرکات دوریة حول البیت مخصوصة، یقصد بها التقرّب إلی اللَّه تعالی، التأسّی بالنبیّصلی الله علیه و آله و سلم.

وهوصلاة إلا فی تحریم الکلام. ومندوبهُ أفضل من الصلاة المندوبة للمُجاور.

وواجباته أحد عشر:

الأوّل: النیة وهی: «أطوف بالبیت سبعة أشواط طواف العُمرة المتمتّع بها إلی الحجّ- حجِّ الإسلام حجِّ التمتع- لوجوبه، قربةً إلی اللَّه» وقیوده تظهر من القیود الأولی.

۱- ۱ کذا فی نسخة «س» وفی هامش «ن»: بنسبته وهو تحریف ظاهراً. والمراد: أن کسر «إنّ» یسبب ان تکون التلبیة ثابتة بالنسبة الی الحمد والنعمة وغیرهما من موجبات التلبیة.

۲- ۲ وفی نسخة «ک»: وغیرهما زیادة «او الی الحمد والنعمة بسببه».

۳- ۳ سورة الحجّ: الآیة ۲۷.

۴- ۴ فی نسخة «م»: التشریک.

ص: ۷۱

الثانی: إیقاعها عند ابتدائهِ، وهو جعل أوّل جُزءٍ من مقادیم البدن عند أوّل جزءٍ من الحَجَر الأسود مما (۱) یلی الرکن الیمانی إما محققاً (۲) أو بحسب غَلَبة الظن.

الثالث: الحرکة عقیبها بلافَصْلٍ، وهی الشروع فی الطواف.

الرابع: استدامتها حکماً حتی یفرغ، ومعناه البقاء علی ذلک العزم الذی عزم علیه ابتداءً.

ولمّا کان الباقی لایحتاجُ إلی تأثیر عند الأکثر کان معنی البقاء علیها أنْ لایأتی فی أثنائها بما یُنافیها، کنّیة القطع للطواف أو الزیادة (۳) أو جعله طواف الحجّ مثلًا، أو لحجّ النذر، أو العمرة المفردة، أو جعله مندوباً، إلی غیر ذلک من المُنافیات.

الخامس: جعل البیت علی الیسار.

السادس: جعل المقام علی الیمین.

السابع: إدخال الحِجْرِ فی الطواف.

الثامن: التدانی من البیت بحیث لایخرج فی کلٍّ جانب عن بعد (۴) المقام.

التاسع: خروجه بجمیع بدنه عن البیت.

العاشر: إکمال سبعة أشواطٍ مبدؤها من الحَجَر وختامها الحَجَر من حیث ابتداء.

الحادی عشر: حفظ العَدَد، ولو شکّ فی النقیصة بطل، وکذا لو شکّ فی الزیادة قبل بلوغ الحَجَر.

و شروطه خمسة:

الأوّل: طهارة البدن والثوب من النجاسة، وإن عُفِیَ عنها فی الصلاة

الثانی: الطهارة من الحدث، أو حکمها کالمتیمم.

۱- ۱ فی نسخة «ک»: الی بدل مما

۲- ۲ فی نسخة «س» و «ک»: تحقیقاً.

۳- ۳ فی نسخة «ک» و «م»: الرّیا به.

۴- ۴ فی هامش «ن»، حدّ.

ص: ۷۲

الثالث: ستر العورة التی یجب سترها فی الصلاة.

الرابع: الختان للرجل المتمکّن منه.

الخامس: الموالاة، وهی أنْ تکمل أربعة أشواط منه، فلو قطعه قبل إکمالها لعذر أوغیره، استأنَفَ.

ولازمه الرکعتان، وهی کالصلاة الیومیة، ومحلّهما خلف المقام، ووقتها بعد الطواف.

ونیّتها: «أُصلّی رکعتی طواف عمرة الإسلام المتمتّع بها إلی حجِّ الإسلام- حجِّ التمتع- أداءً لوجوبهما، قربة إلی اللَّه».

ویتخیّر فیهما بین الجهر والإخفات، والأفضلُ الجهر لیلًا، والإخفات نهاراً.

وثالثها: السعی

وهی حرکات مخصوصة من الصفا إلی المروة. ویجب إیقاعُه بعد الطواف فی یومه، فلو أخره إلی الغد لعذر، أثمَ وأجزء.

و واجباته بعد ذلک اثنا عشر:

الأوّل: أن ینوی علی الصفا (۱) بأن یقارن أوّل جزء منه أوّل جزء منه (۲) «أسعی سبعة أشواط للعمرة المتمتع بها إلی حجّ الإسلام- حجّ التمتع- لوجوبه، قربة إلی اللَّه».

الثانی: الاستمرار علیها حکماً.

الثالث: أن یشرع فی الحرکة عقیبها بلا فصل.

الرابع: الذهاب فی الطریق المعهودة.

الخامس: البدْءة بالصفا.

السادس: الختم بالمروة، بأن یُلصق أصابع قدمیه بأول جزء منه (۳)، أو

۱- ۱ فی نسخة «ک» زیاده: اما.

۲- ۲ فی نسخة «ک» زیادة او ای جزء منه.

۳- ۳ فی نسخة «ن»- اما بان یقارن باول جزء منه ایّ جزء منه أو یصعد علیه.

ص: ۷۳

بجزءٍ منه، فإذا عاد ألصق عقبه بأوّل (۱) جزء منه.

السابع: الإحاطة بالمسافة علماً ولو إجمالًا قبل إیقاع النیة؛ لامتناع (۲) توجه القصد إلی المجهول المُطلق.

الثامن: إکمال السبعة، یُعدّ ذهابه شوطاً وعوده آخر.

التاسع: الموالاة المذکورة فی الطواف احتیاطاً.

العاشر: استقبال المطلوب بوجهه، فلو مشی مستدبراً بَطَلَ.

الحادی عشر: إیقاعُه بعد الرکعتین وبعد الطواف.

الثانی عشر: حِفظُ العدد، فلو شکّ الشکّ المذکور فی الطواف بطل.

رابعها: التقصیر

وهو قطع بعض شعر الرأس أو قصّ بعض الأظافیر.

وبه یتحقّق الإحلال عن العُمرة.

ونیته: «أُقصّر للإحلال من إحرام العمرة المتمتع بها إلی الحجّ- حجّ الإسلام حجّ التمتع- لوجوبه قربة إلی اللّه».

الفصل الثانی: فی أفعال الحجّ

وهی خمسة أبواب.

الأوّل: الإحرام به

ومعناه وواجباته وکیفیته تقدمت.

ولافرق بینهما- ألبتّة- فی شیء إلّاأنّه ینوی: «أحرم إحرام حجِّ الإسلام حجِّ التمتع».

۱- ۱ فی نسخة «ک» بأخر.

۲- ۲ وفی «ن» نسخة بدل: «لعدم».

ص: ۷۴

«وأُلبّى التلبيات الأربع لعقد إحرام حجّ الإسلام،- حجّ التمتع- لوجوب ذلک کلّه، قربة إلى اللّه» إلى آخره

الثانی: الوقوف بعرفة

وهو الکون بها من زوال الشمس يوم التاسع من ذی الحجّة إلى غروبها، وحدّها من نمرة إلى ثويّة إلى ذی الَمجاز إلى عرفة إلى الأراک.

و يجب فيه النية: «أقف بعرفة من هذه الساعة إلى غروب الشمس فی حجِّ الإسلام- حجّ التمتع- لوجوبه، قربة إلى اللّه».

و مثله الوقوف بالمشعر وحدُّه من المأزَمين إلى الحياض إلى وادی مُحَسِّر.

ووقته ليلًا من غروب الشمس ليلة العاشر إلى طلوع فجره. واختياريّهُ التام من طلوع فجر العاشر إلى طلوع شمسهِ.

ونيّته: «أقف بالمشعر الحرام من هذه الساعة إلى طلوع الشمس فی حجِّ الإسلام- حجِّ التمتع- لوجوبه، قربة الى اللّه».

ونية المبيت بالمشعر: «أبيتُ هذه الليلة بالمشعر الحرام فی حجِّ الإسلام- حجّ التمتع- لوجوبه، قربة إلى اللّه».

الثالث: إتيان مِنى.

ويجب فيها: الرمی لجمرة العقبة بسبع حصيات يوم النحر بعد طلوع الشمس إلى غروبها.

ونيّته: «أرمی هذه الجمرة بسبع حصيات فی حجِّ الإسلام- حجِّ التمتع- لوجوبه قربة إلى اللّه».

ويجب فيه: إصابة الجمرة بفعله، بإلقاء الحصاة عليها بما يصدق عليه

ص: ۷۵

اسم الرمی.

وکون الحصی من الحرم غیر مرمیّ بها.

والترتیب، حیث یجب رَمْیُ الثلاث، یبدأ ابتداء بالأُولی، فالوسطی، فجمرة العقبة. ویحصل برمی أربع لاعامداً.

والتتابع فی رمی السبع فی إصابتها.

ولایشترط الموالاة.

والجَمَرةُ اسمٌ لتلک البنیة، فلو زالت ثمّ جدّدت رماها.

ثم یجب علیه ذبح الثَنی من الإبل، أو البقر، أو المعزی، أو جَذَعٍ من الضأن، بشروط تمامیة خِلْقتِه، وعدم هزاله.

ومحلّه: مِنی وحدها من العَقَبة إلی وادی مُحَسِّر.

ووقته: یوم النحر، فإن فات ذَبَحَ طول ذی‌الحجة.

ونیته: مقارنة لأول جزء من الذبح. والنیة: «أذبح هذا الهَدْی، فی حجِّ الإسلام- حجِّ التمتع- لوجوبه، قربة الی اللَّه».

ثم یجب أن یُهدی قسماً منه، ویتصدّق بقسم، ویأکل قسماً آخر.

والنیة: «أُهدی، أو أتصدّق، أو آکل من هذا الهدی فی حجِّ الإسلام- حجِّ التمتع- لوجوبه، قربة إلی اللَّه».

ثم یجب بعدها الحَلْقُ أو التقصیر من الشعر، کلّ منها واجب مخیّر، ولیس أحدهما بَدَلًا عنصاحبه.

وبه یتحقّق التحلّل من إحرام الحجّ إلّامن الطیب، والنساء، والصید.

ونیته: «أحلِقُ رأسی، أو أُقصّر للإحلال من إحرام حجِّ الإسلام- حجِّ التمتع لوجوبه، قربة إلی اللَّه» مقارنة لأول جزء منه

ص: ۷۶

الرابع: إتیان مکة للطواف والسعی وطواف النساء.

وکیفیتها کما تقدم، إلّافی النیة فإنه ینوی:

«أطوفُ سبعة أشواط طواف حجّ الإسلام- حجّ التمتع- لوجوبه، قربة إلی اللَّه.

«أُصلی رکعتی طواف حجّ الإسلام- حجّ التمتع- أداءً، لوجوبهما، قربة إلی اللَّه».

«أسعی سبعة أشواط سعی حجّ الإسلام- حجّ التمتع- لوجوبه، قربة إلی اللَّه»

«أطوفُ سبعة أشواط طواف النساء فی حجّ الإسلام- حجّ التمتع- لوجوبه، قربة إلی اللَّه».

«أُصلّی رکعتی طواف النساء فی حجِّ الإسلام- حجّ التمتع- أداءً، لوجوبهما، قربة إلی اللَّه».

الخامس: العود إلی منی.

وذلک بعد قضاء هذه الأفعال، وتحلّله من جمیع ما أحرم منه.

ولایجوز تأخیر هذه الأفعال عن الحادی عشر اختیاراً، فیأثم، وتجزی.

والعود واجبٌ للمبیت بها لیلًا، ورمی الجمار بها نهاراً.

ونیّة المبیت: «أبیت هذه اللیلة بمنی فی حجّالإسلام- حجّالتمتع- لوجوبه، قربة إلی اللَّه».

ونیّة الرمی ووقته کما تقدم.

فإن فاته رمی یوم أو حصاة، قضاهما من الغد بعد طلوع الشمس مقدماً علی الحاضرة.

ص: ۷۷

ونيتهما: «أرمى هذه الجمرة بسبع حصيات أو بحصاة فى حجّ الإسلام- حجّ التمتع- قضاءً، لوجوبه، قربة إلى اللّه».

وإن كان نائباً عن غيره، أضاف الى جميع ما ذكرناه عند كلّ نيةٍ: «نيابةً عن فلان بن فلان لوجوبه عليه وعلىّ، قربة إلى اللّه».

فينوى فى الإحرام مثلًا: «احرِمُ بالعمرة المتمع بها إلى حجِّ الإسـلام- حجّ التمتع- نيابةً عن فلان بن فلان لوجوب ذلك عليه وعلىّ، قربة إلى اللّه»

وكذا فى باقى الأفعال.

تمت الرسالة والحمدللّه ربّ العالمين

نهاية النسخة المرعشية

«بقلم مالكها الفقير إلى ربه الغنى: محمد بن حسن بن أحمد بن فرج الأوالى، فى شهر شوال سنة (۹۴۶)

والحمد للّهحقّ حمده وصلى اللّه على محمد وآله وسلم. (۱) وفى هامشه بلاغ هذا نصّه:

«بلغ تصحيحاً ومقابلة بحسب الجهد والطاقه، والحمدللّه حقّ حمده وصلى اللّه على محمد وآله»

وفى نهاية نسخة ملك العامة ما هذا نصّه:

۱- ۱ يلاحظ أن كـاتب هـذه الرسالـة هو كـاتب المجموعه كلّها بما فيها الرسالـة الأُولى «المنسک الكبير» وهو المجازمن قبل السـيد إبراهيم الحسينى البحرانى عند قراءة المجموعة عليه.

ص: ۷۸

– المخطوط –

ص: ۷۹

مصادر التحقيق والتقديم

۱- القرآن الكريم.

۲- «أعيان الشيعة». للسيد محسن الامين العاملى/ اعداد السيد حسن الامين دارالتعارف للمطبوعات بيروت.

۳- «أمَلُ الآمِلِ فى‌علماء جبل عامل». للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى/ اعداد السيد احمد الحسينى/ دار الكتاب الإسلامى قم.

۴- «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار». للمولى محمد باقر المجلسى/ دار إحياء التراث العربى بيروت.

۵- «تهذيب الأحكام». للشيخ أبى جعفر الطوسى/ اعداد السيد حسن الموسوى الخرسان/ دار الكتب الإسلامية طهران

۶- «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» للشيخ الصدوق/ اعداد على أكبر غفارى/ نشرصدوق.

۷- «حاشية الإرشاد». للشهيد الثانى/ تحقيق رضا مختارى/ مركز الأبحات والدراسات الإسلامية. قم-.

۸- «حياة الإمام الشهيد الأوّل». للشيخ محمد رضا شمس الدين/ مطبعة الغرى الحديثه النجف الاشرف.

۹- «الدروس الشرعية فى فقه الإمامية». للشهيد الأوّل محمد بن مكى العاملى/ انتشاراتصادقى- قم.

۱۰- «الذريعة إلى تصانيف الشيعة». للشيخ اقا بزرگ الطهرانى/ دارالأضواء- بيروت.

۱۱- «روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات». للسيد محمد باقر الخوانسارى/ اعداد أسداللّه اسماعيليان/ نشر اسماعيليان- قم.

۱۲- «شفاء الصدور فى شرح الزياره» الميرزا أبى الفضل بن أبى القاسم الكلانترى النورى الطهرانى/ باهتمام الشيخ على المحلاتى الحائرى/ بمبئى/

۱۳- «شهداء الفضيلة». للشيخ عبدالحسين أحمد الأمينى/ دارالشهاب- قم.

۱۴- «العروة الوثقى» للشيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى/ دارالكتب الإسلامية- طهران.

۱۵- «علل الشرائع». للشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى/ تقديم السيد محمدصادق بحر العلوم/ المطبعة الحيدرية فى النجف الأشرف.

۱۶- «غاية المراد فى شرح نكت الإرشاد». للشهيد الأوّل محمد بن مكى العاملى تحقيق رضا المختارى/ مركز الأبحاث والدرسات الإسلامية- قم.

ص: ۸۰

۱۷- «الکافی». لأبی جعفر ثقة الإسلام محمد بن یعقوب الکلینی الرازی/ تحقیق علی أکبر الغفاری/ دارصعب ودارالتعارف بیروت (بالاوفست عن طبعة دارالکتب الاسلامیة طهران)

۱۸- «الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون التأویل». لأبی القاسم جاراللَّه محمود بن عمر الزمخشری الخوارزمی/ دار المعرفة للطباعة والنشر- بیروت لبنان.

۱۹- «الکنی والألقاب». للشیخ عباس القمی/ المطبعة الحیدریة- النجف الأشرف.

۲۰- «لسان العرب المحیط» للعلامة ابن منظور/ قدم له العلّامة للشیخ عبداللَّه العلایلی وأعاده یوسف الخیاط/ دارالجبل ودارلسان العرب- بیروت.

۲۱- «لؤلؤة البحرین» للشیخ یوسف بن أحمد البحرانی/ تحقیق السید محمدصادق بحر العلوم/ مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث- قم.

۲۲- مختصر تاریخ دمشق لابن عساکر/ للإمام محمد بن مکرم المعروف بابن منظور/ تحقیق أحمد راتب حموش، محمد نساجی العمر/ دارالفکر للطباعة والتوزیع والنشر بدمشق- الطبعة الاُولی ۱۴۰۵ ه.

۲۳- «مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل» للحاج المیرزا حسین النوری/ اسماعیلیان. قم.

۲۴- «المصباح المنیر فی غریب الشرح الکبیر». لأحمد بن محمد بن علی الفیوّمی/ دارالکتب العلمیه- بیروت.

۲۵- معادن الجواهر ونزهة الخواطر فی علوم الأوائل والأواخر» للسید محسن العاملی/ دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزیع- بیروت.

۲۶- «معجم مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهانی/ تحقیق ندیم مرعشلی/ دارالکتاب العربی- بیروت.

۲۷- «مقدمه‌ای بر فقه شیعه کلیات وکتابشناسی» للسّید حسین مدرسی طباطبائی/ ترجمه محمد آصف حکمت/ نشر بنیاد پژوهشهای اسلامی- مشهد.

۲۸- «المقنعة» للشیخ المفید أبی عبداللَّه محمد بن النعمان البغدادی/ مؤسسة النشر الإسلامی.

۲۹- «من لایحضره الفقیه». للشیخ أبی جعفر الصدوق/ اعداد السید حسن الموسوی الخراسانی/ دارالکتب الإسلامیة- طهران

۳۰- «نهج البلاغة» وهو مجموع ما اختاره الشریف أبوالحسن محمد الرضی بن الحسن الموسوی من کلام أمیر المؤمنین أبی الحسن علی بن أبی طالب علیه السلام- اعداد الدکتورصبحی الصالح/ الطبعة الاولی- بیروت.

۳۱- «وسائل الشیعه» للشیخ محمد بن‌الحسن الحر العاملی/ تحقیق مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث- قم.

ص: ۸۱

الهوامش:

الطواف ومسائله على ضوء المذاهب الاسلامية

ص: ۱۰۵

الطواف ومسائله على ضوء المذاهب الاسلامية

محمد إبراهيم الجناتى

تحقيق الكلام فى الطواف يتوقف على ذكر الأمور التالية:

۱- أنواع الطواف.

۲- عدد الطواف.

۳- شرائط الطواف الخارجية.

۴- شرايط الطواف الداخلية.

۵-صلاة الطواف.

۶- مستحبات الطواف.

۷- أحكام الطواف.

۸- مكروهات الطواف.

۱- أنواع الطواف

أنواع الطواف فى الحج وهى عبارة عما يلى:

ألف- طواف القدوم.

ب- طواف الزيارة.

ج- طواف الوداع.

د- طواف النساء.

ألف- طواف القدوم:

أما الكلام فى الأول فنقول: إن

ص: ۱۰۶

طواف القدوم يفعله الآفاقى (۱) حين يدخل مكة ويختص به، وقد اتفقوا على عدم ثبوته للمكى وأن عليه فقط طواف الإفاضة، وكيف كان فهو أشبه بركعتيصلاة التحية للمسجد، ومن هنا سمى طواف التحية، كما أنه سمى طواف الورود، وهذا الطواف يكون تحية للبيت لا للمسجد، وهو مستحب عند جميع فقهاء المذاهب، لما روى أن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم طاف حين قدم مكة (۲)، ولذلك قالوا: إن ترك هذا الطواف لا يوجب شيئاً على تاركه، ولكن المالكية خالفوا فى ذلك وقالوا:

إن على تاركه دماً على ما حكى عنهم.

وكيف كان فقد ذهب جمهورهم والإمامية على أنه لا يجزى عن طواف الزيارة إذا نسيها، ولكن ذهبت طائفة من أصحاب مالك أنه يجزى عنها وكأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد (۳).

ب- طواف الزيارة:

اتفقوا على أن طواف الزيارة ركن يفوت الحج بفواته، وقالوا: إنه المعنى بقوله تعالى: «ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيتِ العتيق» (۴).

ويسمى هذا الطواف بطواف الزيارة وطواف الإفاضة، وطواف الحج أيضاً، ويأتى به الحاج سواء كان مكّياً أو آفاقياً بعد أعمال منى التى يأتى تفصيلها، ولكل واحد من هذه الأسماء وجه.

أما وجه تسمية هذا الطواف بطواف الزيارة فلأجل أن الحاج يترك منى بعد أن يأتى بأعمالها، ويذهب إلى مكة ويزور البيت من أجله.

أما وجه تسمية هذا الطواف بطواف الإفاضة فلأجل أن الحاج يفيض، أى يرجع من منى بعد إتيانه بمناسكه الثلاثة إلى مكة لأجل الإتيان بأعمال مكة التى منها هذا الطواف.

أما وجه تسمية هذا الطواف بطواف الحج فلأجل أنه ركن من أركانه عند فقهاء جميع المذاهب

۱- ۱ المراد من الآفاقى غير المكّى.

۲- ۲ كفاية الأخيار ۱: ۶۳۹.

۳- ۳ بداية المجتهد ۱: ۳۴۳.

۴- ۴ سورة الحج: ۲۹.

ص: ١٠٧

الاسلامية وأنه يبطل بتركه.

ج- طواف الوداع:

وهو آخر ما يفعله الحاج الآفاقى عند ارادة الخروج من مكة إلى بلاده، وقد اختلفوا فى حكمه:

قالت الإمامية: إنه مستحب وتركه لا يوجب شيئاً، وتبعهم المالكية (١).

وقالت الحنفية والحنابلة بوجوبه (٢) إذا تركه الحاج يلزمه بنظرهم دم فقط، أى يضحى (٣) ولا- يبطل حجّه بتركه؛ لعدم كونه من أركان الحج فيجبر تركه بدم.

وللشافعى فيه قولان: أحدهما:

لزوم الدم بتركه. وثانيهما: عدم لزوم الدم بتركه (۴) وكيف كان فهو لا يجزى عند الإمامية عن طواف الزيارة لو نسيها.

وأما عند بقية المذاهب فعلى ما حكاه ابن رشد فى كتابه بداية المجتهد أنه يجزى به إن لم يكن طاف طواف الزيارة؛ لوقوع طواف الوداع فى وقت طواف الزيارة فيجزى عنه، وهذا بخلاف طواف القدوم لوقوعه فى غير وقت طواف الزيارة فلا يجزى.

د- طواف النساء:

قالت الإمامية بوجوبه فى الحج بشتى أنواعه تمتعاً كان أو قراناً أو إفراداً وقالوا أيضاً: بوجوبه فى العمرة المفردة لا عمرة التمتع.

وأما علماء السنة فقد اتفقوا على عدم ثبوت طواف النساء فى الحج (۵) ويقولون: إن النساء تحلّ بعد طواف الزيارة فيه، وليس بعدها طواف آخر، كما أنهم اتفقوا على أنه ليس على المعتمر إلّاطواف القدوم، وكيف كان فهذا الطواف واجب فى الحج عند الإمامية، وقالوا: لو ترك الحاج هذا الطواف حرمت عليه النساء، حتى العقد إن كان الحاج رجلًا حتى يفعله بنفسه أو بنائبه وحرم عليها الرجال إن كانت امرأة إلى أن تفعله بنفسها أو بنائبها، ولو مات قبل أن يؤديه أو يستنيب يقضى عنه وليه بعد الموت بل

١- ١ الفقه على المذاهب الأربعة، وفقه السنّة.

٢- ٢ الفقه على المذاهب الخمسة.

٣- ٣ الأم ٢: ١٨٠، والمجموع ٨: ٢٥۴، والوجيز ١: ١٢٣، ومغنى المحتاج ١: ٥١٠، والسراج الوهّاج ١۶۶، والهداية ١: ١۶۶.

۴- ۴ الأم ٢: ١٨٠، والمجموع ٨: ٢٥۴، والوجيز ١: ١٢٣، ومغنى المحتاج ١: ٥١٠، والسراج الوهّاج ١۶۶، والهداية ١: ١۶۶.

۵- ۵ كتاب الخلاف ٢/ ٣۶٣.

ص: ۱۰۸

قالوا: لو حجّ الصبى المميز ولم يأت به ولو سهواً وجهلًا فلا تحل له النساء بعد البلوغ ولا العقد عليهن حتى يؤدى أو يستنيب للنصوص.

كما أن الامامية يقولون:

بوجوب طواف النساء وعدم حلية النساء بدونه وإن كان قد طاف طواف الوداع؛ لأن طواف الوداع عندهم مستحب، واجزاءَه عن الواجب محتاج إلى دليل معتبر ولم يثبت ذلك.

وأما خبر اسحق بن عمّار عن أبى عبداللّه أنه قال: لولا ما منّ اللّه به على الناس من طواف الوداع لرجعوا إلى منازلهم، ولا ينبغى لهم أن يمسوا نساءَهم، وإن كان يدل بظاهره على كفايته عن طواف النساء، وافتى به على بن بابويه على ما حكى عنه فى الجواهر، ولكن مع ذلك نوقش فيه:

أولًا- بضعف السند إلّاأن يقال: إن السند ليس له موضوعية بل إنما يكون له طريقية فعلية إن كان متن الحديث ذا اتقان يكشف عنصدوره فعلم باعتباره.

ثانياً- بعدم امكان معارضته لما دل على وجوب طواف النساء فى الحج.

ثالثاً- باختلاف نسخه لأنه ورد فى نسخة الوسائل (طواف الوداع) وفى نسخة الكافى (طواف النساء).

ومهما يكن من أمر فالمسألة تحتاج الى الدقة والتأمّل.

وهنا أمور ينبغى لنا ذكرها وهى:

الأوّل- لا ينبغى الإشكال فى لزوم طواف النساء على الرجال والنّساء وهو المعروف بين الإمامية بل فى الجواهر: «بلا خلاف معتدّ به أجده فيه، بل عن المنتهى والتذكرة الإجماع عليه فى الجملة ويدل عليه- مضافاً الى الأصل وإطلاق قوله تعالى: «فلا رفث (۱) ولا فسوق ولا جدال فى الحج» وما دلّ على حرمة الرجال عليها بالإحرام، وقاعدة الإشتراك إلا فيما استثنى- ذيل حديث إسحاق بن

۱- ۱ والرفث هو الجماع بالنصّ الصحيح الوارد فى تفسيره.

ص: ۱۰۹

عمار المتقدم (... لا تحلّ لهم النساء حتى يرجع فيطوف بالبيت أسبوعاً آخر بعدما سعى بين الصفا والمروة وذلك على النساء والرجال واجب) (۱)والظاهر أن هذا الذيل جزء للحديث، ويدل عليه أيضاًصحيح على بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخصيان والمرأة الكبيرة؛ أعليهم طواف النساء؟ قال: نعم عليهم الطّواف كلّهم (۲) وما رواه حفص بن البخترى عن العلاء بنصبيح وعبد الرّحمان بن الحجّاج وعلى بن رئاب وعبداللّه بنصالح كلهم يروونه عن أبى عبداللّه عليه السلام قال: المرأة المتمتعة إذا قدمت مكة، ثم حاضت تقيم ما بينها وبين التروية، فإن طهرت طافت بالبيت وسعت بين الصفا والمروة، وإن لم تطهر الى يوم التروية اغتسلت واحتشت، ثم سعت بين الصفا والمروة، ثم خرجت الى منى، فإذا قضت المناسك وزارت بالبيت طافت بالبيت طوافاً لعمرتها، ثم طافت طوافاً للحج، ثم خرجت فسعت، فإذا فعلت ذلك فقد أحلت من كلّ شىء يحلّ منه المحرم إلا فراش زوجها فإذا طافت طوافاً آخر حلّ لها فراش زوجها (۳).

الثانى: لا ينبغى الإشكال أيضاً فى ثبوت طواف النساء على الصبيان وهو المعروف بين علماء الإمامية لشمولهم اطلاق الأدلة كشموله للبالغين- على ما قرر فى محلّه-، بل عن المنتهى وغيره الإجماع على وجوبه على الصبيان.

الثالث: أن الحكم المذكور وهو وجوب طواف النساء على الصبيان- لا يختص بالصبى المميز بل يعم الصبى غير المميز إذا أحرم به وليه، وإلا لم يصح إحرامه، فلا يفيد الحرمة، فيطوف الولى بالصبى غير المميز ويستنيب فى الصلاة عنه؛ لأنه يفهم من الأخبار الواردة فى حج الصبى المروية فى الوسائل أنه يقوم بما يمكن قيامه- كالطواف والسعى والوقوف ونحوها- ويفعل الولى عنه بما لا يمكن أن يقوم به

۱- ۱ الوسائل ج ۲ الباب ۲ من ابواب الطواف الحديث ۳ و ۱.

۲- ۲ الوسائل ج ۲ الباب ۲ من ابواب الطواف الحديث ۳ و ۱.

۳- ۳ الوسائل ج ۲ الباب ۸۴ من ابواب الطواف الحديث ۱.

ص: ۱۱۰

- كالتلبية- ومن أراد الاطلاع على أخبار الباب فليراجع الكتاب المذكور.

وأما الصبى المميز فيطوف ويصلى مباشرة بنفسه، وكيف كان فلو تركه ولم يطف الولى بغير المميز أو تركه المميز بقى على حكم إحرامه إلى أن يطوف بعد بلوغه، أو يستنيب حيث يجوز له ذلك- كماصرح به غير واحد- لاطلاق أدلة التحلل به واحتمال أن إحرامه لا يقتضى حرمة النساء؛ لأنه تمرينى لا تشريعى فى غير محلّه، لظهور الأدلة فى كونه بحكم إحرام البالغ كظهوره فى كونه كذلك بالنسبة الى سائر المحرمات.

الرابع: لا ينبغى الترديد فى لزوم طواف النساء على الخناثى وهو المعروف بين الفقهاء. أما الخنثى المشكل فلم يرد دليل خاص بالنسبة إليها فى طواف النساء لكنها بناء على عدم كونها طبيعة ثالثة فلا إشكال فى البين، وأما بناء على كونها طبيعة ثالثة فيكفى فى وجوبه عليها إطلاق مثل قوله تعالى: «وليطوفوا بالبيت العتيق» المفسر فى بعض الأخبار بطواف النساء وهو مارواه أحمد بن محمد قال: قال ابو الحسن عليه السلام: فى قول اللَّه عز وجل. «وليطوفوا بالبيت العتيق» قال: طواف الفريضة طواف النّساء (۱) وما رواه حماد بن عثمان عن أبى عبد اللَّه عليه السلام فى قول اللَّه عزّ وجل:

«وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق» قال: طواف النساء (۲).

الخامس: الكلام فى أنه هل يكون وقت طواف النساء وقت طواف الحجّ أولا بل هو موسع؟ وقع الخلاف بين الأصحاب فى ذلك، قال فى كشف اللثام: «لم ينصّ أكثر الأصحاب على آخر وقته وظاهرهم أنه كطواف الحج) وفى الكافى- على ما هو المحكى عنه- (إن آخر وقته آخر أيام التشريق) وفى المبسوط: (يطوف للنساء متى شاء من مقامه بمكة، ويجوز أن يريد مقامه بها قبل العود الى منى) قد يقوى فى النظر جواز الإتيان بطواف النساء بعد ذى

۱- ۱ الوسائل ج ۲ الباب ۲ من ابواب الطواف الحديث ۴ و ۵.

۲- ۲ الوسائل ج ۲ الباب ۲ من ابواب الطواف الحديث ۴ و ۵.

ص: ۱۱۱

الحجة لاقتضائه إطلاق روايات المقام؛ لأن الروايات المأثورة عنهم فی المقام غیر متعرضة لتحدید آخر وقته.

إن قلت: إن قوله تعالی: «الحجّ أشهر معلومات» یمنع عنه، قلت: إنه لا یمنع عنه؛ لعدم کون طواف النساء جزء للحج، ولذا لا یحکم بفساد الحج بترکه- علی ما حقق فی محله- ودل علیه بعض الأخبار (۱).

إن قلت: إن مقتضی أخبار البیان کونه من واجبات الحج، وإن لم یکن ترکه موجباً لفساد الحج، فعلیه- إذا کان من واجباته وأفعاله- تعین الإتیان به فی أشهر الحجّ لظاهر الآیة المتقدم علی إطلاق الاخبار.

قلت: إنه وإن کان کذلک إلا- أن مقتضی ظاهر بعض الأخبار الذی اشرنا الیه آنفا عدم کونه من أفعال الحج- فعلیه لا دلیل علی توقیت وقته بذی الحجة، لعدم کونه خالیاً عن الإشکال مضافاً الی أنه یمکن أن یقال:

عدم طواف النساء من الواجبات فی الحج بل من واجبات الحج ولذا لو ترکه عمداً لایوجب بطلان الحج فتدبر.

۲- عدد الطواف:

ألف- عدد طواف الحجّ فی حجّ الإفراد:

اتفق فقهاء الحنفیة والمالکیة والشافعیة والحنابلة علی لزوم طواف واحد علی المفرد للحج، وخالفهم فقهاء الإمامیة حیث ذهبوا إلی أن علیه طوافین، طواف الحج وطواف النساء للأدلة الخاصة عندهم.

ب- عدد طواف الحجّ فی القران:

وقع الخلاف بین فقهاء المسلمین فی عدد الطواف فی حج القران، فقال محمد بن إدریس الشافعی ومالک وأحمد بن حنبل وأبو ثور: إن علیه طوافاً واحداً، وهو مذهب عبداللّه بن عمر وجابر (۲).

وقال أبو حنیفة علیه اثنان (۳)،

۱- ۱ الوسائل ج ۲ الباب ۵۹ من ابواب الطواف.

۲- ۲ بدایة المجتهد ۱: ۳۴۴.

۳- ۳ بدایة المجتهد ۱: ۳۴۴.

ص: ۱۱۲

واختاره الثورى والأوزاعى وبن أبى ليلى (۱) واستدلوا لذلک بأنه قارن بین الحج والعمرة وأنهما نسکان من شرط کلّ منهما إذا انفرد طوافه وسعیه فوجب أن یکون الأمر کذلک إذا اجتمعا.

وقالت الإمامیة: إن علیه طوافین، طواف الزیارة وطواف النساء، وکذا فی عمرته المفردة.

ج- عدد طواف الحجّ فی حجّ التمتع:

إن الإمامیة یوجبون علی من یحجّ حجّ التمتع ثلاثة أطوفة:

۱- طواف للعمرة، وهو رکن منها، فلو أخلّ به یحکم ببطلانها.

۲- طواف للحج، وهو رکن منه، فلا یصح الحج بدون الطواف.

۳- طواف للنساء، وهو واجب فی الحج، ولیس رکناً من أرکانه، فالحج بدونهصحیح، ولکن لم تبرأ ذمته من هذا الواجب بالخصوص إلّا بعد إتیانه، ولا تحلّ له النساء بدونه أیضاً.

وأما أهل السنة فاتفقوا علی أن من تمتع بالعمرة إلی الحج أن علیه طوافین:

أحدهما- للعمرة.

وثانیهما- للحج فی یوم العید بعد اعمال منی، وینکرون طواف النساء ولا یرونه من واجبات الحج.

۳- شرائط الطواف الخارجیة:

وهی أمور:

الأول- الطهارة من الحدث الأکبر والأصغر، فلا یصح من الجنب، ولا من الحائض والنفساء لما روی أنّ النبیّصلّی اللَّه علیه وآله لما أراد أن یطوف توضأ ثم طاف (۲) وقال: خذوا عنی مناسککم (۳) وقال: الطواف بالبیتصلاة إلّاأن اللَّه أحلّ فیه النطق (۴) وقال: لاصلاة إلا بطهور (۵).

قالت به الإمامیة والمالکیة والشافعیة والأوزاعیة (۶) وکذلک الحنابلة، وخالفت فیه الحنفیة حیث

۱- ۱ بدایة المجتهد ۱: ۳۴۴.

۲- ۲صحیح البخاری ۲: ۱۸۳، وسنن البیهقی ۵: ۸۶.

۳- ۳ فتح العزیز ۷: ۳۰۳، وعوالی اللئالی ۱: ۲۱۵، ورواه مسلم فیصحیحه ۲: ۹۴۳، والنسائی فی سننه ۵: ۲۷۰ بلفظ قریب منه.

۴- ۴ سنن الدّارمی ۲: ۴۴، وسنن البیهقی ۵: ۸۵ نحوه ولکن باختلاف یسیر.

۵- ۵ التهذیب ۲: ۱۴۰، والفقیه ۱: ۲۲، وفی الصحاح السّت بلفظ لاصلاة بغیر طهور.

۶- ۶ الفقه علی المذاهب الأربعة، وبدایة المجتهد ۱: ۳۴۳، والمنهاج للنووی، والسراج الوهّاج للشیخ الزهری ۱۵۸، وکفایة الأخیار ۱: ۱۳۶، والمنهاج القویم ۴۱۸، ومغنی المحتاج ۱: ۴۸۵، والأم ۲: ۱۷۸، ومختصر المزنی ۶۷، وبلغة السالک ۱: ۲۷۴.

ص: ۱۱۳

ذهبوا إلى عدم اشتراط الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر فيصحة الطواف، وأنه يجزى بدونها، ولكن يجبر بدم، وقالوا: لو كان محدثاً بالحدث الأصغر وطافصحّ طوافه ولزمه شاة، وإن طاف جنباً أو حائضاًصح ولزم بدنةً، ويعيده مادام بمكة (۱).

واستدل للقول الأول بعدة أخبار، منها:

۱- ما روى أنّ رسولاللّهصلى الله عليه و آله و سلم قال لأسماء بنت عميس التى كانت حائضاً: أصنعى ما يصنع الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت (۲).

۲- ما روى عنهصلى الله عليه و آله و سلم أنه لما أراد ان يطوف توضأ ثم طاف وكان يقول: خذوا عنى مناسككم.

۳- ما روى عنهصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال:

الطواف بالبيتصلاة (۳)، وقال لاصلاة إلّابطهور.

واستدل للقول الثاني بالإجماع على جواز السعى بين الصفا والمروة من غير طهارة، فكذلك الطواف.

وقالت الإمامية: إن الجنب والحائض لا- يجوز لهما المرور فى المسجد الحرام، ولا فى مسجد النبىّ فضلًا عن المكث، ويجوز لهما المرور من غيرهما من المساجد، وفيه تعرف الكذب والافتراء على الإمامية حيث نسب إليهم أنهم يذهبون إلى الحرم بقصد تلويثه!!.

ينبغى هنا التنبيه على ما يلى:

أ- لو طاف الحاج على غير وضوء وعاد إلى بلده رجع وأعاد الطواف مع الإمكان، وإلّا استناب من يطوف عنه، وقال أبو حنيفة: لا شيء عليه إلا الدم فيجبره به.

ب- إنما تعتبر الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر فى الطواف فيما إذا كان الطواف واجباً، وأما إذا كان مستحباً فلا يشترط فيه الطهارة من الحدث الأصغر، نعم يحرم على المحدث بالحدث الأكبر الدخول إلى المسجد للطواف حول الكعبة، فمن هنا لا يمكن له الطواف أبداً.

۱- ۱ فقه السنّة ۵: ۱۵۴، وبداية المجتهد ۱: ۲۴۳، والفتاوى الهندية ۱: ۲۴۳، واللّباب ۱: ۲۰۳، والهداية ۱: ۱۶۵، والمبسوط ۴: ۳۸، وبدايع الصنايع ۲: ۱۲۹، وتبيين الحقائق ۲: ۵۹، والمجموع ۸: ۱۷.

۲- ۲ البداية والنهاية ۱: ۳۴۳.

۳- ۳ البداية والنهاية ۱: ۳۴۳.

ص: ۱۱۴

ج- أما الحاج المعذور الذى لا يمكنه الطهارة المائية لمرض ونحوه، فهل تقوم مقامها الطهارة الترابية (التيمم) أم لا؟

الظاهر أنها تقوم مقامها، فلو كان محدثاً بالحدث الأكبر ولم يستطع الغسل لعذر يتعين عليه التيمم، وفيما عدا الجنابة يتعين عليه الوضوء ثم يطوف.

د- من شك فى الحدث والطهارة للطواف فحكمه حكم الشك فى الحدث والطهارة للصلاة، فإن كان شكّه بالحدث بعد يقينه بالطهارة بنى على الطهارة مطلقاً للاستصحاب وصحّ طوافه، وإن شك فى الطهارة بعد اليقين بالحدث تجب عليه الطهارة للاستصحاب، و بنى على عدمصحة الطواف، وإذا شك فى الطهارة بعد الفراغ من الطواف فلا اعتبار بشكّه وصحّ طوافه لقاعدة الفراغ.

الثانى- طهارة البدن اوللباس كما هو الحال فى الصلاة، قالت به الإمامية والشافعية (۱)والمالكية والحنابلة وخالفتهم فى هذه المسألة الحنفية حيث قالوا: أما طهارة الثوب والبدن والمكان فسنّة مؤكدة حتى ولو طاف وعليه ثوب كلّه نجس فلا جزاء عليه (۲).

الثالث- ستر العورة على نحو ما تقدم فى الصلاة فيجب على من يريد الطواف أن يستر عورته ولو كان قد أمن من الناظر، فلا يصح طواف العريان، وهذا هو المتفق عليه (۳)، وقالت الإمامية: إنه يشترط ستر العورة بثوب طاهر غير مغصوب وأن لا يكون من غير مأكول اللحم ولا من الحرير ولا الذهب كما هو الحال فى الصلاة بل تشدد بعضهم فى أمر الطواف أكثر من الصلاة حيث قال:

بالعفو عن الدم إذا كان بمقدار الدرهم البغلى فى الصلاة وعدم العفو عنه فى الطواف.

الرابع- الختان، فلايصح الطواف من الأغلف رجلًا كان أوصبياً، وبه

۱- ۱ المنهاج للنووى، والسراج الوهّاج للزهرى: ۱۵۹.

۲- ۲ كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ۱: ۵۳۵.

۳- ۳ السراج الوهّاج، والمنهاج للنووى.

ص: ۱۱۵

قالت الإمامية، فإذا طاف الصبی غير المختون أو طيف به بمعنی أنه حمله وليه أو غيره فطاف به، وكان غير مختون بعد أن أحرم به الولی فلا يجوز لهذا الصبی أن يتزوج بعد البلوغ إلّاأن يأتی بالعمرة المفردة، ولا يفيده تدارك طواف النساء فقط بنفسه فيما إذا أمكنه ذلك وبنائبه فيما إذا لم يمكنه ذلك؛ لأن الختان كان شرطاً فيصحة مطلق الطواف، وبدونه لم يكن طواف حجه أيضاًصحيحاً.

الخامس- النية بالخصوص، وبه قالت الإمامية والحنابلة، ولكن قالت المالكية والحنفية والشافعية: تكفی نية الحج بوجه العموم ولا يشترط نية الطواف بالخصوص (۱).

وجميع هذه الشروط معتبرة فی كلّ طواف واجب سواء كان لعمرة التمتع أو للعمرة المفردة أو لحج التمتع أو لحج الإفراد أو لحج القران، ويعبر عن هذه الشروط بالشروط الخارجية لخروجها عن عملية الطواف.

وإليك الآن شرائط الطواف الداخلية بعنوان واجبات الطواف، ويعبر عنها بذلك لدخالتها فی أصل الطواف:

۴- واجبات الطواف الداخلية:

وهی سبعة:

۱- الابتداء بالحجر الأسود، والختم به، فلا يصح أن يبدأ بالطواف من غيره كما لا يصح الاختتام بغير الحجر الأسود أيضاً، وبه قالت الإمامية والحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وبقية المذاهب، ويكفی عند الجميع حصول الابتداء والاختتام بالحجر الأسود المحاذاة العرفية فی ابتداء الشوط وختامه بأن يكون أول جزء من بدنه بإزاء أول جزء من الحجر.

۲- جعل البيت على يساره، فلا يصح الطواف بعكس ذلك بان يجعله على يمينه، ويكفی فی تحقق ذلك الصدق العرفی، فلا يضر الانحراف اليسير

۱- ۱ فقه السنّة.

ص: ۱۱۶

مادام الصدق العرفی متحققاً، وبه قالت الإمامیهٔ وبقیهٔ المذاهب.

۳- إدخال حجر إسماعیل فی الطواف بأن یجعله علی یساره أی یطوف حوله دون أن یدخل فیه، فإذا طاف بینه وبین البیت فجعل البیت عن یساره والحجر عن یمینه بطل طوافه، وعلیه أن یعید ذلک الشوط فقط إذا کان واحداً.

واستدلوا لذلک بقطع معظم الأصحاب، وأن النبیّصلی الله علیه و آله و سلم طاف خارج الحجر (۱).

ینبغی هنا الإشارهٔ إلی أمرین:

أ- أن حجرإسماعیل کان بیتاً له.

ب- أن إسماعیل دفن أُمّه هاجر فی هذا المکان، وأنه کره أن توطأ فحجر علیه.

۴- خروج جمیع بدنه عن البیت، وعن حجر إسماعیل وعمّا یحسب من البیت فلا یصح طواف من داخل البیت أو علی جدار الحجر أو علی شاذروان الکعبهٔ، وهو المقدار الباقی من أساس الجدار السابق بعد البناء الجدید، فإذا طاف کذلک بطل طوافه.

۵- کون الطواف بین البیت ومقام إبراهیم علیه السلام وهو الصخرهٔ التی علیها أثر قدمه، وکان إبراهیم علیه السلام یقف علیها حینما یبنی البیت، وکیف کان فلا- یصح أن یجعل مقام إبراهیم داخل المطاف، بل الواجب أن یجعل عن الیمین والبیت عن الیسار ویکون الطواف بینهما مراعیاً بذلک القدر من البعد فی جمیع الجهات، وهی المسافهٔ التی قدرت ب (۲۶) ذراعاً ونصف الذراع تقریباً بذراع الید، فإذا وقع الطواف خارج الحد المذکور لزمه تدارک ذلک الطواف عند کثیر من فقهاء الشیعهٔ، وإلّا فیحکم ببطلانه للخبر الضعیف المنجبر بعمل الأصحاب، وخالف فی ذلک بعض فقهاء الإمامیهٔ ولم یجعل حدّاً له للخبر الصحیح المعرض عنه عند الأصحاب لذهابه إلی عدم انکسار الخبر الصحیح باعراض الاصحاب عنه وهذا القول هو الذی اخترناه فی

۱- ۱ کفایهٔ الاخبار ۱: ۱۳۶.

ص: ۱۱۷

أبحاثنا الاجتهادية على أساس أن إعراض المشهور غير كاسر للخبر الصحيح كما أن عملهم غير جابر للخبر الضعيف، وبما أن الخبر الدال على اعتبار الحدّ المذكور فى الطواف يكون ضعيفاً سنداً ولذا ما اشترطناه فيه، وأمّا الخبر الدال على عدم اعتباره فيه فلما يكونصحيحاً سنداً ولذا أخذنا به وقلنا بعدم اعتبار الحدّ المذكور فى الطواف.

وأما فقهاء المذهب الحنفى و الشافعى والحنبلى والمالكى فلم يعتبروا الحدّ المذكور فى الطواف، وقال الحصنى الشافعى فى كتابه (۱): من واجبات الطواف أن يقع فى المسجد، حتى لو طاف فى الأروقة جاز، وكذاصرح به ابن جزى المالكى فى كتابه (۲) حيث قال عند البحث عن واجبات الطواف:

والخامس أن يطوف بداخل المسجد.

۶- العدد، أى كون العدد فى الطواف حول البيت سبعة أشواط من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود، وبه قال فقهاء جميع المذاهب.

۷- الموالاة، وعدم الفاصل بين الأشواط، فإنها شرط فيصحة الطواف، وهى أن يتابع بين أشواط الطواف، ولا يعمل فى خلالها عملًا ينافى تلك الموالاة، هذا ما قالت به الإمامية والمالكية والحنابلة، وخالفهم الحنفية والشافعية، وقالوا: هى سنّة، فلو فرق الطائف طوافه تفريقاً كثيراً بغير عذر لا يبطل، ويبنى على طوافه (۳).

وقال أبو حنيفة على ما حكى عنه العلّامة فى التذكرة: إذا أتى بأربعة أشواط ثم ترك فإن كان بمكة لزمه إتمام الطواف، وإن كان قد خرج منها جبرها بدم.

ثم إن الإمامية قالوا: إن الموالاة شرط فى الطواف الواجب، وأما فى المستحب فليست بشرط.

۸- أن يطوف ماشياً، فان عجز طاف راكباً، قالت به الحنفية (۴) وكذلك الحنابلة على ما نقل عنهم،

۱- ۱ كفاية الأخيار ۱: ۱۳۶.

۲- ۲ القوانين الفقهية: ۸۹.

۳- ۳ على ما حكى عنهم.

۴- ۴ المبسوط ۴: ۴۵، وبدايع الصنايع ۲: ۱۳۰، والمنهل العذب ۱: ۲۱۱، والأم ۲: ۱۷۴، والمجموع ۸: ۲۷، وفتح العزيز ۷: ۳۱۵، والشرح الكبير ۳: ۴۰۴.

ص: ١١٨

ولكن قال معظم الامامية والشافعية والمالكية (١)بعدم وجوبه بلصرح جماعة من الإمامية بجواز الركوب له اختياراً؛ لأن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم طاف على راحلته.

٥-صلاة الطواف:

صلاة الطواف هی رکعتان مثل فريضة الصبح يصليهما الحاج خلف مقام إبراهيم قريباً منه بحيث يصدق عليه أنهصلاها عنده إن أمكنه ذلك وإلّاصلاها فی أحد جانبيه، وإلّا حيث شاء من المسجد الحرام، وكيف كان فقد وقع الخلاف بين فقهاء المسلمين فی حكمها فی أنها واجبة أو غير واجبة.

ذهب بعض فقهاء المذاهب الإسلامية كالشافعية على قول (٢) والحنابلة إلى عدم وجوبها، واستدلوا لذلک بقول النبيّصلى الله عليه و آله و سلم خمسصلوات فی اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلّاأن تطوع (٣) وقالوا باستحبابها لاستظهارهم من الأخبار ذلک.

وذهببعض آخرمنهم كالإمامية والأوزاعية والثورية والمالكية (۴) والحنفية والشافعية على قول إلى وجوبها واستدلوا لذلك بقوله تعالى: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» (۵)

لدلالة الأمر على الوجوب. وبما روى عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أنه طاف بالبيت سبعاً وصلّى خلف المقام ركعتين وقال:

خذوا عنی مناسككم (۶).

۶- مستحبات الطواف:

وهی أمور:

قالت الإمامية: من سنن الطواف الوقوف عند الحجر الأسود والدعاء مستقبلًا وقراءة سورة القدر، وذكر اللَّه والسكينة فی المشی واستلام الحجر وتقبيله فی كلّ شوط مع الإمكان والإشارة إليه، واستلام الأركان كلّها كلما مرّ بها وتقبيلها، واستلام المستجار (وهو خلف الكعبة قريب من الركن اليمانی) فی الشوطالسابع والتدانی

١- ١ القوانين الفقهية: ٨٩.

٢- ٢ الوجيز ١: ١١٨، والفتح الربّانی ١٢: ٧۴، ونيل الأوطار ١: ١٣۴، وكفاية الأخيار ١: ١٣٩، والشرح الكبير ٣: ۴١۴.

٣- ٣ كفاية الأخيار ١: ١٣٩.

۴- ۴ القوانين الفقهية: ٨٩.

۵- ۵ سورة البقرة: ١٢۵.

۶- ۶ بداية المجتهد ١: ٣۴١.

ص: ۱۱۹

منالبيت إلى غيرذلك من الأشياء المذكورة فى الأحاديث.

قالت المذاهب الأخرى: من سنن الطواف استقبال الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التهليل والتكبير ورفع اليدين كرفعهما فى تكبيرة الصلاة، واستلامه بهما بوضعهما عليه وتقبيله بدونصوت ووضع الخد عليه إن أمكن وإلّا لمسه بيده والدعاء بما يشاء.

استحباب الاضطباع:

وأما الاضطباع (وهو جعل وسط الرداء تحت الابط الأيمن وطرفيه على الكتف الأيسر) فقد نسب استحبابه إلى الحنفية والشافعية والحنابلة ولم ينسب إلى المالكية (۱).

استحباب الرمل فى أثناء الطواف:

أما استحباب الرمل (وهو الإسراع فى المشى مع تقارب الخطى دون الوثوب والعدو) فقالت به الإمامية والمالكية (۲) والحنفية والشافعية والحنابلة (۳) فى الأشواط الثلاثة الأُول فى طواف القدوم.

۷- أحكام الطواف:

ينبغى هنا ذكر مسائل:

الأولى- إذا حاضت المرأة فى أثناء الطواف، فإن كان قد تم لها أربعة أشواط فأكثر تمتنع من بقية الطواف، وتأتى ببقية الأعمال من السعى والتقصير إذا كانت فى العمرة، ثم تنتظر إلى أن تطهر فتقضى ما فاتها من الطواف والصلاة ولا يجب عليها إعادة السعى.

وإن حدث لها ذلك قبل إتمام أربعة أشواط، أى فى الشوط الأول أو الثانى أو الثالث أو فى أثناء الرابع فعندئذ تقطع طوافها وتخرج من البيت فوراً ثم تنتظر فإن طهرت قبل الموقف بعرفة تأتى بالطواف كاملًا والصلاة بعدها وكذلك السعى والتقصير، وإذا لم تطهر قبل الموقف فينقلب حينئذ حجّها إلى الإفراد وتمضى بنفس الإحرام الأول إلى عرفة والمشعر وتأتى بأعمال

۱- ۱ الفقه على المذاهب الأربعة.

۲- ۲ القوانين الفقهية لابن جزى: ۸۹.

۳- ۳ بداية المجتهد ۱: ۳۴۰.

ص: ۱۲۰

منى وبقيـة أعمال مكـة، فإذا فرغت من مناسك الحج كلّها تأتى بعمرة مفردة بعد إكمال المناسك ويجزيها عن حجة الإسـلام وذلك للنصوص، هذا ما قالت به الإمامية.

الثانية- إذا انتهى من الأشواط ثم شك فى أنه هل أتى بهاصـحيحة أو لا؟ لم يلتفت ويبنى على الصحة ويمضى ولا شيء عليه، هذا هو المتفق عليه عند فقهاء المسلمين، وإذا لم يكن الشك بعد الانتهاء من الأشواط فحينئذ إذا حدث له الشك بعد ما أحرز السبعة، كما لو شك بين السـبعة والثمانية بنى على الصحة ولم يلتفت إلى شكّه، هذا أيضاً هو متفق عليه. وأما لو شك بين الستة والسبعة فما دون بنى على البطلان وعليه أن يعيد هذا فى‌الطواف الواجب.

وأما فى الطواف المسـتحب فإنه يبنى على الأقل ويتم، إن كان أحد طرفى الشك مادون السبعة، ولا يفرق فيه بين أن يكون الشك فى أثنـاء الطواف أو عنـد انتهاء الشوط الأخير، هـذا كلّه بنظر فقهاء الإماميـة، وأما بنظر فقهاء السـنّة فالقاعـدة عنـدهم هى البناء على الأقل أخذاً بالقدر المتيقن كما هو الحال فى الشك فى عدد ركعات الصلاة.

الثالثة- من ترك من طواف الزيارة ثلاثة أشواط فما دونها:

فقالت الحنفيـة: إن عليه دم شاة فيما إذا عاد إلى بلـده، ومن ترك أربعـة بقى محرماً أبداً حتى يطوفها (۱) وقالت بقية المذاهب: إنه لو ترك خطوة منها لم يجزه ولم تحل له النساء حتى يعود إليها فيأتى بها وصرح به الشافعى (۲).

۸- مكروهات الطواف:

قالت الإماميـة: من مكروهات الطواف، الكلام بغير ذكر اللّه، وغير الدعاء، وغير قراءة القرآن الكريم، والضـحك، والتمطى، والتثاؤب، وفرقعـة الأصابع، ومدافعـة البول والغائط، والأكل، والشـرب، ولبس البرطلـة (وهى القلنسوة الطويلـة التى كانت تلبس قـديماً) لأنها زى اليهود.

۱- ۱ فتح العزيز ۷: ۳۰۴، وبدايع الصنايع ۲: ۱۳۲، والمبسوط ۴: ۴۶، والهداية ۱: ۱۶۶.

۲- ۲ الأم ۲: ۱۷۰، وفتح العزيز ۷: ۳۰۳، والمبسوط ۴: ۴۶، وبدايع الصنايع ۲: ۱۳۲.

ص: ۱۲۱

الهوامش:

نشاة الحياة العلمية فى الحجاز

ص: ۱۲۳

نشأة الحياة العلمية فى الحجاز

عبد الجبار الرفاعى

مقدمة فى بيان دور أهل البيت وشيعتهم

فى ظهور وتطور العلوم الاسلامية فى المدينة ومكة

الإسلام أول دين سماوى اقترنت ولادته بالدعوة إلى القراءة والحث على التعلم، فالكلمة الأولى التى هتف بها الوحى ووعتها أسماع النبىّ محمدصلى الله عليه و آله و سلم هى الأمر بالقراءة «اقرأ باسم ربّك الذى خلق» (۱)

، وتلتها مباشرة «اقرأ وربّك الأكرم» (۲)

، وجاء فى سياقها تأكيد دور القلم «الذى علَّمَ بالقلم علَّمَ الإنسان مالم يعلم» (۳)

. وتكررت الآيات التى تحث على القراءة والتعلم ومرادفاتها الأخرى منبسطة على مساحة واسعة فى كتاب اللَّه تعالى، حتى أضحى هذا الموضوع محوراً أساسياً فى القرآن.

وافتتاح نزول القرآن على النبىّ بالأمر بالقراءة ظاهرة متميزة لا نعثر على ما يماثلها فى أى كتاب سماوى غيره، تعنى فى إحدى دلالاتها أن القرآن كتاب يهدف إلى تعميم المعرفة وإشاعة العلم واستئصال منابع الأمية والجهل، ويتجلى هذا المعنى بصورة واضحة فى بيان القرآن لمهمة النبىّ المتمثلة فى التزكية وتعليم

۱- ۱ العلق / ۱.

۲- ۲ العلق / ۳.

۳- ۳ العلق: ۴، ۵.

ص: ۱۲۴

الكتاب والحكمة «.. ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ..» (۱)

، هذه المهمة التى باشرها النبیّ منذ اليوم الأول الذى بُعث فيه، وواصلها بدأب ومثابرة حتى آخر لحظة فى حياته الشريفة.

لقد اتخذ النبیّ بعد بعثته من بيته ما يشبه المدرسة يعلم فيها ثلة قليلة ممن آمن به وصدقه فى دعوته تعاليم دينه الجديد، وما ينطوى عليه من عقائد ومفاهيم وأحكام، ثم انتقل إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وصارت هذه الدار الواقعة بمكة على الصفا بمثابة مدرسة للدعوة، يجرى فيها إعداد وتأهيل المسلمين الأوائل بشكل سرى، خشية من تنبه قريش واجهاضها الدعوة قبل أن تقوى شوكتها.

واستمرت هذه الدار تستقبل المؤمنين الجدد ليتعلموا فيها تعاليم الاسلام، (فلما تكامل عددهم أربعين رجلًا خرجوا) (۲) وانطلقت الدعوة الى المرحلة العلنية لتنفتح على كل الناس وتجهر عالياً بعقيدة التوحيد. ومع اتساع نطاق الدعوة ضاقت بها دار الأرقم فخرجت تبحث عن أماكن أخرى، فاحتضنتها دور المسلمين الأوائل فى مكة، وسعى هؤلاء المسلمون لاتخاذ البيت الحرام منطلقاً لرسالتهم وقتئذ، بيد أن خصومهم من المشركين أصروا على الحيلولة بينهم وبين الإفادة من البيت الحرام كمدرسة لتعليم القرآن والدعوة إلى الدين الجديد، وقد نقلت لنا كتب السيرةصوراً متنوعة من التعذيب والاضطهاد الذى لاقاه المؤمنون من قريش فى مكة (۳).

وبعد احتدام الصراع بين‌المسلمين والمشركين فى مكه اضطر الرسولصلى الله عليه و آله و سلم للهجرة إلى المدينة المنورة بمعية المسلمين، وكان قد سبق ذلك بسنوات هجرة طائفة من المسلمين إلى الحبشة فراراً من أذى قريش، وبحثاً عن أرض جديدة للدعوة. وفى دار الهجرة دخلت الدعوة مرحلة جديدة حققت فيها مكاسب

۱- ۱ البقرة ۱۵۱، آل عمران ۱۶۴.

۲ - ۲ ابن هشام. السيرة النبوية تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الابيارى، عبد الحفيظ شلبى. القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ۱۹۳۶ م، ج ۱:ص ۲۷۰ الهامش.

۳- ۳ المصدر السابق.ص ۳۴۲- ۳۴۳.

ص: ۱۲۵

عظيمـة، عنـدما امتـدت جغرافيـاً فاسـتوعبت مناطق نفوذ جديـدة. ومنـذ وصول الرسولصـلى الله عليه و آله و سـلم إلى المدينـة وإشادة المسـجد النبوى، أضـحى المسـجد مركزاً فاعلًا فى حيـاة الجماعـة المسـلمة فى المدينـة، تلقى من على منـبره المسـلمون أنوار الوحى ومعارف القرآن متدفقاً من فم الرسولصـلى الله عليه و آله و سـلم مباشـرة، ويمكن القول: إن هذا المسـجد المتواضع فى بنائه وعمارته البسـيطة احتضن مدرسـة فريـدة. الكتاب الـذى كان محور الدراسة فيها هو القرآن، والمعلم الأول هو رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سلم وتلامـذته هم الصـحابة. واسـتمرت هـذه المدرسـة تنمو وتتكامل، ففى كل يوم تسـتقبل تلامذة جدد من المسـلمين القادمين إلى المدينـة للتعرف على الاسـلام، ومع مرور الزمن اتسع نطاق العلوم التى تدرس فى المسـجد، فلم تقف عند دراسة القرآن الكريم وإنما امتـدت لتشـمل الحـديث الشـريف، والمغـازى والسـيرة الشـريفة، والفقـه، حيـث ظهرت أبرز مـدارس الفقه الاسـلامى المعروفـة لـدى المسلمين فى أروقة هذا المسجد.

المراكز العلمية عند الشيعة:

من المعالم الشاخصـة فى مسـيرة مدرسـة أهل البيت الاهتمام بالعلم وتوقير العلماء، كما نقرأ ذلك فى تاريـخ أتباع هـذه المدرسـة من الشيعة فى مختلف مراحل التاريخ، فلم تمنعهم ظروف الاضطهاد السياسى والقمع العنيف من أجهزة الخلفاء والسلاطين من طلب العلم. ويمكن القـول: إن التشـيع تحقـق فى العلـوم الاسـلامية بعمـق مثلمـا تحقق وظهر فى الثورات الاسـلامية منـذ عـاشوراء وصـبغ التـاريخ الاسـلامى بلون الـدم والشـهادة. وكما لانحتاج إلى جهـد كبير للتـدليل على دور الثوار الشـيعة فى مقاومـة سـلاطين الجور، كذلك لا يمكن أن نغفل حجم مساهمات علماء الشيعة عند

ص: ۱۲۶

الحديث عن نشأة وتطور العلوم الاسلامية (۱). وهذا لا يعنى أننا نذهب إلى ماقاله بعض الباحثين فى رد تمام ما يزخر به التراث الاسلامى من معارف وفنون إلى التشيع ونفى مساهمة بقية فرق المسلمين، فإن المسلمين بأسرهم كان لهم نصيب فى ابداع هذه المعارف وتنميتها، إلّاأن العطاء العلمى للتشيع يظل متميزاً كما وكيفاً، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الوضع الأمنى والسياسى الذى عاشه الشيعة فى مختلف فترات التاريخ. ولأجل بيان شىء من آثار هذا العطاء سنتحدث بايجاز عن المراكز العلمية للتشيع بالحجاز وموقعها الريادى فى نشأة وتطور العلوم الاسلامية.

المدينة المنورة:

المدينة هى الرحم الذى ولدت فيه بذرة التشيع، واحتضن الجيل الأول من شيعة الإمام على ابن أبى طالب عليه السلام، وتواصل توطن أئمة أهل البيت عليهم السلام فيها إلى الامام الحسن العسكرى عليه السلام، ولم يغادرها أحد منهم إلّاللضرورات سياسية أو عسكرية أو علمية أو أن يستقدمه السلطان الجائر فيسيّره إلى بغداد أو سامراء.

إن تراث أهل البيت وعلوم الإمامة فاضت من المدينة إلى بقية الأمصار بعد انتشار التشيع فى شتى أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك، وكان المسجد النبوى هو المركز العلمى الأهم الذى عقدت تحت سقفه الحلقات الدراسية الأولى عند الشيعة، وشهد هذا المسجد منذ تأسيسه إلى عدة قرون تعاقب مجموعة كبيرة من التلامذة، الذين انخرطوا فى حلقات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم ثم العلماء الشيعة فى فترات لاحقة. فبعد غياب الرسولصلى الله عليه و آله عن المسرح مكث الإمام على عليه السلام نحواً من ثلاثين سنة أمضى معظمها فى المدينة ماخلا نحو خمس سنوات فى الكوفة-

---

۱ - ۱ حول مساهمات الشيعة فى نشأة وتطور العلوم الاسلامية راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيدحسن الصدر. طهران: منشورات الأعلم. والشيعة الامامية ونشأة العلوم الاسلامية، للدكتور علاء الدين السيد أمير محمد القزوينى. قم: انتشارات الشريف الرضى.

ص: ۱۲۷

عكف فيها عليصيانة القرآن الكريم والسنة الشريفة وتعليمهما، وكان قد انبرى لهذه المهمة منذ اليوم الأول بعد وفاة رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، يقول ابن النديم: إن علياً عليه السلام (رأى من الناس طَيْرَةً عند وفاة النبيصلى الله عليه و آله و سلم، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءَه حتى يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن) (۱) ويشير إلى ذلك ابن أبى الحديد بقوله (وأمّا قراءته للقرآن واشتغاله به فهو المنظور اليه فى هذا الباب، اتفق الكلّ على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه) (۲) وانفرد الإمام على من بين الصحابة كافة باستيعابه لتمام علوم النبوة، فقد أورد الصفار فى بصائر الدرجات بسنده (عن سماعة بن مهران عن أبى عبداللّه عليه السلام قال: إن اللّه علَّمَ رسوله الحلال والحرام والتأويل وعلَّمَ رسول اللّه علمه كله علياً عليه السلام) وبسنده (عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبداللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه تعالى علَّمَ رسول اللّه عليه السلام القرآن وعلّمه شيئاً سوى ذلك منا علَّمَ رسوله فقد علَّمَ رسوله علياً عليه السلام) (۳) ويقول الإمام على عليه السلام (كنت أدخل على رسول اللّه كل يوم دخلة، فيخلينى فيها أدور معه حيث دار، وقد علِمَ أصحاب رسول اللّه أنه لم يصنع ذلك بأحد غيرى ... وكنت إذا سألته أجابنى، وإذا سكتُ وفنيت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن إلّاأقرأنيها وأملاها علىّ، فكتبتها بخطى، وعلّمَنى تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا اللّه أن يعلمنى فهمها وحفظها) (۴). وقال عليه السلام موضحاً مرجعيته للتفسير وعلوم القرآن بعد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم: (سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية فى ليل نزلت أو فى نهار أُنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، لأخبرتكم به) (۵). واحتفظت لنا كتب الحديث

۱- ۱ ابن النديم. الفهرست. تحقيق: رضا تجدد، طهران: ۱۹۷۱ م،ص ۳۰.

۲- ۲ ابن أبى الحديد. شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ط ۲، ۱۹۶۵ م، ج ۱:ص ۲۷.

۳- ۳ الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ. بصائر الدرجات. تصحيح: محسن التبريزى. قم: ۱۴۰۴ ه،ص ۲۹۰.

۴- ۴ الشيخ الصدوق. الخصال، تصحيح: على أكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية،ص ۴۵۱.

۵- ۵ الشيخ المفيد: الاختصاص. تصحيح: على أكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية،ص ۲۳۶.

ص: ۱۲۸

بعناوين جملة من الكتب، التى أملاها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم على على بن أبى طالب عليه السلام، اشتهر منها «الصحيفة» و «كتاب على» و «مصحف فاطمة». أما الصحيفة فهى عبارة عن (صحيفةصغيرة تشتمل على العَقْل- مقادير الديات- وعلى أحكام فكاك الأسير) (۱) أخرج نبأها البخارى، وغيره (عن أبى جعيفة، قال: قلت لعلى: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلّاكتاب اللَّه، أو فَهْمٌ أَعطيه رجُلٌ مسلم، أو مافى هذه. قال: قلت: فما فى هذه الصحيفة؟ قال: العَقْل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقْتَلَ مسلمٌ بكافر) (۲).

والكتاب الآخر الذى ورثه الإمام على عليه السلام من رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم هو ما عُرِف ب «كتاب على»، قال غذافِر الصيرفى: (كنت مع الحَكَم بن عُتَيْبَة عند أبى جعفر عليه السلام، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر عليه السلام له مُكْرِماً، فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بنى قم فأخرج كتاب على، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، وفَتَحَهُ، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة. فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خطّ على عليه السلام، وإملاء رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم. وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد، إذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالًا فواللَّه لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام (۳) وعن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: (واللَّه إن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع مايحتاج اليه الناس حتى أرش الخدش، إملاء رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وكتبه على بيدهصلوات اللَّه عليه) (۴). وعن (الفضيل بن يسار قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام: يا فضيل عندنا كتاب على سبعون ذراعاً، ما على الأرض شىء يُحتاج اليه إلّاوهو فيه حتى أرش الخدش، ثم خطه بيده على إبهامه) (۵).

وكان «مصحف فاطمة» كتاباً آخر أملاه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم على على عليه السلام، وتوارثه أهل البيت عليهم السلام كأحد ودائع النبوة، روى (أبو حمزة عن أبى عبداللَّه عليه السلام

۱- ۱ عتر، د. نور الدين. منهج النقد فى علوم الحديث. دمشق: دار الفكر، ۱۴۰۸ ه،ص ۴۶.

۲- ۲صحيح البخارى باب كتابة العلم من كتاب العلم. بيروت: دار الفكر، ۱۴۱۱ ه، ج ۱:ص ۴۱.

۳- ۳ النجاشى، أحمد بن على. رجال النجاشى. تحقيق: السيد موس الشبيرى الزنجانى. قم: جماعةالمدرسين، ۱۴۰۷ ه،ص ۳۶۰.

۴- ۴ بصائر الدرجات.ص ۱۴۵.

۵- ۵ المصدر السابق.ص ۱۴۷.

ص: ۱۲۹

قال: قيل له إن عبـداللَّه بن الحسن يزعم أنه ليس عنـده من العلم إلّاما عنـد الناس، فقال:صدق، واللَّه ما عنده من العلم إلّاما عند الناس، ولكن عنـدنا واللَّه الجامعة فيها الحلال والحرام، وعندنا الجفر، أفيدرى عبداللَّه أمسك بعير أو مسك شاة، وعندنا مصـحف فاطمة، أما واللَّه ما فيه حرف من القرآن، ولكنه إملاء رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وخط على عليه السلام ..) (۱).

لقـد كان الامام على بن أبى طالب عليه السـلام يمثل المرجعيـة العلميـة فى حياة المسـلمين بعـد وفاة رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سلم، بالرغم من إقصائه عن المسرح السياسـى فى حياة الخلفاء الثلاث، لكنه كان يسـهر على حماية تجربة الاسلام الفتية من النكوص والتداعى، وهذا ما جعله يسـجل حضوراً مشـهوداً فى مواقف متنوعة، منها ما يرتبط بالقضاء وحسم الخصومات بين الطرفين المتنازعين حين يتعـذر على الخليفـة اتخاذ موقف قضائى بذلك (۲)(۳)(۴)، ومنها ما يرتبط ببيان المواقف الاستراتيجيـة فى المنعطفات السياسـية والعسـكرية فى الحياة الإسـلامية، عندما يتعرض المسلمون لأخطار وشيكة، إثر الصراع المحتدم مع الامبراطوريتين الرومانية والفارسية، وقوى الشـرك الأخرى فى الجزيرة العربية. يضاف إلى ذلك الدور البارز الذى اضـطلع به الإمام على عليه السـلام فى حلّ المعضلات العقائديـة والفكريـة، التى كـانت تتوالـد كـلّ يوم مع ازدياد عـدد المسـلمين واتساع رقعـة الدولـة الإسـلامية. وهـذا ما تحكيه بوضوح المراجع التاريخيـة، التى تحـدثت عن تلك الحقبـة، فحين تشـير إلى طبيعـة التحـديات المختلفـة، التى كانت تواجه المسـلمين وقتئـذ، تكشف عن الدور المتميز، الذى كان ينهض به الإمام على عليه السـلام، ففى التفسـير وبيان ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه كان هو المرجع، وفى بيان الأحكام الشـرعية هو المرجع، وفى حلّ المعضـلات الفكرية المتنوعة هو المرجع، وفى المناظرات العقائدية هو المرجع، حتى شهد الخليفة الثانى بمرجعيته

۱- ۱ المصدر السابق.ص ۱۶۱. للتعرف المفصل على هـذه الكتب، يمكن مراجعـة أصول الكافى، ج ۱:ص ۲۳۸- ۲۴۲ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة.

۲- ۱ المصدر السابق.ص ۱۶۱. للتعرف المفصل على هـذه الكتب، يمكن مراجعـة أصول الكافى، ج ۱:ص ۲۳۸- ۲۴۲ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة.

۳- ۱ المصدر السابق.ص ۱۶۱. للتعرف المفصل على هـذه الكتب، يمكن مراجعـة أصول الكافى، ج ۱:ص ۲۳۸- ۲۴۲ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة..

۴- ۲ راجع: قضاء أمير المؤمنين على بن أبى طالبصلى الله عليه و آله. للمحقق الشيخ محمد تقى التسترى.

ص: ١٣٠

هذه غير مرة قائلًا: (لولا عليٌّ لهلك عمر)، و (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، و (لا يُفتين أحد فی المسجد وعلیّ حاضر) (١).

من هنا يتبين أنه كان المدرس الأول فی المدينة المنورة، فإن (أمير المؤمنين علَّمَ فی مجلس واحد أربعمائة باب، مما يصلح للمسلم فی دينه ودنياه) (٢). وكان هو منهل العلم الذی استقى منه عدد وفير من الصحابة والتابعين المعارف الاسلامية، واليه ينتهی تأسيس جملة من العلوم الإسلامية، يقول ابن أبی الحديد المعتزلی: (ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أُخِذَ، ومنه فُرِّع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلک، لأن أكثره عنه وعن عبداللَّه بن عباس، وقد علم الناس حالَ ابن عباس فی ملازمته له، وانقطاعه اليه، وأنه تلميذه وخرّيجه. وقيل له: أين علمک من علم ابن عمّک؟ فقال: كِنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علمُ الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن فی جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون، وعنده يقفون، وقدصرّح بذلک الشِّبْلی، والجُنَيد، وسَرِی، وأبو يزيد البِسْطامی، وأبو محفوظ معروف الكرخی، وغيرهم ... ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذی ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبی الأسود الدؤلی جوامعه) (٣).

فی ضوء ذلک يتضح أن الإمام علی عليه السلام مكث فی المدينة المنورة بعد وفاة رسول اللَّه مدة ناهزت عقدين ونصف العقد عكف فيها على غرس بذرة العلوم الإسلامية، واعداد جيل من التلامذة كعبد اللَّه بن عباس المعروف بحبر الأمة، أسهم هذا الجيل فيما بعد فی الامتداد بمدرسة علی عليه السلام من المدينة إلى بقية الأمصار الإسلامية، وتنمية العلوم التی غرسها. ومثلما كان للإمام علی الريادة فی إرساء أسس مدرسة المدينة المنورة، والسهر على تربية طائفة من التلامذة من ذوی البصائر، كذلک فعل الشیء نفسه لما بويع بالخلافة واتخذ من الكوفة عاصمة له.

١- ١ شرح نهج البلاغة، ج ١:ص ١٨.

٢- ٢ الشيخ الصدوق. الخصال. تصحيح: علی أكبر الغفاری. قم: جماعة المدرسين فی الحوزة العلمية،ص ٦١٠- ٦١١.

٣- ٣ المصدر السابق، ج ١:ص ١٩- ٢٠.

ص: ۱۳۱

مدرسة المدینة بعد غیاب الامام علی علیه السلام:

لم تقفل مدرسة المدینة أبوابها بعد هجرة أمیر المؤمنین إلی الکوفة عام ۳۵ للهجرة، ثم استشهاده فی مسجد الکوفة بعد خمس سنوات من هـذا التاریخ، وإنما تعاقبت علیها عدة أجیال من تلامذة الإمام علی وتلامذتهم. إذ امتدت الحرکة العلمیة فی المدینة بأبناء علی من الأئمـة علیه السـلام، وبتلامـذته الآخرین، الذین برز منهم عبداللّه بن عباس، الذی باشـر تعلیم التفسـیر والحدیث والفقه والأدب، وکان مجلسه یکتـظ بالدارسـین من مختلف الطبقـات، قال عطاء: (ما رأیت مجلساً قط أکرم من مجلس ابن عباس، أکثر علماً وأعظم جَفْنـة، وأن أصحاب القرآن عنده یسألونه، وأصحاب النحو عنده یسألونه، وأصحاب الشعر عنده یسألونه، وأصحاب الفقه عنده یسألونه، کلهم یصدرهم فی واد واسع) (۱).

إلّا أن ابن عباس عنی بتعلیم التفسـیر وعلوم القرآن عنایـة فائقة فعرف به، ومُلِئت المصـنفات المبکرة للتفسـیر بمرویاته وآرائه الخاصة. وعمـل الوضاعون فیما بعـد علی وضع أشـیاء کثیرة ونسـبتها الیه تزلفاً لأبنائه من الخلفاء فی العصـر العباسـی (۲). وعلی هـذا لا یمکن القول: أن تراث ابن عباس التفسـیری یعبر عن روح مدرسـة الإمام علی علیه السـلام بصورة نقیـة أمینـة، وإن کان ابن عباس نفسه أمیناً فیما حکاه عن أسـتاذه، لکن التشویه والدس الذی ابتُلیَت به آثاره فی العصـر العباسی نأی بها عن المنبع الذی استقت منه، علی أن ابن عباس لم ینفرد فی مدرسـة المدینـة، وإنما سـطع فیها نجم الحسن والحسـین علیهم السـلام، اللذین ورثا ودائع النبوة والعلوم التی نهلها أمیر المؤمنین علیه السـلام من رسول اللّهصـلی الله علیه و آله و سـلم، ثم أورث الحسـین ذلک لولده علی السـجاد وصار السلف منهم یوصـلها لخلفه، (عن عمر بن یزید قال أبو جعفر علیه السـلام: إن علیاً عالِم هذه الأمة، والعلم یتوارث، ولا یهلک أحد منّا إلّا ترک من أهله مَنْ یعلم مثل علمه أو ماشاء اللّه) (۳) وتؤکد المصادر التاریخیة أن

۱- ۱ الخطیب البغدادی. تاریخ بغداد أو مدینة الإسلام منذ تأسیسها حتی سنة ۴۶۳ ه. بیروت: دار الکتب العلمیة، ج ۱:ص ۱۷۴- ۱۷۵.

۲- ۲ أحمد أمین. فجر الاسلام. بیروت: دار الکتاب العربی، ۱۹۷۵ مص ۱۷۳- ۱۷۴، ۲۰۲- ۲۰۳.

۳- ۳ بصائر الدرجات:ص ۱۱۸.

ص: ۱۳۲

عبداللَّه بن عباس كان على بينة من هذا الأمر، ولذلك كان يبالغ فى احترام الحسن والحسين، يقول مدرك بن عمارة: (رأيت ابن عباس آخذاً بركاب الحسن والحسين، فقيل له: أتأخذ بركابيهما وأنت أسنّ منهما؟ فقال: إن هذين ابنا رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، أو ليس من سعادتى أن آخذ بركابيهما) (۱).

لقد واصل الحسنان رعاية مدرسة أبيهم فى المدينة، والتف حولهما نخبة من تلامذة أمير المؤمنين وغيرهم ينهلون من حلقات دروسهم فى المسجد النبوى الشريف، وذاع نبأ هذه الحلقات فرحل اليها طلاب العلم من خارج المدينة، فكان الحسن (يجلس فى مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، ويجتمع الناس حوله، فيتكلم بمايشفى غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين) (۲). ونالت حلقة الإمام الحسن فى المسجد النبوى اهتمام القادمين إلى المدينة، وتميزت على ماسواها من الحلقات الأخرى فى المسجد، يروى الواحدى (فى تفسيره الوسيط مايرفعه بسنده أن رجلًا قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدِّث عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم والناس حوله، فقلت له: أخبرنى عن «شاهد ومشهود» (۳)

، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة، فجزته إلى آخر يُحدِّث، فقلتُ له:

أخبرنى عن «شاهد ومشهود»، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يُحدِّث عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، فقلت: أخبرنى عن «شاهد ومشهود»، فقال: نعم، أما الشاهد فمحمدصلى الله عليه و آله و سلم، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: «يا أيها النبىّ إنا أرسلناك شاهداً» (۴)

، وقال تعالى: «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود» (۵)

. فسألت عن الأول؟ فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثانى؟ فقالوا:

ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن ابن على بن أبى طالب عليهم السلام، وكان قول الحسن أحسن) (۶).

۱- ۱ ابن عساكر. ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: محمد باقر المحمودى. قم: مجمع احياء الثقافة الإسلامية، ۱۴۱۴ ه،ص ۲۱۰- ۲۱۱.

۲- ۲ على بن عيسى الاربلى. كشف الغمة فى معرفة الأئمة. تعليق: هاشم الرسول. بيروت: دار الكتاب‌الاسلامى، ج ۲:ص ۱۶۹.

۳- ۳ البروج ۳.

۴- ۴ الأحزاب ۴۵.

۵- ۵ هود/ ۱۰۳.

۶- ۶ كشف الغمة، ج ۲:ص ۱۶۹.

ص: ۱۳۳

أما حلقـة الإمام الحسـين فى المسـجد النبوى فقد اشـتهرت وتفوقت على نظائرها من حلقات الدرس فى المسـجد، حتى اضـطر معاوية للاعتراف بذلك عندما قال (لرجل من قريش: إذا دخلت مسجد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبداللّه، مؤتزراً على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهُزِّيلى (۱) شىء) (۲).

وتمتع الإمام الحسـين عليه السـلام بمرجعيـة علميـة فى المدينـة مثلما تسـنم أمير المؤمنين عليه السـلام قبل ذلك هذه المرجعية، فكان يـدحض الشبهات العقائديـة حين يعجز غيره عن تفنيـدها، يقول (عكرمـة عن ابن عبـاس: بينمـا هو يُحـدِّث الناس، إذ قام اليه نافع ابن الأزرق، فقـال له: يـا ابن عبـاس تُفتى النـاس فى النملـة والقملـة،صف لى إلهـك الـذى تعبـد؟ فـأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله. وكان الحسين بن على جالساً ناحية، فقال: إلىَّ يا ابن الأزرق. قال: لستُ إيّاك أسأل!. قال ابن عباس:

يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة، وهم ورثة العلم. فأقبل نافع نحو الحسـين، فقال له الحسين: يا نافع إن من وضع دينه على القياس، لم يزل الـدهر فى الالتباس سائلًا ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالًا عن السبيل، قائلًا غير الجميل. يا ابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه:

لا يُدَرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحّد ولا يُبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلّاهو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق، وقال: يا حُسين ما أحسن كلامك! قال له الحسين:

بلغنى أنـك تشـهد على أبى، وعلى أخى بـالكفر، وعلىَّ. قـال ابن الأزرق: أما واللّه يا حسـين لئن كان ذلك، لقـد كنتم منار الإسـلام، ونجوم الأحكام. فقال له الحسين:

إنى أسالك عن مسألة. قال: سل. فسأله عن هذه الآية «وأما الجدار فكان الغلامين يتيمين فى المدينة» (۳)

؟ يا ابن الأزرق: من حُفِظ فى الغلامين؟ قال ابن

۱- ۱ الهزِّيلى: نسبة إلى الهزل مقابـل الجـد. وهى اشـارة إلى أن حلقـة الإمـام الحسـين ليس فيها عبث وشـعوذة وإنما كل ما فيها حق وصواب.

۲- ۲ ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق.ص ۱۲.

۳- ۳ الكهف/ ۸۲.

ص: ۱۳۴

الأزرق: أبوهما. قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم؟ قال ابن الأزرق:

قد أنبأ اللَّه تعالى أنكم قوم خصمون) (۱).

وبعد الإمام الحسين عليه السلام انبرى ولده الإمام السجاد عليه السلام لتبنى مدرسة المدينة ورعايتها، وحظى السجاد عليه السلام بمقام المرجعية العلمية فى هذه المدرسة مثلما حظى أبوه وجده عليهما السلام قبل ذلك، وهذا ماتدلل عليه مجموعة شهاداتصدرت من علماء معروفين من معاصريه، (فكان الزهرى يقول: على بن الحسين أعظم الناس علىّ منّة) (۲) ويضيف قائلًا: (ما كان أكثر مجالستى مع على بن الحُسين! وما رأيت أحداً كان أفقهَ منه، ولكنه كان قليل الحديث ... لم أدرك من أهل البيت أفضل من على بن الحسين) (۳). و (قال رجل لسعيد بن المُسَيّب: ما رأيت أحداً أورع من فلان! قال: هل رأيت على بن الحسين؟ قال:

لا، قال: ما رأيت أورع منه!) (۴).

وقال ابن خلكان فى معرض الحديث عنه: (وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تُحصَر) (۵). وكان الإمام السجاد منصرفاً إلى بثّ علوم النبوة، متخداً من المسجد النبوى مدرسة له، ففى كلّ جمعة يستثمر توافد المسلمين على المسجد فينبرى للإرشاد والوعظ، يقول سعيد بن المسيب: (كان على بن الحسين عليهما السلام يعظ الناس، ويزهدهم فى الدنيا، ويرغبهم فى أعمال الآخرة بهذا الكلام فى كل جمعة، فى مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، وحُفِظ عنه وكُتِبَ، يقول:

أيها الناس اتقو اللَّه ...) (۶).

وحين يتحدث الإمام السجاد واعظاً يتفاعل معه الناس وتهيج عواطفهم، وتسود المجلس موجة من البكاء، (قال أبو حمزة: كان الإمام على بن الحسين عليهما السلام إذا تكلم فى الزهد ووعظ، أبكى مَنْ بحضرته) (۷) ويبدو أن الإمام السجاد كان يمضى قسطاً وافراً من وقته يُعلِّم فى المسجد النبوى، قال يزيد بن حازم: (رأيتُ

۱- ۱ ترجمة الامام الحسين من تاريخ مدينة دمشق.ص ۲۲۵- ۲۲۶.

۲- ۲ ابن سعد. الطبقات الكبرى. بيروت: دارصادر، ج ۵:ص ۲۱۴.

۳- ۳ المزى. تهذيب الكمال فى أسماء الرجال تحقيق: د. بشار عوّاد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ۱۴۱۳ ه، ج ۲۰:ص ۳۸۶.

۴- ۴ المصدر السابق،ص ۳۸۹.

۵- ۵ ابن خلكان: وَفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان. تحقيق: د. إحسان عباس. قم: منشورات الرضى، مج ۳:ص ۲۶۹.

۶- ۶ الكلينى. روضة الكافى. تصحيح: على أكبر الغفارى. بيروت: دار الأضواء، ۱۴۰۵ ه،ص ۶۰- ۶۳.

۷- ۷ المصدر السابق،ص ۱۳.

ص: ۱۳۵

على بن حسين وسليمان بن يسار، يجلسان بين القبر والمنبر، يتحدثان إلى ارتفاع الضُحى ويتذاكران) (۱) و (عن ثوير بن فاخته، قال: سمعت على بن الحسين عليهما السلام يُحدِّث فى مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، قال: حدثنى أبى أنه سمع أباه على بن أبى طالب عليه السلام يُحدِّث الناس، قال: ...) (۲)، ولم يقتصر نشاطه العلمى على فترات وجوده فى المسجد، وإنما كان أهل العلم يقصدونه حيث مضى ولا ينفكّون عن طلب الإفادة منه والارتشاف من معين علومه حتى فى سفره، يقول سعيد ابن المسيب (إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج على بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب ..) (۳). إن خروج موكب يضم ألف رجل من القراء مع على بن الحسين، يبرهن بدون شك على حاجة أهل القرآن اليه، وأنه هو المرجع الأول فى التفسير وعلوم القرآن يومئذ، ويمكن أن نستنتج من هذا الرقم الكبير «ألف راكب» وجود أجماع بين المسلمين على منزلته العلمية، ولا سيما إذا لاحظنا أن هذا الموكب لا ـ يفارقه فى رواحه ومجيئه، يقول سعيد بن المسيب: (كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج على بن الحسين سيد الساجدين ..) (۴).

إن التفاف الناس وطلاب العلم خاصة حول الإمام السجاد عليه السلام، ومرافقتهم له بنحو دائم فى سفره وحضره، يعبر عن ظاهرة ملفتة للنظر، خصوصاً أن السجاد عليه السلام كان يخضع لرقابة السلطة الأموية باستمرار، لكن ذلك لم يُثنِ أهل العلم من الارتباط بمجالسه والحرص على مرافقته أينما رحل. وقد كان الوضع الأمنى الذى عاشه الامام السجاد عليه السلام فى المدينة عقيب واقعة كربلاء مباشرة لا يسمح له بممارسة مهامه العلمية بحرية، إلّاأنه لم يتخلَّ عن تلك المهام، فتكثف عمله على اعداد وتربية نخبة من الرجال الذين وعوا علومه ونشروها بين الناس، (قال الفضل بن شاذان: ولم يكن فى زمن على بن الحسين عليه السلام فى أول أمره إلّاخمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم،

۱- ۱ الطبقات الكبرى. ج ۵:ص ۲۱۷.

۲- ۲ الكلينى. روضة الكافى.ص ۸۹- ۹۰.

۳- ۳ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشى. تصحيح: حسن المصطفوى. مشهد: جامعة مشهد، ۱۳۴۸ ش،ص ۱۱۷.

۴- ۴ المصدر السابق،ص ۱۱۷.

ص: ۱۳۶

يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلى واسمه وردان ولقبه كنكر، سعيد بن المسيّب ربّاه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان حزن جدّ سعيد أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام) (۱).

وكان لتلامذة الامام السجاد دورٌ هام فى نشر العلوم الاسلامية، فمثلًا عُرِفَ سعيد بن جبير كأحد أبرز رجال التفسير والفقه فى عصره، حتى (كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أَليس فيكم ابن أُم الدهماء؟ يعنى سعيد بن جبير) (۲). واعترف ابن عمر عندما سأله رجال بأن سعيد أفقه منه، (عن أسلم المنقرى عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال: إئت سعيد بن جُبير فإنه أعلم بالحساب منى، وهو يُفرِض منها ما أفرض) (۳). وروى (عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلّاوهو محتاج إلى علمه) (۴).

أما سعيد بن المسيب فكان من أبرز علماء عصره مثلما وصفه الإمام السجاد (عن أبى جعفر، قال: سمعت على بن الحسين يقول: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفهمهم فى زمانه) (۵).

ومضافاً إلى ما أنجبته مدرسة الإمام السجاد عليه السلام من حملة العلوم الإسلامية، خلفت لنا هذه المدرسة أيضاً نصّين هامين، أحدهما عبارة عن مجموعة من الأدعية التى طفحت بالتعاليم والمفاهيم الربانية، اشتهرت باسم «الصحيفة السجادية»، والآخر هو وثيقة حقوقية نصّت على طائفة من الحقوق الأساسية للّٰهتعالى، وللنفس، وللأئمة، وللرعية، وللرحم، وللناس ... وغير ذلك وعرفت باسم «رسالة الحقوق».

مدرسة المدينة فى عصر الباقر والصادق عليهما السلام:

وبعد وفاة الإمام على بن الحسين عليه السلام نهض بمهمة إدارة مدرسته والتعليم

۱- ۱ المصدر السابق،ص ۱۱۵.

۲- ۲ تهذيب الكمال، ج ۱۰: ۳۶۴.

۳- ۳ الطبقات الكبرى، ج ۶:ص ۲۵۸.

۴- ۴ تهذيب الكمال، ج ۱۰:ص ۳۶۴.

۵- ۵ رجال الكشى،ص ۱۱۹.

ص: ۱۳۷

فيها ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام، الذى احتضن تلامذة أبيه، واقتفى أثره فى تربية مجموعة من العلماء، (وشُهِرَ أبو جعفر بالباقر من: بقر العلمَ، أى شقَّهُ فعرفَ أصلَهُ وخفيَّه) (۱). واعترف له بالتفوق العلمى وأهليته لإمامة المسلمين مَنْ ترجم له من المؤرخين، فمثلًا قال عنه الذهبى: (وكان أحد مَنْ جمع بين العلم والعَمَل والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلًا للخلافة) (۲)، وقال عنه أبو زرعة (ولعمرى إنّ أبا جعفر عليه السلام لمن أكبر العلماء) (۳). ولم ينفرد الشيعة بتوقير مقامه والإفادة منه، وإنما ورد نميره طائفة من طلاب العلم الآخرين، لما وجدوا لديه من غزارة فى العلم وإحاطه شاملة بالعلوم الإسلامية، فكانوا إذا أرادوا معرفة السنة الشريفة جاءوه، وإذا اضطربت الآراء وتزايدت الشبهات لم يجدوا الجواب النهائى عليها عند غيره، فقد (روى أبو جعفر عليه السلام، أخبار المبتدإ وأخبار الأنبياء، وكَتَبَ عنه الناس المغازى، وأثروا عنه السُّنْنَ، واعتمدوا عليه فى مناسك الحج التى رواها عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، وكتبوا عنه تفسير القرآن، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار، وناظرَ مَنْ كان يَرِدُ عليه من أهل الآراء، وحفِظَ عنه الناس كثيراً من علم الكلام ... وروى عنه عليه السلام أنه سُئِل عن الحديث يُرسلُه ولا يُسندُه، فقال: «إذ حدّثتُ الحديث فلم أُسنِده، فسندى فيه أبى عن جدِّى عن أبيه عن جدِّه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم عن جبرئيل عليه السلام عن اللَّه عزّ وجل») (۴). وكان مجلسه عامراً بالعلماء، وهم فى غاية التواضع والاحترام له، قال عبداللَّه بن عطاء المكى: (ما رأيتُ العلماءَ عند أحدٍ قط أصغر منهم عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عليهم السلام، ولقد رأيتُ الحكم بن عُتَيْبَةَ- مع جلالته فى القوم- بين يديه كأنهصبىّ بين يدى مُعَلِّمه. وكان جابر بن يزيد الجعفى إذا روى عن محمد بن على عليهما السلام شيئاً، قال: حدّثنى وصىُّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء محمد بن على بن الحسين عليهم السلام) (۵). وكان عليه السلام يفد عليه السائلون وطلاب العلم

۱- ۱ شمس الدين الذهبى. سير أعلام النبلاء تحقيق: مأمون الصاغرجى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ۱۴۱۲ ه، ج ۴:ص ۴۰۲.

۲- ۲ المصدر السابق،ص ۴۰۲.

۳- ۳ الشيخ المفيد. الإرشاد فى معرفة حجج اللَّه على العباد. تحقيق: مؤسس آل البيت عليهم السلام الحياء التراث، ۱۴۱۳ ه، ج ۲:ص ۱۶۳.

۴- ۴ المصدر السابق،ص ۱۶۳، ۱۶۷.

۵- ۵ المصدر السابق:ص ۱۶۰.

ص: ۱۳۸

من شتى البلاد فى ذلك العصر، ومجلسه يومئذ معروف فى المسجد النبوى الشريف، ومزدحم بهؤلاء القادمين من تلك البلاد، كلٌ منهم يسأل ويطلب معرفة الحلال والحرام ومعالم دينه من أبى جعفر عليه السلام، يقول أبو حمزة الثمالى: (كنت جالساً فى مسجد الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، إذ أقبل رجل فسلَّمَ، فقال: مَنْ أنت يا عبداللَّه؟ فقلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لى:

أتعرف أبا جعفر محمد بن على عليهما السلام؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ قال: هيّأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حقّ أخذته، وما كان من باطل تركته. قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحقّ والباطل؟ قال: نعم، فقلت له: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحقّ والباطل، فقال لى: أهل الكوفة أنتم قوم ما تُطاقون، إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرنى، فما انقطع كلامى معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان، وغيرهم،، يسألونه عن مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه، وجلس الرجل قريباً منه، قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام، وحوله عالَم من الناس، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا، التفت إلى الرجل، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصرى، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة ...) (۱). وقد كان أبو جعفر الباقر عليه السلام مثلما كان أبوه السجاد عليه السلام، حيثما ذهب أوحلَّ يلحقه أهل العلم وينتهز أهل ذلك البلد أو القادمون اليه من بلدان آخرى فرصة وجوده عليه السلام فيرتشفون من منهله الغزير، (عن ثوير بن فاخته، قال:

خرجت حاجّاً فصحبنى عمر بن ذر القاضى، وقيس الماصر، والصلت بن بهرام، وكانوا إذا نزلوا منزلًا، قالوا: انظر الآن، فقد حررنا أربعة آلاف مسألة تسأل أبا جعفر عليه السلام منها عن ثلاثين كل يوم ...) (۲). أما اذا بلغ الإمام الباقر عليه السلام بيت اللَّه الحرام، فيتهافت على مجلسه المقيمون فى مكة وللقادمون من الامصار، ويصبح

۱- ۱ فروع الكافى. ج ۶:ص ۲۵۶.

۲- ۲ رجال الكشى.ص ۲۱۹.

ص: ۱۳۹

مجلسه فی البیت الحرام حدیث الحاج فی الموسم، لشدهٔ ازدحام الناس علیه، (قال الأبرش الکلبی لهشام، مشیراً إلی الباقر علیه السلام: مَنْ هـذا الـذی احتوشه. أهـل العراق یسـألونه؟ قـال هـذا نبیُّ الکوفـهٔ، وهو یزعم أنه ابن رسول اللَّه، وباقر العلم، ومفسِّر القرآن، فاسأله مسألهٔ لا یعرفها، فأتاه، وقال: یا ابن علیّ قرأت التوراهٔ، والانجیل، والزبور، والفرقان؟ قال: نعم، قال: فإنی أسألک عن مسائل؟ قال: سل، فإن کنت مسترشـداً فسـتنتفع بما تسأل عنه، وإن کنت متعنتاً فتضلّ بما تسأل عنه ...) (۱). ویؤکد موقف آخر تجمهر طلاب العلم حوله علیه السلام فی الحرم، کما یقول أبو بصیر: (کان أبو جعفر الباقر علیه السلام جالساً فی الحرم، وحوله عصابهٔ من أولیائه، إذ أقبل طاووس الیمانی فی جماعـهٔ، فقال: مَنْصاحب الحلقـهٔ؟ قیل: محمـد بن علی بن الحسـین بن علی بن أبی طالب علیهم السـلام، قال: إیّاه أردت، فوقف علیه، وسـلَّمَ وجلس، ثم قال: أتأذن لی فی السؤال؟ فقال الباقر علیه السلام: قد أذنّاک فسل ...) (۲). وتخرج فی مدرسهٔ الإمام الباقر علیه السلام نخبهٔ من العلماء الذین سهروا علی حفظ وروایهٔ أحادیث أهل البیت علیهم السلام ونشرها بین حفظهٔ العلم، من أمثال أبان بن تغلب بن رَباح، الذی کان من تلامذهٔ علی بن الحسـین، وأبی جعفر، وأبی عبداللَّه علیهم السـلام، روی عنهم، وکانت له عندهم منزلهٔ وقَدَم ... وقال له أبو جعفر علیه السلام:

«اجلس فی مسجد المدینهٔ وأفت الناس، فإنی أحِبّ أن یُری فی شیعتی مثلک» ...

وکان أبان إذا قـدم المدینـهٔ تَقَوّضَتْ إلیه الحَلَق، وأُخلیت له ساریـهٔ النبیصـلی الله علیه و آله و سـلم) (۳). واعترف الجمهور باستیعاب تلامذهٔ الإمام الباقر علیه السـلام ودقتهم فی روایهٔ الحدیث الشـریف، فقد ورد فی (مسـند أبی حنیفهٔ قال الراوی: ماسألت جابر الجعفی قطّ مسألهٔ إلّاأتانی فیها بحدیث ...) (۴). وهکذا کان محمد بن مسـلم الثقفی الذی یقول: (ما شـجر فی رأیی شیء قط إلّاسألت عنه أبا جعفر علیه السلام، حتی سألته عن ثلاثین ألف حدیث، وسألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن ستهٔ عشر ألف

۱- ۱ محمد باقر المجلسی: بحار الأنوار الجامعهٔ لدرر أخبار الأئمهٔ الأطهار. بیروت: مؤسسهٔ الوفاء، ۱۴۰۳ ه، ج ۴۶:ص ۳۵۵.

۲- ۲ المصدر السابق،ص ۳۵۴- ۳۵۵.

۳- ۳ رجال النجاشی.ص ۱۰- ۱۲.

۴- ۴ بحار الأنوار. ج ۴۶:ص ۲۸۹.

ص: ۱۴۰

حديث) (۱). وكان بعض الوافدين إلى مدرسة الإمام الباقر عليه السلام من الأمصار يمكثون عدّة سنوات فيها للتزود من معارف أهل البيت عليهم السلام منقطعين عن أوطانهم وأهليهم، كما فعل محمد بن مسلم الذى (أقام بالمدينة أربع سنين يدخل على أبى جعفر عليه السلام يسأله، ثم كان يدخل على جعفر بن محمد عليه السلام يسأله) (۲).

وقدم جابر الجعفى إلى المدينة لطلب العلم منه عليه السلام، يقول جابر: (دخلت على أبى جعفر عليه السلام وأنا شاب، فقال من أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال: ممَّن؟

قلتُ: من جعفى، قال: ما أقدمك إلى ههنا؟ قلت: طلب العلم، قال: ممن؟ قلتُ:

منك ...) (۳).

ولا يسعنا فى هذا المقام أن نتحدث عن جميع منْ تخرج فى مدرسة الامام الباقر، والذين تجاوز عدد المعروفين منهم أكثر من (۴۵۰) أربعمائة وخمسين رجلًا (۴).

وبعد وفاة الإمام الباقر خلفه فى مدرسته ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق، الذى (نَقَلَ الناس عنه من العلوم ماسارت به الرُّكبانُ، وانتشر ذكره فى البُلدان، ولم يُنقَل عن أحدٍ من أهل بيته ما نُقِلَ عنه، ولا لقى أحدٌ منهم من أهل الآثار ونَقَلةِ الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبى عبداللّه عليه السلام، فان أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم فى الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل ... وكان عليه وآبائه السلام يقول: «حديثى حديث أبى، وحديثُ أبى حديث جدِّى، وحديث جدِّى حديث على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وحديث على أمير المؤمنين حديث رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، وحديث رسول اللّه قول اللّه عزَّوجلَّ») (۵). واتسع نطاق مدرسته فاستوعبت عدداً غفيراً من طلاب العلم، وامتدت جغرافياً لتتخذ من مدينة الكوفة مركزاً لها فى ذروة نموها وتطورها. فإن انتقال الإمام وحلوله فى أى مكان كان سبباً لأن

۱- ۱ رجال الكشى.ص ۱۶۳.

۲- ۲ المصدر السابق:ص ۱۶۷.

۳- ۳ المصدر السابق.ص ۱۹۲- ۱۹۳.

۴- ۴ الشيخ محمد بن الحسن الطوسى. رجال الطوسى. قم: منشورات الرضى،ص ۱۰۲- ۱۴۲.

۵- ۵ الإرشاد فى معرفة حجج اللّه على العباد- المفيد-ص ۱۷۹، ۱۸۶.

ص: ۱۴۱

يقصـده أهـل العلم ويلتفـوا حوله للارتشـاف من نمير علمه. وكـان البعض يسـتفيد من وفود الإمـام الصـادق عليه السـلام إلى بيت اللَّه الحرام فيتلقى العلم منه، ويلجأ اليه فى دحض شـبهات الزنادقة التى بدأت بالظهور فى هذا العصـر، وبلغت الجرأة بأصحابها أن يذيعوها فى المسـجد الحرام فى مـوسم الحـج، فـان (ابـن أبى العوجـاء، وابـن طـالوت، وابن الأـعمى، وابن المُقَفَّع، فى نفرٍ من الزنادقـة، كـانوا مجتمعيـن فى المـوسم بالمسـجد الحرام، وابـو عبـداللَّه جعفر بن محمـد عليهمـا السـلام فيه إذ ذاك يفـتى النـاس، ويُفسِّر لهم القرآن، ويُجيبُ عن المسائل بالحجـج والبيِّنات. فقال القوم لابن أبى العوجاء: هل لك فى تغليط هـذا الجالس وسؤاله عمّا يفضـحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقـد ترى فتنـة الناس به، وهو علّامـةُ زمانه، فقال لهم ابن أبى العوجاء: نعم، ثم تقـدّمَ ففرّقَ بين الناس، وقال: أبا عبداللَّه، إن المجالس أمانات، ولابد لكل من كان به سُعالٌ أن يسعَلَ، فتأذنُ فى السُّؤال؟ فقال له أبو عبداللَّه عليه السلام: «سل إن شئتَ».

فقال له ابن أبى العوجاء: إلى كم تـدوسون هـذا البيدر، وتلوذون بهذا الحَجَر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمَدَرِ، وتهرولون حوله هرولـة البعير إذا نفر؟! مَنْ فكّر فى ذلك وقدّر، عَلِمَ أنه فعلُ غير حكيم ولا ذى نظرٍ، فقُل فإنك رأس هذا الأمر وسـنامُه، وأبوك أُسُّه ونظامه. فقال له الصادق عليه وعلى آبائه السـلام: «إنّ مَنْ أضـله اللَّه وأعمى قلبه اسـتوخَمَ الحق فلم يسـتعذبه، وصار الشـيطان وليَّه وربَّه، يُوردُه مناهل الهلكـة، وهذا بيت اسـتعبد اللَّه به خلقه ليختبر طاعتهم فى إتيانه، فحثَّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصـلين له، فهو شُـعبة من رضوانه، وطريق يؤدى إلى غُفرانه، منصوبٌ على اسـتواء الكمـال، ومجمع العظمـة والجلال، خلقه قبـل دَحْوِ الأرض بألفى عام، فأُحقُّ مَنْ أُطيعَ فيما أمرَ وانتُهى عمّا زَجَرَ، اللَّه عزَّ وجلَّ المنشىءُ للأرواح والصور».

فقال له ابن أبى العوجاء: ذكرت- أبا عبداللَّه- فأحلت على غائب. فقال

ص: ١٤٢

الصادق علیه السلام:

«کیف یکون- یا ویلک- عنَّا غائباً مَنْ هو مع خلقه شاهدٌ، وإلیهم أقربُ من حبل الورید؟! یسمعُ کلامهم ویعلم أسرارهم، لا یخلو منه مکانٌ، ولا یشتغل به مکان، ولا یکونُ إلی مکان أقرب من مکان، تشهد له بذلک آثارُه، وتدلُّ علیه أفعاله، والذی بُعث بالآیات المحکمهٔ والبراهین الواضحهٔ محمدٌصلی الله علیه و آله و سلم جاءَنا بهذه العبادهٔ، فإن شککت فی شیء من أمره فاسأل عنه أُوضحه لک». قال: فأبلس ابنُ أبی العوجاء، ولم یدر ما یقول، فانصرف من بین یدیه، وقال لأصحابه:

سألتکُم أن تلتمسوا لی خُمرهً فألقیتمونی علی جمرهٔ، قالوا له: اسکتْ، فواللَّه لقد فضحتنا بحیرتک وانقطاعک، ومارأینا أحقر منک الیوم فی مجلسه فقال: ألی تقولون هذا؟! إنه ابن مَنْ حلقَ رؤوس مَنْ ترون، وأومأ بیده إلی أهل الموسم) (١).

وعندما نراجع مواقف المعاصرین للإمام جعفر الصادق من الفقهاء، والرواهٔ، والمفسرین، نجدهم یعترفون بأسرهم له بالفضل والمقام العلمی الشامخ، ویشهد الخصم منهم فضلًا عن سواه بمرجعیته العلمیهٔ، وحاجهٔ الجمیع الیه واستغنائه عن الجمیع، یقول النوفلی: (سمعتُ مالک بن أنس الفقیه یقول: واللَّه ما رأت عینی أفضل من جعفر بن محمد علیه السلام زُهداً، وفضلًا، وعبادهٔ، وورعاً، وکُنتُ أقصده فیکرمنی، ویُقبل علیّ، فقلتُ له یوماً: یا ابن رسول اللَّه ما ثواب مَنْصام یوماً من رجب إیماناً واحتساباً؟ فقال:- وکان واللَّه إذا قالصدق- حدثنی أبی عن أبیه عن جدِّه، قال: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: مَنْصامَ من رجب یوماً ایماناً واحتساباً غفر له، فقلت له: یا ابن رسول اللَّه فما ثواب مَنْصام یوماً من شعبان؟

فقال: حدثنی أبی عن أبیه عن جدِّه، قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: مَنْصام یوماً من شعبان إیماناً واحتساباً غُفِر لهُ) (٢).

١- ١ المصدر السابق.ص ١٩٩- ٢٠١.

٢- ٢ بحار الأنوار. ج ٤٧:ص ٢٠. عن: أمالی الصدوق.ص ٥٤٢.

ص: ۱۴۳

وبمثل هذا يشـهد الفقيه المعروف أبو حنيفة، كما فى (مسـند أبى حنيفة، قال الحسن بن زياد: سـمعتُ أبا حنيفة وقد سُئِل مَنْ أفقه من رأيت؟ قـال: جعفر بن محمـد. لمـا أقـدمه المنصور بعث إلىّ، فقـال: يـا أبـا حنيفـة، إن النـاس قـد فُتنوا بجعفر بن محمـد فهيّىء له من مسائلـك الشـداد، فهيّأت له أربعين مسألـة، ثم بعث إلىّ أبو جعفر وهو بـالحيرة، فـأتيته، فـدخلتُ عليه، وجعفر جـالس عن يمينه، فلمّا بصـرت به، دخلنى من الهيبـة لجعفر مالم يدخلنى لأبى جعفر، فسلّمتُ عليه، فأومأ إلىّ فجلستُ، ثم التفتَ اليه، فقال: يا أبا عبداللَّه هذا أبو حنيـفـة، قـال: نعم أعرفه، ثم التفتَ إلىّ، فقـال: يـا أبا حنيفـة ألقِ على أبى عبـداللَّه من مسائلك، فجعلتُ أُلقى عليه فيجيبنى، فيقول: أنتم تقولون كـذا، وأهـل المدينـة يقولون كـذا، ونحن نقول كـذا، فربمـا تابعنـا وربمـا تـابعهم، وربمـا خالفنـا جميعـاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلَّ منها بشىء. ثم قال أبو حنيفة: أليس أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) (۱).

وقد أمضـى الامام جعفر الصادق عليه السـلام جُلَّ حياته فى المدينة المنورة منصـرفاً لإحياء السـنة الشـريفة ونشر معارف الوحى، كتب الشهرسـتانى يصف الإمام الصادق عليه السـلام (وهو ذوعلم غزير فى الـدين، وأدب كامل فى الحكمة، وزهد بالغ فى الدنيا، وورع تام عن الشـهوات، وقد أقام بالمدينة مدة، يفيد الشيعة المنتمين اليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق، وأقام بها مدة) (۲).

واشـتهر مجلسه فى المدينـة؛ لأنـه (كـان يجلس للعامـة والخاصـة، ويـأتيه النـاس من الأقطـار، يسألونه عن الحلال والحرام، وعن تأويل القرآن، وفصـل الخطاب، فلا يخرج أحـد منهم إلّاراضـياً بالجواب) (۳). واسـتقطب مجلسه القـادمين إلى المدينـة، فكان أهل العلم لا يتركون الورود عليه عندما يأتونها، فقد دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبداللَّه بن مسلم، فقال له: (يا أبا حنيفة، إن ههنا جعفر بن

۱- ۱ ابن شهراشوب. مناقب آل أبى طالب. تصحيح: هاشم الرسولى المحلاتى. قم: انتشارات علامه، ج ۴:ص ۲۵۵.

۲- ۲ الشهرستانى. كتاب الملل والنحل. تخريج: محمد بن فتح اللَّه بدران. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ج ۱:ص ۱۴۷.

۳- ۳ المسعودى، على بن الحسين. اثبات الوصية. بيروت: دار الأضواء، ۱۴۰۹ ه،ص ۱۹۶.

ص: ۱۴۴

محمـد، من علماء آل محمـد، فاذهب بنا إليه، نقتبس منه علماً، فلما أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه ...) (۱) ولم ينقطع توافد أصحابه عليه على مدار السنة، وكان يزدحم وفدهم وقت الحج، فمثلًا عُرِف عن زرارة بن أعين واخوانه مجيؤهم اليه من الكوفة باستمرار، حتى (قال ربيعة الرأى لأبى عبداللّه عليه السلام: ما هؤلاء الأخوة الذين يأتونك من العراق، ولم أرَ فى أصحابك خيراً منهم ولا أهيأ؟ قال: أولئك أصحاب أبى، يعنى ولد أعين) (۲).

وهكذا (عمر بن محمد بن يزيد أبو الأسود بياع السابرى ... أحد مَنْ كان يفد فى كلّ سنة) (۳)، إلى أبى عبداللّه عليه السلام من الكوفة للارتشاف من معارف الوحى لديه.

وهاجر آخرون من أصحابه إلى المدينة عازفاً عن وطنه ملتحقاً به عليه السلام، مثلما فعل حماد بن عيسى الجهنى البصرى، الذى (لحق بأبى عبداللّه عليه السلام، ومات بوادى قناة بالمدينة ... سنة تسع ومائتين) (۴).

وقد أسهم تزايد وفود أصحاب الصادق عليه السلام إلى المدينة فى تنامى الحركة العلمية فيها، وازدهار حلقات الدراسة والمناظرة فى أروقة مسجد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، يقول أبو خالد الكابلى: (رأيت أبا جعفرصاحب الطاق، وهو قاعد فى الروضة، قد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه، فقلت: إن أبا عبداللّه ينهانا عن الكلام، فقال: أمرَكَ أن تقول لى؟ فقلت: لاـ واللّه، ولكن أمرنى أن لاـ أكلم أحداً، قال: فاذهب فأطعه فيما أمرك، فدخلت على أبى عبداللّه عليه السلام، فأخبرته بقصةصاحب الطاق، وماقلتُ له، وقوله لى اذهب وأطعه فيما أمرك، فتبسم أبو عبداللّه عليه السلام، وقال: يا أبا خالد، إنصاحب الطاق يكلِّم الناس فيطير وينقضّ، وأنت إن قصوك لن تطير) (۵). وما كان لهذه الحركة العلمية أن تأخذ بالاتساع لو لم يكن الإمام مرشداً وهادياً لها، فقد كان أبو عبداللّه عليه السلام، يقول لعبد الرحمن بن الحجاج: (يا عبد الرحمن كلِّم أهل المدينة،

۱- ۱ الطبرسى. الاحتجاج.ص ۲۱۰.

۲- ۲ رجال الكشى.ص ۱۶۱.

۳- ۳ العلامة الحلى. رجال العلامة الحلى. تحقيق السيد محمدصادق بحر العلوم. النجف: المطبعة الحيدرية، ۱۹۶۱ م،ص ۱۱۹.

۴- ۴ الشيخ المفيد. الاختصاص.ص ۲۰۵.

۵- ۵ رجال الكشى.ص ۱۸۵- ۱۸۶.

ص: ۱۴۵

فإننی أُحب أن يُرى فی رجال الشيعة مثلک) (۱).

وكان الامام جعفر الصادق عليه السلام يغمر تلامذته يفيض من العطف والرعاية والمودة، ويتكفل شيئاً من نفقتهم، ويقوم بضيافتهم فی منزله إذا وردوا المدينة، يقول زيد الشحّام: (رآنی أبو عبداللَّه عليه السلام وأنا أصلی، فأرسل الیَّ ودعانی، فقالَ لی: من أين أنت؟ قلتُ: من مواليک، قالَ: فأیّ مواليَّ؟ قلتُ: من الكوفة، فقالَ:

مَنْ تعرف من الكوفَة؟ قلتُ: بشير النبّال وشجرة، قالَ: وكيفصنيعتهما اليک؟

فقال: ما أحسنصنيعتهما إلیّ! قال: خير المسلمين مَنْ وصلَ وأعانَ ونفعَ، مابتُّ ليلة قط وللَّه فی مالی حقّ يسألنيه، ثم قالَ: أی شیء معكم من النفقة؟ قلتُ:

عندی مائتا درهم، قال: أرنيها، فأتيته بها فزادنی فيها ثلاثين درهماً ودينارين، ثم قالَ: تعشَّ عندی، فجئت فتعشّيت عنده، قال: فلما كان من القابلة لم أذهب اليه، فأرسل إلیّ فدعانی من عنده (من غده)، فقال: مالک لم تأتنی البارحة، قد شفقت علیّ؟ فقلتُ: لم يجئنی رسولک، قال: فأنا رسول نفسی إليک مادمت مقيماً فی هذه البلدة، أی شیء تشتهی من الطعام؟ قلتُ: اللبن، قال: فاشتری من أجلی شاة لبوناً ...) (۲). ويتكرر هذا الموقف مع آخرين من أصحابه جاءوا المدينة، فعن مفضل بن قيس بن رمّانة، الذی قال: (دخلت علی أبی عبداللَّه عليه السلام، فشكوتُ اليه بعض حالی، وسألته الدعاء ... فقال: هذا كيس فيه أربعمائة دينار، فاستعن به، قالَ: قلتُ: لا واللَّه، جُعِلتُ فداک ما أردتُ هذا، ولكن أردت الدعاء لی ...) (۳). وفی حالات أخری يبادر مَن يدخل عليه فيكرمه، كما يقول جابر المكفوف: (دخلت عليه، فقال: أما يصلونک؟ قلتُ: بلی، ربما فعلوا، قال: فوصلنی بثلاثين ديناراً ...) (۴). بهذا الأسلوب يتفقد أبو عبداللَّه عليه السلام تلامذته، ويتولی تأمين نفقاتهم، ويقيهم الحاجة إلی غيره، وهو أسلوب ينبئنا عن كيفية تمويل التعليم وتأمين نفقات المتعلم وقتئذ.

۱- ۱ المصدر السابق.ص ۲۴۲.

۲- ۲ رجال الكشی.ص ۳۶۹.

۳- ۳ رجال الكشيص ۱۸۴.

۴- ۴ المصدر السابق.ص ۳۳۵.

ص: ۱۴۶

وطالما حثَّ الامام علیه السلام أتباعه علی طلب العلم، ولا سیما الشباب منهم، وتمنی لهم أن ینخرطوا فی سلک العلماء والمتعلمین، روی (أبو قتادة عن أبی عبداللَّه علیه السلام، أنه قال: لستُ أُحبّ أن أری الشاب منکم إلّاغادیاً فی حالین: أما عالماً أو متعلِّماً، فإن لم یفعل فرّط، فإن فرّط ضیّع، وإن ضیّع أثم، وإن أثم سکن النار، والذی بعث محمداًصلی الله علیه و آله و سلم بالحقّ) (۱).

وأفصح الصادق علیه السلام عن معیار یحدد فی ضوئه منزلة کلّ واحد من شیعته، فیما رواه عن أبیه الباقر علیه السلام حین قال له: (یا بنی اعرف منازل الشیعة علی قدر روایتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هی الدرایة للرِّوایة، وبالدرایات للروایات یعلو المؤمن إلی أقصی درجات الایمان، إنی نظرت فی کتاب لعلیّ فوجدتُ فی الکتاب:

أن قیمة کلّ أمرء وقدره معرفته، إن اللَّه تبارک وتعالی یحاسب الناس علی قدر ما آتاهم من العقول فی دار الدنیا) (۲).

مدرسة المدینة بعد الامام الصادق علیه السلام:

لم یدم عصر الازدهار الذی عاشته مدرسة المدینة بعد وفاة الإمام الصادق علیه السلام إثر ازدیاد الاضطهاد، الذی کان یتعرض له تلامذة الأئمة فی العصر العباسی، وقسوة الأحوال الأمنیة التی عاشوها، وانتهت بإمامهم موسی الکاظم علیه السلام إلی السجن، ثم القتل بالسم. وهیمنت حالة من الخوف والذعر علی الشیعة بالمدینة، أدت إلی حرصهم علی التکتم، واحاطة نشاطهم بالسریة، یقول هشام بن سالم: (کنا بالمدینة بعد وفاة أبی عبداللَّه علیه السلام، أنا، ومؤمن الطاق، وأبو جعفر، ... فنحن کذلک إذ رأیت رجلًا شیخاً لا أعرفه یومی إلیّ بیده، فخفت أن یکون من عیون أبی جعفر، وذلک أنه کان له بالمدینة جواسیس ینظرون علی أن من اتفق من شیعة جعفر فیضربون عنقه، فخفت أن یکون منهم، فقلت لأبی

۱- ۱ الشیخ الطوسی. الأمالی. تحقیق: مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ۱۴۱۴ ه،ص ۳۰۳.

۲- ۲ الشیخ الصدوق. معانی الأخبار. تصحیح: علی أکبر الغفاری. قم: جماعة المدرسین فی الحوزة العلمیة، ۱۳۶۱ ش،ص ۱- ۲.

ص: ۱۴۷

جعفر: تنحَّ فإنی خائف علی نفسی وعلیک، وإنما یریدنی لیس یریدک، فتنحَّ عنی لا تهلک وتعین علی نفسک، فتنحّی غیر بعید. وتبعت الشیخ، وذلک أنی ظننت أنی لا أقدر علی التخلّص منه، فمازلت أتبعه حتی وردنی علی باب أبی الحسن موسی علیه السلام، ثم خلّانی ومضی، فإذا خادم بالباب، فقال لی: أدخل رحمک اللّه، قال:

فدخلت فإذا أبو الحسن علیه السلام، .. قلت: جُعلتُ فداک، أسألک عما کان یسأل أبوک؟

قال: سل تُخبَر ولا تُذِع، فإن أذعت فهو الذبح، قال: فسألته فإذا هو بحر. قال:

قلت: جُعلت فداک شیعتک وشیعة أبیک ضلّال فألقی إلیهم، وادعوهم إلیک فقد أخذت علیّ بالکتمان؟ قال: مَنْ آنست منهم رُشداً فألق إلیهم، وخذ علیهم بالکتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح، وأشار بیده إلی حلقه ...) (۱).

إن هذه الظروف حالت بین الإمام الکاظم علیه السلام واتصال أصحابه به بنحو طبیعی، ذلک أن غیاب الحریة ینتج ضمور الحرکة العلمیة وتراجعها، ومع ذلک فإن الإمام علیه السلام لم یتخلَّ عن مهمة بثّ معارف الوحی ونشرها بین خاصة أصحابه، کما حرص تلامذته علی الإفادة من أیة فرصة تتاح لهم بلقائه، وتسجیل کلّ شیء یتفوّه به، روی أبو الوضاح أن أباه قال: (کان جماعة من خاصة أبی الحسن علیه السلام من أهل البیت، والشیعة، یحضرون، ومعهم فی أکمامهم ألواح أبنوس لطاف، وأمیال، فإذا نطق أبو الحسن بکلمة أوأفتی فی نازلة، أثبت القوم ما سمعوا منه فی ذلک) (۲).

وأصر الشیعة علی مواصلة الاتصال بأبی الحسن موسی الکاظم علیه السلام وهو فی سجنه ببغداد، عبر مراسلات کانت تجری بطریقة سریة، ولم تمنعه الرقابة المشددة فی السجن، وقسوة الأحوال التی کان یعیشها فیه من بیان معارف الوحی علی خاصته، یقول علی بن سوید السائی: (کتبت إلی أبی الحسن علیه السلام وهو فی الحبس، أسأله عن حاله، وعن جواب مسائل کتبت بها إلیه، فکتب إلی:

۱- ۱ السید أبو القاسم الخوئی. معجم رجال الحدیث. د. م: ط ۵، ۱۴۱۳ ه، ج ۲۰:ص ۳۲۶- ۳۲۷.

۲- ۲ بحار الأنوار. ج ۱۲:ص ۲۷۸. طبعة الکسبانی.

ص: ۱۴۸

بسم اللَّه الرحمن الرحيم ...) (۱).

وربما بادر فى بعض المرات فبعث هو رسائل من سجنه إلى شيعته لتجلية وتوضيح أمور معينة؛ لئلا يلتبس الموقف فيها عليهم، يقول الحسين بن المختار:

(خرجت إلينا ألواح من أبى إبراهيم موسى عليه السلام، وهو فى الحبس، فإذا فيها مكتوب: عهدى إلى أكبر ولدى) (۲). بيد أن ماتعرض له الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من رقابه مشددة، آلت فى خاتمة المطاف إلى الحبس ثم الشهادة، لم تحجبه عن طلاب العلم وتمنعهم من التلّمُذ على يديه، أحصى منهم الشيخ الطوسى فى رجاله ما يربو على مائتين وخمسين (۳). ومع أن هذا العدد من التلاميذ يعدّ قليلًا بالمقارنة مع عدد تلامذة أبيه جعفر الصادق عليه السلام، الذى قُدِّر بأربعة آلاف، لكن هذا العدد يعتبر كبيراً بالنسبة إلى طبيعة الظروف السياسية، التى عاشها الإمام وأصحابه فى ظل الحكم العباسى.

وبالرغم من أن هذه الظروف أعاقت الإمام الكاظم عليه السلام عن التصدى للتدريس وادارة الحلقات العلمية فى مسجد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، مثلما كان يفعل سلفه، إلّاأنه عمد لتبنى أساليب أخرى لاتثير حفيظة عيون السلطة، فى تربية وتعليم تلامذته، ويمكن التعرف على شىء من ذلك فى العدد الوفير من الصحف والنسخ الحديثية التى دونها هؤلاء التلاميذ عنه، فقد ذكر النجاشى طائفة من أسمائهم مع بيان لأسماء كتبهم التى تلقوها من الإمام الكاظم عليه السلام، ومن هؤلاء:

محمد بن تميم النَهشلى التميمى البصرى (۴)، ومحمد بنصدقة العنبرى البصرى (۵)، وعلى بن عبيد اللَّه بن حسين (۶)، والحسن ابن على بن يقطين (۷)، وأخو الإمام الكاظم على بن جعفر (۸)، ومحمد بن الفرج الرُخَّجِىّ (۹)، وعبداللَّه ابن محمد الأهوازى (۱۰)، وعلى بن يقطين (۱۱)، وموسى بن إبراهيم المروزى (۱۲)، وعلى بن حمزة بن الحسن (۱۳)، ومحمد بن زُرْقان (۱۴)، ومحمد بن ثابت (۱۵)،

۱- ۱ رجال الكشى.ص ۴۵۴.

۲- ۲ الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا. تصحيح: السيد مهدى الحسينى اللاجوردى. قم: ۱۳۶۳ ش،ص ۳۰.

۳- ۳ رجال الطوسى.ص ۳۴۲- ۳۶۶.

۴- ۴ رجال النجاشى.ص ۳۶۵.

۵- ۵ المصدر السابق.ص ۳۶۴.

۶- ۶ المصدر السابق.ص ۲۵۶.

۷- ۷ المصدر السابق.ص ۴۵.

۸- ۸ المصدر السابق.ص ۲۵۲.

۹- ۹ المصدر السابق.ص ۳۷۱.

۱۰- ۱۰ المصدر السابق.ص ۲۲۷.

۱۱- ۱۱ المصدر السابق.ص ۲۷۳.

۱۲- ۱۲ المصدر السابق.ص ۴۰۸.

۱۳- ۱۳ المصدر السابق.ص ۲۷۲- ۲۷۳.

۱۴- ۱۴ المصدر السابق.ص ۳۷۰.

۱۵- ۱۵ المصدر السابق.ص ۳۶۹.

ص: ۱۴۹

ومحمد بن فُضيل بن كثير الصيرفى الأزدى (۱). وذكر الشيخ الطوسى فى الفهرست «مسائل» ليونس بن عبد الرحمن (۲)، ولصفوان بن يحيى(۳)، روياها عن موسى بن جعفر عليه السلام.

ولم يقفل مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فى هذه الحقبة أبوابه تماماً عن حلقات الدراسة، ومجالس العلم الشيعية، وإنما كان ينتخب موسى بن جعفر عليه السلام بعض أصحابه، ممن يتوفر على مزايا علمية متميزة، فيوجهه لعقد مجلس علم فى المسجد؛ لئلاـ يغيبصوت الهدى عن هذا المكان الشريف، يقول حماد: (كان أبو الحسن عليه السلام يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة فى مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، وأن يكلّمهم ويخاصمهم، حتى كلمهم فيصاحب القبر، فكان إذا انصرف إليه، قال له: ما قلتَ لهم؟ وما قالوا لكَ؟ ويرضى بذلك منه) (۴).

على أن قلة ظهور موسى بن جعفر عليه السلام وتكتمه على بعض نشاطه العلمى، لم يخف حقيقته عن المسلمين، فقد أستأثر بمقام المرجعية العلمية خلفاً لسلفه من آبائه الأئمة عليه السلام، واعترف له بذلك قطّاع كبير ممن عاصره أوجاء بعده، فمثلًا (كان أحمد بن حنبل مع انحرافه عن أهل البيت عليهم السلام، لما روى عنه، قال: حدثنى موسى بن جعفر، قال: حدثنى أبى جعفر بن محمد، قال: حدثنى أبى محمد بن على، قال:

حدثنى أبى على بن الحسين، قال: حدثنى أبى الحسين بن على، قال: حدثنى أبى على بن أبى طالب، قال: قال: رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قُرى على مجنون لأفاق) (۵). بل أن هارون الرشيد الذى حبس موسى بن جعفر عليه السلام فيما بعد، يعترف بمقامه العلمى لما دخل عليه الإمام فى المدينة، فبالغ الرشيد فى احترامه، سأله ولده المأمون عن دوافع هذا الاحترام بدهشة! (لقد رأيتك عملتَ بهذا الرجل شيئاً ما رأيتك فعلته بأحد من أبناء المهاجرين، والأنصار، ولا بنى هاشم، فمَن هذا الرجل؟ فقال: يابنى هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر

۱- ۱ المصدر السابق.ص ۳۶۷.

۲- ۲ الشيخ الطوسى. الفهرست.ص ۱۸۱.

۳- ۳ المصدر السابق.ص ۸۳.

۴- ۴ رجال الكشى.ص ۴۴۹.

۵- ۵ ابن شهر اشوب. مناقب آل أبى طالب. ج ۴:ص ۳۱۶- ۳۱۷.

ص: ۱۵۰

بن محمد علیهم السلام، إن أردت العلم الصحیح فعند هذا. قال المأمون: فحینئذ انغرس فی قلبی محبتهم) (۱).

وبعد وفاة الإمام موسـی بن جعفر علیه السـلام تصدّی لرعایة مدرسة المدینة ولده الإمام علی بن موسـی الرضا علیه السلام، الذی نهج منهـج سـلفه فی إشاعـة معارف الوحی لتلامـذته الخاصـین، حـذراً من محاولات السـلطة العباسـیة التی اغتالت والده، وکثّفت جهودها لإجهاض مدرسـته، ولذلکلم تعد حلقات مدرسة أهل البیت علیهم السـلام فی مسـجد رسول اللّهصـلی الله علیه و آله و سلم فی هذه الحقبة إلی عصـر ازدهارها السابق فی أیام جعفر الصادق علیه السـلام وأبیه محمد الباقر علیه السلام فقدصوّر أحد تلامذة الإمام الرضا علیه السـلام حالة الخوف التی کانوا یعیشونها عقیب وفاة الإمام موسـی بن جعفر علیه السلام، بقوله: (لما مضی أبو الحسن موسی علیه السلام، وتکلَّم الرضا خفنا علیه من ذلک، وقلنا له: إنک قد أظهرت أمراً عظیماً، وإنّا نخاف علیک هذا الطاغیة، فقال:

لیجهـد جهـده، ولا سبیل له علیّ. قالصـفوان: فأخبرنا الثقـة أن یحیی بن خالـد، قال للطاغی: هـذا علیّ ابنه قـد قعد وادّعی الأمر لنفسه، فقـال: ما یکفینا ماصـنعنا بأبیه، تریـد أن نقتلهم جمیعاً) (۲) من هنـا اضـطر علی بن موسـی علیه السـلام لاقتفاء أثر أبیه فی التکتم علی المهم من حرکته العلمیـة فی زمن هـارون الرشـید، لکن هلاـک الرشـید وجلوس المـأمون الـذی أظهر الولاـء لأهل البیت علی منصـة الخلافة، أشاع مناخاً مناسباً من الحریة للإمام الرضا علیه السلام وتلامذته، وأتاح لهم ممارسة حیاتهم الفکریة من دون خشیة السلطان، وبرز الدور العلمی للإمام بالتدریج، بحیث أضـحی مقامه العلمی فی المدینة، هو المرجع الذی یتلقی جمیع أهل العلم منه، ویرجع إلیه طلاب العلم دون غیره من علماء التابعین، الـذین کان عـددهم وفیراً فی المدینة أنذاک، کما ینقل أبو الصـلت الهروی: (ولقد سـمعتُ علیّ بن موسی الرضا علیهما السلام، یقول: کنتُ أجلسُ فی الروضة والعلماء بالمدینة متوافرون، فإذا أعیی

۱- ۱ الصدوق. عیون أخبار الرضا. ج ۱:ص ۹۳.

۲- ۲ الطبرسی. إعلام الوری بأعلام الهدی. تصحیح: علی أکبر الغفاری: بیروت: دار المعرفة، ۱۹۷۹،ص ۳۱۳.

ص: ۱۵۱

الواحد منهم عن مسألة، أشاروا إلیّ بأجمعهم، وبعثوا إلیّ بالمسائل، فأجبتُ عنها) (۱). وقد أذعن علماء الأدیان له، واعترفوا بتفوقه العلمی، بعد أن فنّدَ مقولاتهم، ونقض حججهم، وتغلب علیهم فی مناظراته معهم، فقد ذکر الهروی أنه لم یرَ (أعلم من علی بن موسی الرضا علیهما السلام، ولارآه عالم إلّاشهدَ له بمثل شهادته، ولقد جمع المأمون فی مجالس له ذوات عدد علماء الأدیان، وفقهاء الشریعة، والمتکلمین، فغلبهم عن آخرهم، حتی مابقی أحد منهم إلّاأقرّ له بالفضل، وأقر علی نفسه بالقصور ...) (۲).

وأکّدَ إبراهیم بن العبّاس تفوق علی بن موسی الرضا علیه السلام العلمی علی کافة علماء عصره، بقوله: (... وما رأیته نقل إلّاعلمه، ولا رأیت أعلم منه، بما کان فی الزمان إلی وقته وعصره، وکان المأمون یمتحنه بالسؤال عن کل شیء فیجیب عنه، وکان کلامه کلّه، وجوابه، وتمثّله، انتزاعات من القرآن، وکان یختمه فی کلّ ثلاث، ویقول: لو أنی أردت أختمه فی أقرب من ثلاث لختمت، ولکنی ما مررت بآیة قط إلّافکرتُ فیها، وفی أی شیء أُنزلت، وفی أی وقت، فلذلکصرتُ أختمه فی کلّ ثلاث) (۳).

لقد ازدلف طلاب العلم من شتی الأمصار ینهلون من معارف الوحی عند علی بن موسی الرضا علیه السلام، وصار العلماء یقتفون أثره للتزود منه أینما حلَّ، کما (حدث أبو الصلت، قال: کنت مع علی ابن موسی الرضا علیه السلام، وقد دخل نیسابور، وهو راکب بغلة شهباء، فغدا فی طلبه علماء البلد: أحمد بن حرب، ویاسین بن النضر، ویحیی بن یحیی، وعدة من أهل العلم، فتعلقوا بلجامه فی المربعة، فقالوا:

بحق آبائک الطاهرین حدثنا بحدیث سمعته من أبیک، قال: حدثنی أبی العدل الصالح موسی بن جعفر، قال: حدثنی أبی الصادق جعفر بن محمد، قال: حدثنی أبی باقر علم الأنبیاء محمد بن علی، قال: حدثنی أبی سید العابدین علی بن

۱- ۱ المصدر السابق.ص ۳۱۵.

۲- ۲ المصدر السابق.ص ۳۱۵.

۳- ۳ المصدر السابق.ص ۳۱۴.

ص: ۱۵۲

الحسين، قال: حدثنى أبى سيد شباب أهل الجنة الحسين بن على، قال: سمعت أبى سيد العرب على بن أبى طالب، قال: سمعت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم يقول: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. قال: وقال: أحمد بن جنبل: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرأ من جنونه) (۱). وروى أبو الصلت هذا الحديث فى مجلس طاهر بن عبداللَّه بن طاهر بخراسان، (وفى مجلسه يومئذ إسحاق بن راهويه ... وجماعة من الفقهاء وأصحاب الحديث ... فخرس أهل المجلس كلّهم، ونهض أبو الصلت، فنهض معه إسحاق بن راهويه والفقهاء، فأقبل إسحاق بن راهويه على أبى الصلت، وقال له ..: يا أبا الصلت، أى إسناد هذا؟ فقال: يا بن راهويه، هذا سعوط المجانين، هذا عطر الرجال ذوى الألباب) (۲).

لقد منحت الحرية النسبية فى عصر المأمون الإمام الرضا عليه السلام فرصة ثمينة لنشر السُّنة الشريفة بين رواة الحديث، ولذلك كان يحثّ أصحابه باستمرار على تعلم معارف أهل البيت عليهم السلام، واذاعنها ونشرها بين الناس، كيما يتعرف الناس على معالم مدرسة الوحى عبر قنواتها الأصيلة. يقول الهروى: (سمعتُ أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم اللَّه عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا ...) (۳) ووردت اشارات يستفاد منها أن الإمام الرضا عليه السلام كان يطلب من بعض تلامذته التصدى لمهمة التعليم فى مواطنهم، وكان يحيل إليهم أصحابه من مواطنيهم، فقد ذكر عبد العزيز بن المهتدى، الذى كان من خاصة أصحاب الإمام عليه السلام أنه سأله قائلًا: (إنى لا ألقاك فى كلّ وقت، فعمَّن آخذ معالم دينى؟ قال:

خُذّ من يونس بن عبدالرحمن) (۴). وقال ابن المسيب الهمدانى: (قلت للرضا عليه السلام شقتى بعيدة، ولستُ أصل اليك فى كلّ وقت، فممَّن آخذ معالم دينى؟

قال: من زكريا بن آدم القمى المأمون على الدين والدنيا) (۵). إن توجيه الإمام

۱- ۱ الأربلى. كشف الغمة. ج ۳:ص ۹۷.

۲- ۲ الشيخ الطوسى. الأمالى.ص ۴۴۹.

۳- ۳ الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا .. ج ۱:ص ۳۰۷.

۴- ۴ رجال الكشى.ص ۴۸۳.

۵- ۵ رجال العلامة الحلى.ص ۷۵.

ص: ۱۵۳

الرضا عليه السلام أصحابه لتعلم معالم دينهم من يونس بن عبد الرحمن، وزكريا بن آدم، يدلل على اهتمام الإمام عليه السلام بتنمية النبتة الفتية للحركة العلمية فى الأمصار الشيعية، التى غُرست بذرتها من قبل آبائه الطاهرين عليهم السلام وتلامذتهم المخلصين.

وتجدر الاشارة إلى أن العصر الذى عاش فيه الإمام الرضا عليه السلام اتسم بازدهار الحياة العقلية وتأسيس مراكز علمية هامة لدى المسلمين، التى كان من أبرزها بيت الحكمة فى بغداد، الذى باشر فيه جملة من المترجمين نقل العلوم اليونانية وغيرها من علوم الأوائل إلى العربية. وقد رافق هذه الحركة ولادة وانبعاث مجموعة تيارات فكرية، كانت تموج بها الحياة العقلية وقتئذ، وولدت فى هذا الفضاء الثقافى أسئلة متنوعة، حار أهل العلم فى تقديم إجابات شافية عنها، فتكفل على بن موسى الرضا عليه السلام بيان إجابات دقيقة عن تلك الأسئلة الحائرة، فقد ذكر محمد بن عيسى اليقطينى فى تقدير عدد الأسئلة، أنه: (لما اختلف الناس فى أمر أبى الحسن الرضا عليه السلام، جمعت من مسائله، مما سُئل عنه وأجاب عنه، خمس عشرة ألف مسألة) (۱). وهو عدد كبير، ولاسيما إذا لاحظنا طبيعة العصر آنذاك وبدائية وسائل الاتصال فيه. بيد أن هذا العدد من المسائل يكشف عن مدى نمو الحياة العقلية فى ذلك العصر، والموقع الذى كان يحتله الإمام فى توجيهها.

وبعد وفاة على بن موسى الرضا عليه السلام ورثه فى الإشراف على مدرسة المدينة ولده أبو جعفر محمد الجواد عليه السلام، الذى نصّ عليه بقوله: (... هذا أبو جعفر، قد أجلسته مجلسى، وصيّرته مكانى، وقال: إنّا أهل بيتٍ يتوارث أصاغِرُنا عن أكابرنا القُذَّةُ بالقُذَّةِ) (۲). وقد تصدى أبو جعفر عليه السلام للمهام، التى كان يضطلع بها أبوه من قبل فى سن مبكرة، وبرهن للعامة والخاصة تقدمه على سواه، وحمله لمواريث النبوة، فكان إذا دخل مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم هرع اليه أهل العلم

۱- ۱ الشيخ الطوسى كتاب الغيبة. تحقيق: الشيخ عباد اللَّه الطهرانى، والشيخ على أحمد ناصح. قم: مؤسسةالمعارف الإسلامية، ۱۴۱۱ ه،ص ۷۳.

۲- ۲ الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ۲:ص ۲۷۶.

ص: ۱۵۴

للإفـادة منه، وتؤكـد بعض المواقف أنّ التبجيـل والاـحترام اللـذين يعـامله بهمـا هؤلاء يعبران عن اعترافهم بفضـله وتقـدمه على غيره، ويتجلّى هـذا بوضوح فى الموقف الـذى نقله (محمـد بن الحسن بن عمـار، قـال: كنت عنـد على بن جعفر بن محمـد جالساً بالمدينـة، وكنت أقمت عنـده سـنين أكتب عنه مايسـمع من أخيه- يعنى أبـا الحسن عليه السـلام- إذ دخل عليه أبو جعفر محمـد بن على الرضـا المسـجد- مسـجد الرسولصـلى الله عليه و آله و سلم- فوثب على بن جعفر بلا حذاء ولارداء، فقبّلَ يده وعظّمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم أجلس رحمك اللّه، فقال: ياسيدى كيف أجلس وأنت قائم، فلما رجع على بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه، وأنت تفعـل به هـذا الفعـل؟ فقـال: اسـكتوا، إذا كان اللّه عزّ وجل- وقبض على لحيته- لم يؤهل هـذه الشـيبة، وأهّلَ هـذا الفتى، ووضـعه حيث وضـعه، أُنكر فضـله؟! نعوذ باللّه مما تقولون، بل أنا له عبد) (۱). مع العلم أن على بن جعفر كـان من العلماء المعروفين فى مدرسـة أهل البيت عليهم السـلام فى ذلك الوقت، حتى أن بعض التلامـذة كان يبقى عـدة سـنوات متلمذاً عليه، وهو فى هذا المقام العلمى الشامخ نراه يبالغ فى تعظيم الإمام الجواد عليه السـلام، وهذا يكشف عن الإذعان لمرجعيته العلمية لمدرسـة المدينة، والاعتراف بتفوقه على مَنْ عاصـره من أهل العلم. وقد تجاوزت شـهرة الإمام عليه السـلام حدود المدينة، فعرفه أهل العلم فى بقيـة الأمصار، خاصـة فى عاصـمة الخلافة يومئذ بغداد، (وكان المأمون قد شُـغِفَ بأبى جعفر عليه السـلام، لمّا رأى من فضـله معصـغر سنه، وبلوغه فى العلم والحكمـة، والأـدب، وكمال العقل، مالم يساوه فيه أحـد من مشايـخ أهل الزمان، فزوجه ابنته أم الفضل، وحملها معه إلى المدينـة، وكان متوفراً على إكرامه، وتعظيمه، وإجلال قـدره) (۲). وكان المأمون قد واجه معارضة شديدة من البيت العباسـى لما قرر تزويج ابنته لأبى جعفر الجواد عليه السلام، فاضطر أن يُفصِح لهم عن الأسباب التى دعته للإقدام على ذلك،

۱- ۱ أصول الكافى. ج ۱:ص ۳۲۲.

۲- ۲ الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ۲:ص ۲۸۱.

ص: ۱۵۵

بقوله: (وأما أبو جعفر محمـد بن على فقد اخترته لتبريزه على كافهٔ أهل الفضل فى العلم والفضل معصـغر سـنّه، والأعجوبهٔ فيه بذلك، وأنـا أرجو أن يظهر للنـاس ماقـد عرفته منه فيعلموا أن الرأى ما رأيتُ فيه) (۱). إلّاأن المعترضـين لم يقبلوا ما قاله المأمون، (فقالوا: إن هـذا الصبى وإن راقك منه هـدْيُه، فإنهصبىٌ لا معرفـهٔ له ولا فقه، فأمهله ليتأدب، ويتفقه فى الـدين، ثم اصـنع ماتراه بعـد ذلك .. فقال لهم:

... فإن شـئتم فامتحنوا أبا جعفر، بما يتبين لكم به ما وصـفتُ من حاله). فاتفقوا مع المأمون على انتـداب قاضـى القضاهٔ يحيى بن أكثم لامتحـانه، وكان أبو جعفر يومئـذ ابن تسع سـنين وأشـهر، فعُقِـدَ مجلس بحضور المأمون، والمعترضـين، وبـدأت المناظرهٔ بسؤال وجهه يحيى بن أكثم لأبى جعفر عليه السلام، بالصيغهٔ التاليهٔ: (ما تقول- جُعِلتُ فداك- فى مُحرِم قَتَلَصيداً؟ فقال له أبو جعفر: قَتَلهُ فى حلٍّ أو حَرَم؟

عالمـاً كـان الُمحرِم أم جاهلًا؟ قتله عمـداً أو خطأً؟ حُراً كان الُمحرِم أم عبـداً؟صـغيراً كان أم كبيراً؟ مُبتـدِئاً بالقتل أم مُعيـداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟

منصـغار الصـيد كـان أم من كبارهـا؟ مُصـرّاً على مـا فعـلَ أو نادماً؟ فى الليل كان قتلهُ للصـيد أم نهاراً؟ مُحرِماً كان بالعُمرهٔ إذ قتله، أو بالحـجّ كـان مُحرمـاً؟ فتحيَّرَ يحيى بن أكثم، وبـان فى وجهه العجز والانقطـاع، ولَجلَـجَ حـتى عَرَفَ جماعـهٌ أهـل المجلس أمره، فقـال المأمون: الحمد للّهعلى هذه النعمهٔ والتوفيق لى فى الرأى، ثم نظر إلى أهل بيته، وقال لهم:

أعرفتم الآـن مـا كنتم تُنكِرُونه؟ ...) ثم أجـاب أبو جعفر عليه السـلام على هـذه الفروع بالتفصـيل، وعـاد فسـأل يحيى بن أكثم بمسـألهٔ أخرى، فلم يحر ابن أكثم جواباً، فأجـاب عليهـا الإمام عليه السـلام مثلما فعل فى سابقتها (فأقبلَ المأمون على مَنْ حضـره من أهل بيته، فقـال لهم: هل فيكم أحـدٌ يجيبُ عن هـذه المسألـهٔ بمثل هـذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقـدَّم من السؤال؟! قالوا: لا واللّه، إن أمير المؤمنين أعلَمُ

۱- ۱ المصدر السابق. ج ۲:ص ۲۸۲.

ص: ۱۵۶

وما رأى.

فقـال لهم: ويحكم، إن أهلَ هـذا البيت خُصُّوا من الخلق بماترون من الفضل، وإنَّصِـغَر السنِّ فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام، وحَكَمَ له به، ولم يدعُ أحداً فى سنِّه غيره. وبايَعَ الحسن والحسين عليهما السلام، وهما ابنا دون الست سنين، ولم يبايعصبياً غيرهما؟ أفلا تعلمون الآن ما اختص اللَّه به هؤلاء القوم، وأنَّهم ذريّة بعضها من بعض، يجرى لآخرهم ما يجرى لأوَّلهم؟! قالوا:صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم) (۱).

ومكث أبو جعفر مضطلعاً بالمرجعية العلمية فى المدينة طيلة حياته، (فلم يزل بها حتى أشخصه المعتصم فى أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد، فأقام بها إلى أن توفى فى آخر ذى القعدة من هذه السنة) (۲). وكان مقامه فى المدينة محط أنظار الفقهاء والمحدثين، فقد استقطب القادمين إلى الحج منهم، وكانوا بعد إنصرافهم يردون المدينة للقاء أبى جعفر الجواد عليه السلام والتزود من علومه، والوقوف على الإجابات الصحيحة للأسئلة والإشكالات المختلفة، التى كانت تتوالد كلّ يوم، مع اتساع معرفة المسلمين بالثقافات المترجمة من اليونانية والسريانية وغيرها. ففى أحد السنوات (وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلًا، فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة؛ ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام، فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج اليهم عبداللَّه بن موسى، فجلس فيصدر المجلس، وقام مناد، وقال: هذا ابن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، فمن أراد السؤال فليسأله، فسُئِل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيّرهم وغمّهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهمّوا بالانصراف، وقالوا

۱- ۱ المصدر السابق.ص ۲۸۳- ۲۸۷.

۲- ۲ المصدر السابق.ص ۲۸۹.

ص: ۱۵۷

فی أنفسهم: لو کان أبو جعفر علیه السلام یکمل لجواب المسائل لما کان من عبداللَّه ما کان، ومن الجواب بغیر الجواب. ففُتِحَ علیهم باب منصدر المجلس، ودخل موفَّق وقال: هذا أبو جعفر، فقاموا إلیه بأجمعهم، واستقبلوه، وسلموا علیه، فدخلصلوات اللَّه علیه، وعلیه قمیصان، وعمامة بذوابتین، وفی رجلیه نعلان، وجلس، وأمسک الناس کلهم، فقامصاحب المسألة فسأله عن مسائله، فأجاب عنها بالحق، ففرحوا، ودعوا له، وأثنوا علیه، وقالوا له: إنّ عمَّک عبداللَّه أفتی بکیت وکیت، فقال: لا إله إلّااللّه، یاعمّ إنّه عظیم عند اللَّه أن تقف غداً بین یدیه، فیقول لک: لِمَ تُفتی عبادی بما لم تعلم، وفی الأُمة مَنْ هو أعلم منک؟) (۱).

وخلَّفَ الإمام أبو جعفر الجواد علیه السلام بعد وفاته ولَده الإمام أبا الحسن علی الهادی علیه السلام، الذی شغل مقام أبیه فی رعایة مدرسة المدینة، فقد مکث الإمام الهادی علیه السلام فی المدینة نحو ثلاث وعشرین سنة بعد وفاة أبیه، ثم أشخصه المتوکل العباسی إلی العراق، (وکان مقامه بسُرّ مَنْ رأی إلی أن قُبِض عشر سنین وأشهراً) (۲). وکان أبو الحسن علیه السلام یتولی رعایة تلامذته، ویشرف علی أنشطتهم، ویتابع أعمالهم، ویراقب سلوکهم وهو فی المدینة، عبر مکاتباته معهم، هذه المکاتبات التی تضمنت حلولًا لمشکلات عقائدیة وفکریة کان یتعرض لها أتباع الإمام علیه السلام المنتشرون فی شتی الأصقاع، ولعلّ من أبرز هذه المکاتبات رسالته علیه السلام فی الرد علی أهل الجبر والتفویض، وإثبات العدل والمنزلة بین المنزلتین، والتی جاء فیها: (من علی بن محمد، سلام علیکم، وعلی مَنْ اتبع الهُدی، ورحمة اللَّه وبرکاته، فإنه ورد علیّ کتابکم، وفهمت ما ذکرتُم من اختلافکم فی دینکم، وخوضکم فی القَدَر، ومقالة مَنْ یقول منکم بالجبر، ومَنْ یقول منکم بالتفویض، وتفرقکم فی ذلک وتقاطعکم، وما ظهر من العداوة بینکم، ثم سألتمونی عنه، وبیانه لکم، وفهمتُ ذلک کله. اعلموا رحمکم اللَّه ...) (۳). وکان أصحابه

---

۱ – ۱ الشیخ محمد باقر المجلسی. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بیروت: دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۳ ه، ج ۵۰:ص ۱۰۰.

۲– ۲ الشیخ المفید. الإرشاد. ج ۲:ص ۳۱۲.

۳– ۳ الحسن بن علی بن شعبة الحرانی. تُحف العقول عن آل الرسول تصحیح: علی اکبر الغفاری. قم: جماعةالمدرسین فی الحوزة العلمیة، ۱۴۰۴ ه،ص ۴۵۸– ۴۷۵.

ص: ۱۵۸

یلجأون الیه فی مختلف أنواع التحدیات التی تواجههم، ویأتی جوابه لیکون القول الفصل فی ذلک، فمثلًا کتب الیه بعض أصحابه: (جُعِلتُ فداک یاسیّدی، إن علی بن حسکة یدعی أنه من أولیائک، وأنک أنت الأول القدیم، وأنَّه بابک ونبیک أمرته أن یدعو إلی ذلک، ویزعم ... فکتب علیه السلام: کَذَبَ ابن حسکة علیه لعنة اللّه، وبحسبک أنی لا أعرفه فی موالی، مالَه لعنه اللّه، فواللّه ما بعث اللّه محمداً والأنبیاء قبله إلّابالحنیفیة ...) (۱).

وکانت الحرکة العلمیة عند الشیعة تحظی برعایة الإمام بکافة مناشطها وفعالیاتها، وحرص الشیعة فی عصره علی الرجوع الیه فیما التبس من مواقف وأفکار فی حیاتهم، واطلاعه علی التراث الذی بأیدیهم، لمعرفة مدی أصالته ومطابقته لهدی أهل البیت علیهم السلام، فقد قال الجعفری: (أدخلتُ کتاب یوم ولیلة الذی ألفه یونس بن عبد الرحمن علی أبی الحسن العسکری علیه السلام، فنظر فیه، وتصفحه کلّه، ثم قال: هذا دینی ودین آبائی، وهو الحقّ کلّه) (۲).

ومع أن المصادر التاریخیة تسکت عن الحدیث حول النشاط التعلیمی الخاص لأبی الحسن الهادی علیه السلام فی مسجد رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم بالمدینة، إلّاأن المصادر الرجالیة ترجمت لأکثر من مائة وستین تلمیذاً من أصحاب الإمام الهادی علیه السلام (۳)، من سائر بلدان التشیع وقتئذ. ویدل هذا العدد علی کثافة الجهود التی کان یبذلها أبو الحسن علیه السلام فی تربیة وتعلیم تلامذته المقیمین فی المدینة، والذین یعیشون خارجها؛ فی سائر البلدان.

مدرسة المدینة بعد الإمام الهادی علیه السلام:

غادر الإمام الهادی علیه السلام موطنه وموطن آبائه علیه السلام المدینة مضطراً، بعد أن أشخصه المتوکل إلی سامراء، وفُرِضت علیه وعلی ولده الإمام العسکری علیه السلام

۱- ۱ رجال الکشی.ص ۵۱۸- ۵۱۹.

۲- ۲ رجال الکشی.ص ۴۸۴- ۴۸۵.

۳- ۳ رجال الطوسی.ص ۴۰۹- ۴۲۷.

ص: ۱۵۹

الاقامة فيها إلى وفاة الإمام الهادى عليه السلام سنة ۲۵۴ ه، ثم وفاة الإمام العسكرى سنة ۲۶۰ ه، وغيبة الإمام الثانى عشر المهدى عليه السلام.

وبغياب أبى الحسن الهادى عليه السلام عن المدينة طويتصفحة نور متلألئة من تاريخ مدرسة الوحى بالمدينة، تعاقب على إدارتها سلسلة مطهرة من الهداة بدءاً بالنبىِّ الأكرمصلى الله عليه و آله و سلم بعد هجرته للمدينة حتى العقد الخامس من القرن الثالث الهجرى، بعد أن غادر الإمام العاشر عليه السلام من أئمة أهل البيت عليه السلام المدينة إلى سامراء.

ربما يقال هل أقفلت هذه المدرسة أبوابها، وانصرف طلابها، منذ منتصف القرن الثالث، أم واصلت رسالتها فى نشر معارف الوحى فى القرون التالية؟ فى الجواب عن هذا السؤال، يمكن القول: أنه نستطيع أن نجزم بعدم خلو المدينة من وجود أعلام معروفين من الشيعة فى فترات مختلفة، وهذا ما يورده بصراحة المؤرخون وكتّاب التراجم، فمثلًا أحصينا ماترجمهم السيد محسن الأمين فى كتابه «أعيان الشيعة» من الأعلام الشيعة المنسوبين إلى المدينة منذ عصر الصحابة إلى القرن الرابع عشر الهجرى، فوجدنا الرقم يقترب من الأربعمائة، بيد أن ذلك لا يمنعنا من القول: إن المدينة لم تعد حاضرة علمية أساسية للتشيع بعد عصر الأئمة عليهم السلام؛ لغلبة الآخرين عليها، وانتقال المركز العلمى منها إلى الكوفة، وقم، والرى، ثم بغداد. وبقاء الشيعة فيها أقلية إلى عصرنا هذا.

تلخيص واستنتاج:

تأسيساً على ما سبق يمكن استخلاص النقاط التالية؛ لبيان معالم مدرسة المدينة:

۱- مؤسس مدرسة المدينة هو رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، بعد الهجرة الشريفة، ثم

ص: ۱۶۰

وَرثه أمير المؤمنين علىبن أبى طالب عليه السلام، وورث الحسنان أبيهما عليهم السلام، ولم يزل أبناؤهم الأئمة يرث الخلف منهم السلف إلى أن هاجر الإمام العاشر أبو الحسن الهادى عليه السلام تاركاً المدينة إلى سامراء مكرهاً بأمر المتوكل العباسى.

۲- مركز الحركة العلمية فى المدينة هو مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، ففيه كانت تُعقَد حلقات الدروس، وفيه يتلقى الرواة الأحاديث الشريفة، ويتعلم أهل القرآن تلاوته، وتفسيره، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه. وفيه أيضاً كانت تجرى المناظرات العلمية، وإليه ترد البعثات من سائر الأمصار، ممن يرحلون فى طلب العلم. وربما علَّمَ الأئمة عليهم السلام فى منازلهم أحياناً خاصة شيعتهم، حذراً من أعين السلطان.

۳- لم تقتصر مهمة التعليم فى مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم على الائمة عليهم السلام فقط، بل كانت تعقد حلقات لتلامذتهم البارزين أيضاً، مثل حلقة عبداللَّه بن عباس كما ذكرنا فيما سبق، وغيره. وبموازاة ذلك عُقِدت حلقات لرجال معروفين من الصحابة فى هذا المسجد كعبداللَّه بن عمر، وآخرين من التابعين بعد ذلك. وتميز فيما بعد دور مالك بن أنس الذى انطلق مذهبه من أروقة مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، وتلميذه محمد بن إدريس الشافعى.

۴- مرت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالمدينة تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية التى عاشها التشيع بالأدوار التالية:

أ- الدور الأول: ويبدأ هذا الدور بتأسيس مدرسة المدينة، ويمتد إلى وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ۱۴۸ ه، ويمثل هذا الدور الذى استمر قرن ونصف القرن تقريباً عصر نشأة هذه المدرسة ونموها وبلوغها ذروة تكاملها فى حياة الإمام الصادق عليه السلام.

ب- الدور الثانى: ويبدأ هذا الدور مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

ص: ۱۶۱

بعـد وفاة أبيه جعفر الصادق عليه السـلام، ويمتـد إلى مغادرة الإمام على بن محمد الهادى المدينة إلى سامراء نحو سـنة ۲۳۴ ه، ويمثل هـذا الدور الذى اسـتمر نحو قرن من الزمان عصـر انكماش هذه المدرسة، واختفاء بعض نشاطاتها، وانتقال بعض حلقاتها من المسـجد النبوى، وغيابها فى بيوت أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالمدينة، وتحّول بعض فعالياتها العلمية، مثل بعض الاتصالات والمكاتبات إلى الحالة السرية، حذراً من السلطان الغاشم وجواسيسه على نشاطات الأئمة وشيعتهم.

ج- الـدور الثالث: ويبـدأ هذا الدور فى منتصف القرن الثالث الهجرى، بعد هجرة الإمام الهادى عليه السلام من المدينة، وانتقال مركز علوم أهـل البيت عليهم السـلام قبل ذلك إلى الكوفـة، وقم، والرى، ثم بغـداد. ويمثل هـذا الـدور عصـر اضـمحلال هـذه المدرسـة، وأفولها، وقلة تعاطى دراسة علوم أهل البيت عليهم السلام فيها.

۵- كانت مدرسـة المدينـة هى الينبوع الذى تدفقت منه علوم أهل البيت عليهم السـلام إلى المراكز العلمية الأخرى عند الشـيعة، فمنها فاض العلم إلى الكوفة، ومنها فاض العلم إلى البصرة، ومنها فاض العلم إلى قم والرى، ثم انتشرت العلوم من هذه المراكز فيما بعد إلى غيرها من البلدان.

۶- علوم مدرسـة المدينـة تمحورت بالسُّـنة الشـريفة، والتفسـير وعلوم القرآن، بشـكل أساسـى، وظهرت فيها فى فترة لاحقـة بذور علم الكلام والفقه، واشتد عود العلمين الأخيرين فى الدور الثانى من أدوار مدرسة المدينة.

۷- خَلَّفَت مدرسـة أهل البيت عليهم السـلام فى المدينـة ميراثاً علمياً هاماً، تجسَّدَ فى مجموعة كُتُب توارثها أهل البيت عليهم السـلام، هى: «صـحيفة على عليه السـلام»، و «كتاب على عليه السلام» أو «الجامعة»، و «مصحف فاطمة عليها السلام»، و «الصحيفة السجادية»، و «رسالة الحقوق». هذا غير الكُتب والمصنفات العديدة المنسوبة للأئمة عليهم السلام، التى رواها تلامذتهم عنهم (۱).

۱- ۱ حول هذه الكتب، والمؤلفات المنسوبة للأئمة عليهم السـلام، راجع كتاب: تدوين السُّنة الشـريفة:ص ۵۲- ۷۸، وص ۱۳۴- ۱۸۷. للصديق العلّامة المحقق السيد محمد رضا الحسينى الجلالى.

ص: ۱۶۲

۸- شهدت مدرسة المدينة أول تجارب للبعثات التعليمية فى تاريخ التعليم عند المسلمين، إذ لاحظنا بعض تلامذة أهل البيت عليهم السلام يهاجر من موطنه فى العراق، ويقيم فى المدينة أربع سنوات لغرض الدراسة، بينما كان آخرون يمكثون فترات أقل، ويتكاثف وجود طلاب العلم فى موسم الحج.

۹- عرفت مدرسة المدينة بالمدرسة السيارة المتنقلة، كما لاحظنا ذلك فى خروج عدد غفير من القراء بمعية على بن الحسين عليه السلام إلى مكة ورجوعهم معه بعد الفراغ من الموسم، واهتمامهم بالتلقى منه طيلة الطريق، وهكذا فعل أهل العلم مع بقية أهل البيت عليهم السلام. حتى أضحت مدرسة المدينة تنتقل إلى مكة كل عام فى موسم الحج مع قدوم إمام ذلك العصر إلى الحج، فيزدحم حوله المحدثون والفقهاء والمتكلمون للارتشاف من نمير علمه فى حلقته بالمسجد الحرام طيلة مقامه بمكة.

۱۰- ظهرت فى مدرسة المدينة التجارب الأولى لتمويل التعليم عند المسلمين، بإيواء التلميذ القادم من خارج المدينة، واستضافته، والانفاق عليه.

ص: ۱۶۳

الهوامش:

ارض عرفات

ص: ۱۶۸

أرض عرفات

علی قاضی عسکر

علی بُعد ۲۱ کیلومتراً تقریباً من مدینـة مکـة، توجـد منطقـة مقدّسة ذات تاریخ عریق تعرف باسم عرفات. یقصدها الحجیج لأداء حجّ التمتع، بعـد ارتـدائهم لملابس الإحرام، ویقفـون فی هـذه المنطقـة من ظهر الیـوم التـاسع من ذی الحجـة إلی أوان غروب الشـمس، منهمکین بالدعاء والتضرّع؛ لینزل اللّه تعالی علیهم رحمته، ویعطیهم الرخصة مرّة أخری للدخول إلی الحرم.

ویبـدی الضامئون لعیون المعرفـة، والعرفاء العاشـقون، شوقاً عظیماً للحضور فی عرفات، ولشدّة شوقهم فی مجالسة الإمامصاحب الأمر- أرواحنا لتراب مقدمه الفداء- الذی یحضر کلّ عامٍ فی هذا الموقف، الذی یذوب المؤمنون فی أجوائه.

والمقالة التی بین أیدیکم، تناولت منطقة عرفات بمختلف أبعادها بالدراسة والتحقیق:

ص: ۱۶۹

عرفات فی اللغة:

عَرَفات، مأخوذة من کلمة عَرَفَ وعلی قول الراغب: هو إدراک الشیء بتفکّر وتدبُّرٍ لأثرهِ (۱)، وهذه الکلمة اسم مفرد وردت فی اللفظ بصورة الجمع، إلّا أنّه لا یُجمع.

ولعلّ السبب فی ذلک یعود إلی أنّ الأماکن لا تزول، فصارت کالشیء الواحد، وبهذا الاستعمال کأنّهم جعلوا کلَّ جزءٍ منها عرفة (۲).

قال الفرّاء: عرفاتُ معرفةً وإن وردت جمعاً، والدلیل علی کونها معرفة أنّک لا تُدخلُ فیها ألفاً ولاماً (۳).

وقال الأخفش ایضا: وإنّماصرفت عرفات لأنّ التاء بمنزلة الیاء والواو فی مسلمین ومسلمون، وصارَ التنوین بمنزلة «النون»، فلما سمّی به ترک علی حاله (۴).

کما قال الجوهری: وقول الناس «نزلنا بعرفةَ» وعرفة مفردة شبیهٌ ب «مولّد»، ولیس بعربی محض (۵).

تسمیة عرفات:

هناک اختلافات فی وجهات النظر حول السبب فی تسمیة عرفات بهذا الاسم:

۱- قال البعض: سُمِّیت بذلک لأنّ آدمَ وحوّاءَ علیهما السلام تعارفا بها بَعد نزولهما من الجنّة (۶).

۲- وقال قوم آخرون: سمِّیت عرفات لأنّالناس یعترفون فیها بذنوبهم (۷).

۳- فی روایة عن معاویة بن عمار قال: سألت أبا عبد اللَّه علیه السلام عن عرفات، لم سمّیت عرفات؟ فقال: «إنّ جبرئیل علیه السلام خرج بإبراهیم علیه السلام یوم عرفة، فلما زالت

۱- ۱ تاج العروس ۲۴: ۱۳۳.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۱۳۸.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ المصدر نفسه.

۵- ۵ لسان العرب ۹: ۱۵۷، دار إحیاء التراث العربی- بیروت، ۱۴۰۸ ه. ق.

۶- ۶ معجم البلدان ۴: ۱۱۷، دار الکتب العلمیة- بیروت، لبنان، ۱۴۱۰ ه. ق.

۷- ۷ المصدر نفسه.

ص: ۱۷۰

الشمس قال له جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسميت عرفات لقول جبرئيل: اعترف، فاعترف» (۱).

۴- وقال آخر: سمى اليوم بيوم «عرفة» والموضع «عرفات» لتعارف الحجيج مع بعضهم البعض فى هذا الموضع (۲).

۵- وقالوا أيضاً: لأنّها مقدّسة معظّمة، كأنّها عُرّفَتْ؛ أى طُيِّبَتْ، لذا سميت عرفات (۳).

۶- ويعتقد البعض: بما أن أحد معانى كلمة «عِرْف» يعنى الصبر، ولما يكابد فيه الحجاج من التعب الشديد للوصول إلى عرفات والوقوف فيه والصبر على ذلك، سميت عرفات، ولدعم وجهة نظرهم هذه، استشهدوا بهذا البيت الشعرى، إذ قال الشاعر:

قل لابن قيس أخى الرقيات ما أحسن العِرْفَ فى المصيبات! (۴) ۷- وأخيراً قالوا: والسبب فى تسميتها بعرفة أن جبرئيل عليه السلام عرّف إبراهيم عليه السلام المناسك، فلما وقفه بعرفة قال له: عرفتَ؟ قال: نعم، فسميت عرفة (۵).

ومن مجموع ما ذكر من الأقول، يمكن القول لعل الاعتراف بالذنب الذى جاء فى التسميتين الثانية، والثالثة التى أمضاها الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، يعدّ أفضل دليل على تسمية هذه البقعة المقدّسة ب «عرفات».

تاريخ عرفات:

طبقاً لما دوِّن، فإن تأريخ هذا الاسم وهذا الموضع، يعود إلى زمن النبىّ آدم عليه السلام، وذلك عندما أُخرج هو وزوجه حوّاء من الجنّة، وبعد مدة من الزمن تلاقيا فى هذا الموضع، ومن هنا فقد رأى البعض أن هذا اللقاء هو السبب فى

۱- ۱ مستدرک الوسائل ۱۰: ۲۶، الباب ۱۴، الحديث رقم ۱۳۷۲.

۲- ۲ أحكام الحج وأسراره: ۲۳۷.

۳- ۳ تاج العروس ۲۴: ۱۳۷.

۴- ۴ معجم البلدان ۴: ۱۱۷.

۵- ۵ المصدر نفسه.

ص: ۱۷۱

تسمية هذه النقطة من الأرض باسم «عرفات» (۱).

وبعد هذا التأريخ وعلى إثر تشريع الحجّ، أصبح الوقوف فى عرفات أمراً واجباً (۲). إلا أنّ شهرة هذه الأرض ذاعت من عصر النبىّ إبراهيم عليه السلام فصاعداً.

وقبل العثور على بئر زمزم، وبسبب وجود آبار المياه فى أطراف عرفات، فإن بعض القبائل كالجرهميين اختاروا هذه المنطقة كمحل مناسب لسكناهم.

كتب المرحوم المجلسى قائلًا:

«... وكانت جرهم نازلة بذى المجاز وعرفات إلى ما قبل ظهور الماء فى زمزم، فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء، فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان واتبعوها، واختاروا السكن إلى جوار زمزم (۳).

وبامتلاء بئر زمزم بالماء ووجود المصادر المائية حول منطقة عرفات، واستواء الأرض فى هذه المنطقة، نزلت مجموعة أخرى من الناس فى هذه الأرض، وقاموا بزراعة النخيل والحقول، وقد سكن قسمٌ فيها بشكل دائم، وقسم آخر كانوا ينزلون فى هذه المنطقة فى بعض فصول السنة. وبعد مدة من الزمن، نقلوا المياه من آبار عرفات الى مكة وليستخدمها الناس الساكنون فيها.

يقول الأزرقى نقلًا عن ابن عباس:

لما انتشرت قريش بمكة وكثر ساكنها، قلّت عليهم المياه واشتدّت المؤنة فى الماء، حَفرت بمكة آباراً، فحفر مرّة بن كعب بن لؤى بيراً يقال لها: رُمْ، وبلغنى أن موضعها عند طرف الموقف بعرفة قريباً من عرفة (۴).

وبئر «الروا» كانت تقع خارج مكة وفى بواديها مما يلى عرفة (۵).

ويقول البشارى فى أخباره عن عرفات:

«عرفة قرية فيها مزارع وخضرٌ ومباطخ، وبها دورٌ حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة» (۶).

۱- ۱ لسان العرب ۹: ۱۵۷.

۲- ۲ شفاء الغرام ۲: ۳۶، ۱۰۸.

۳- ۳ بحار الأنوار ۱۲: ۹۸.

۴- ۴ أخبار مكة، الأزرقى ۲: ۲۱۴.

۵- ۵ المصدر نفسه: ۲۲۰.

۶- ۶ معجم البلدان ۴: ۱۱۸.

ص: ۱۷۲

ویقول یاقوت الحموی: إن موضع هذه القریة یقع علی بعد میلین عن الموضع الحالی (۱).

والمسلَّم به أن أشخاصاً کانوا یسکنون هذه المنطقة ولهذا کانوا یسمَّون بلقب العَرَفی. ومن هؤلاء زنفل بن شداد العَرَفی، وکان للعاص بن وائل دارٌ فی هذه المنطقة، وروی أن سعید بن المسیب أثناء مروره من جوار تلک الدار سمع مغنیاً یغنی فیها بهذه الأشعار:

تضوع مسکاً بطنُ نعمانَ! إذ مَشت به زینبٌ فی نسوةٍ عَطِرات فضرب برجله الأرض وقال: هذا واللّه مما یلذّ استماعه:

و لیست کأخری أوسعت جیب درعها وأبدَت بنانَ الکفّ للجمراتِ

وحلت بنانُ المسک وخفاً مرجَّلًا علی مثل بدرٍ لاح فی الظّلمات

وقامت تراءی یومَ جمع فأفتنتْ برؤیتها مَن راحَ من عرفاتِ (۲) ولم یبق الآن أیّ أثرٍ لتلک المنازل والمزارع فی عرفات، إلا أنه فی السنوات الأخیرة زُرعت أشجارٌ کثیرة فی عرفات، تضفی المزید من الجمال علی هذه المنطقة، کما یقصد أهل مکة هذه المنطقة علی مدار أیام السنة بهدف الراحة والاستحمام، وینعمون بفیء تلک الأشجار وظلالها ومناظرها الجمیلة.

حدود عرفات:

لو تصورنا منطقة عرفات علی شکل قوس، لوجدنا أن الجبال تحیط بأطراف هذا القوس، ووتر هذا القوس هو وادی عُرَنَة. إذ یَحفُّ بعرفات من الشمال الشرقی جبل سَعْد: وهو جبل عال أسمر، ومن الشرق جبل أمغر (أشهب) یسمی جبل «مِلْحة»، وارتفاعه أقل من الأوّل، ومن الجنوب سلسلة جبیلة لاطیئة (لاطئیة) سوداء أبرزها «أم الرضوم». أما فی الغرب والشمال الغربی فیمر

۱- ۱ المصدر نفسه: ۱۱۷.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۱۱۸.

ص: ۱۷۳

وادی عُرَنَة. إذ کانت جمیع هذه المناطق تابعة لقریش (۱). وفی الموقف أیضاً جبلٌ یصعده الحجیج، ویتضرعون فیه بالدعاء، وسمّی هذا الجبل فی الکتب التأریخیة بعدة أسماء من قبیل «جبل الرحمة»، و «القُرین»، و «الال»- بکسر وفتح الألف- و «النابت» (۲). ومن بین المشاعر، تقع عرفات خارج الحرم فقط.

-صفحه خالی برای نقشه-

۱- ۱ معجم معالم الحجاز ۶: ۷۵.

۲- ۲ معالم مکة التأریخیة والأثریة: ۱۸۲.

ص: ۱۷۴

الال أو جبل الرحمهٔ:

جاء ابن هشام إلى الحجاز لأداء الحـج، فلما قـدم المدينـهٔ، ورد عليه كتابٌ من أبيه هشام بن عبـد الملک، «أن قف بالناس على الال»، فقرأه فلم يدرِ ما الالُ، فبعث الى الزهرى، فدعاه، فقال: إن كتاب امير المؤمنين ورد بأن قف بالناس على الالَ فأى شـىء عندک؟ فقال له الزهرى: إنّ فتىً من أهل العراق قد قدم علىّ يطلب العلم، فلعل عنده من هذا علم (علماً) فأرسل الزهرى، بطلب الفتى وهو- ابو بكر الهـذلى- فجاء الهذلى واطلعه ابن هشام على الأمر وطلب منه الجواب، فقال: هو جبل عرفهٔ الذى يقف عليه الناس، فسأله الزهرى: فهل عندک على هذا شاهد؟ قال نعم: فقرأ شعراً أنشده النابغهٔ الذبيانى:

بمصطبخاتٍ من أضاف وثَبْرهٔ يُرِدْنَ ألالًا سَيْرُهن التَدافُعُ فأعجب ذلک ابن هشام، فدعا له ووهبه مالًا وكساه (۱).

وفى روايـهٔ أنّ: رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله وقف على النابت أمام الجبل الذى يسـمى ألال (ألالًا)، حذو الجبل الذى يسـمى مسـلم (مسلماً) وهو حَبْل المشاهٔ بين النَبْعهٔ والنُبَيْعهٔ (۲).

وجبل الرحمهٔ الذى يسـمى الالًا أيضاً- بكسر الهمزهٔ والتخفيف- اسم الموضع الذى نزلت به الملائكهٔ لنصرهٔ جيش المسلمين وهو إلى اليسار باتجاه الصفراء (۳).

الوقوف فى عرفات:

بناءً على ما يذكره التاريخ، وعلى مرّ العصور، كان اتباع الأديان السـماويهٔ، من الذين شُـرِّع لهم الحجّ كفريضهٔ، يقفون فى عرفات أثناء الحج، وفى العصر الجاهلى أيضاً، كانت جماعهٔ من جرهم وتأسّياً منها بإبراهيم الخليل

۱- ۱ أخبار مكهٔ، الفاكهى ۵: ۱۳.

۲- ۲

۳- ۳ تقويم البلدان: ۱۰۹، رحلهٔ ابن بطوطهٔ ۱: ۱۳۲.

ص: ۱۷۵

وإسـماعيل عليهما السلام يعظّمون الكعبة، ويطوفون ويؤدون الحج والعمرة، ويقفون على عرفات والمشعر (۱). إلا أن البعض من قبائل قريش والساكنين فی مكة، واستناداً إلى بعض الأفكار الخاطئة، ابتدعوا أموراً وتركوا الوقوف على عرفة، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر، ويقرون- أيضاً- أن الوقوف عليها من الأعمال التى يجب أن تؤدى فی الحج بناءً على ما جاءَ فی دين إبراهيم الخليل عليه السلام (۲).

ويقول الأزرقی:

... عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه انه قال: أضللتُ بعيراً لی يوم عرفة، فخرجت أطلبه حتى جيت عرفة، فإذا رسول اللّهصلى الله عليه و آله واقف بعرفة مع الناس، فقلت: هذا رجلٌ من الحمس، فما له خرج من الحرم؟ يعنی قريشاً كانت تسمى الحمس والأحمسی المشدد فی دينه، فكانت قريش لا تجاوز الحرم، تقول:

نحن أهل اللّه لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقف بعرفة وذلك قول اللّه عزّ وجل: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» (۳).

ويضيف الأزرقی قائلًا: وجعل الحمسيون موقفهم فی طرف الحرم من غرة بمفضى المأزمين بدل الوقوف بعرفة، يقفون به عشية عرفة، ويظلون به يوم عرفة فی الأراك، ويفيضون منه إلى المزدلفة (۴).

يقول سفيان: جاءهم ابليس، فقال: إنكم إن خرجتم من الحرم الى الحل زهدت العرب فی حرمكم فخذلهم عن ذلك، وبه قال سفيان: عن حميد بن قيس عن مجاهد قال: كان رسول اللّهصلى الله عليه و آله يقف بعرفة سنيه كلّها لا يقف مع قريش فی الحرم- يعنی اذا كان رسول اللّهصلى الله عليه و آله بمكة قبل الهجرة- (۵).

قال سعيد بن عبد اللّه الراوندی (المتوفى سنة ۵۷۳ ه. ق):

كانت قريش فی الجاهلية لا تخرج الى عرفات ويقولون لا نخرج من

۱- ۱ أخبار مكة، الأزرقی ۱: ۱۱۷.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ البقرة: ۱۹۹، أخبار مكة للأزرقی ۲: ۱۹۵.

۴- ۴ أخبار مكة، الأزرقی ۱: ۱۴۵.

۵- ۵ المصدر نفسه ۲: ۱۹۶.

ص: ۱۷۶

الحرم، وكانوا يقفون يوم عرفة بالمشعر الحرام وليلة العيد أيضاً بها، وكان الناس الذين يحجّون غيرهم يقفون بعرفات يوم عرفة، كما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يفعلون، فأمر اللَّه أن يقف المسلمون كلّهم يوم عرفة بعرفات ويفيضوا منها عند الغروب الى المشعر بقوله تعالى: «ثمَّ أفيضوا من حيث أفاضَ الناس»، والإفاضة منها لا يمكن إلّابعد الوقوف أو الكون بها (۱).

أرض المغفرة وقبول الدعاء:

إحدى أهم الألطاف التي يحصل عليها الحجاج من رحلة الحج المعنوية، هو غفران الذنوب. ففي اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام، يأتي الحجيج من كل فجٍّ ويجتمعون في عرفات، ويطلبون من اللَّه الغني أن يغفر لهم ما تقدّم من ذنوبهم، ويطهّرهم من الأدران التي علقت بهم، وهم في دعاءٍ وبكاءٍ وتوسل.

وقد اجتمع في هذه الأرض المقدسة جميعُ أنبياء اللَّه تعالى من آدم عليه السلام، إلى خاتم الأنبياء محمد بن عبد اللَّهصلى الله عليه و آله وأوصياؤه عليهم السلام من علي بن أبي طالب إلى المهدي الموعود عليهم السلام، وعلّموا الآخرين، خاصة اتباعهم وأشياعهم، كيفية الدعاء والتضرع والاستفادة من هذا اليوم العظيم. وهذه الأرض المقدسة هي مُلتقى العشّاق والعارفين، وأيّ عارفٍ يقرأ في عرفات، دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام المليء بمعناه ومحتواه، ولا يتأثر بما فيه من الجمال والعذوبة والمعرفة؟!

ولكثرة ما قيل في الروايات الواردة بشأن غفران الذنوب في عرفات، فإن المغفرة والرحمة الإلهية، سرعان ما تتبادر الى الذهن بمجرد سماع اسم عرفة وعرفات، والفت انظار القرّاء الكرام الى بعضٍ من هذه الروايات:

عن علي عليه السلام: «أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله، لما حجّ حجة الوداع، وقف بعرنة فأقبل على الناس بوجهه وقال: مرحباً بوفد اللَّه- ثلاث مرات- الذين إن سألوا أُعطوا،

۱- ۱ ينابيع الفقهية، فقه القرآن ۷: ۳۷۵.

ص: ۱۷۷

وتخلف نفقاتهم، ويجعل لهم فى الآخرة بكلّ درهم ألفاً من الحسنات، ثم قال: يا أيها الناس ألا أبشركم؟ قالوا: بلى يا رسول اللَّه، قال: إنه إذا كانت هذه العشيّة باهى اللَّه بأهل هذا الموقف الملائكة، فيقول:

[يا ملائكتى] انظروا الى عبيدى وإمائى أتونى من أطراف الأرض، شعثاً غبراً، هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربّنا يسألونك المغفرة، فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفكم مغفوراً لكم [ما سلف]» (۱).

عن على عليه السلام قال: «قيل: يا رسول اللَّه أىّ اهل عرفات أعظم جرماً؟ قال:

الذى ينصرف من عرفات وهو يظنّ أنه لم يغفر له» (۲).

وقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: «من الذنوب ذنوب لا تغفر إلّابعرفات» (۳).

عن الحسين بن على عليه السلام قال: «جاء رجلٌ من اليهود الى النبيّصلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد- الى أن قال- إنى أسألك عن عشر كلمات أعطاها اللَّه تعالى موسى فى البقعة المباركة حيث ناجاه- إلى أن قال- يا محمد فاخبرنى عن التاسع، لأى شىء أمر اللَّه الوقوف بعرفات بعد العصر؟ فقال النبيّصلى الله عليه و آله: لأن بعد العصر ساعة عصى آدم عليه السلام ربّه، فافترض اللَّه على أمتى الوقوف والتضرّع والدعاء فى أحبّ المواضع إلى اللَّه، وهو موضع عرفات، وتكفّل بالإجابة، والساعة التى ينصرف هى الساعة التى تلقى آدم من ربّه كلمات، فتاب عليه إنه هو التوّاب الرّحيم، قال:

صدقت يا محمّد، فما ثواب من قام بها ودعا وتضرّع إليه؟

فقال النبيصلى الله عليه و آله: والذى بعثنى بالحقّ بشيراً ونذيراً، إن للَّهتبارك وتعالى فى السماء سبعة أبواب؛ باب التوبة، وباب الرحمة، وباب التفضل، وباب الإحسان، وباب الجود، وباب الكرم، وباب العفو، لا يجتمع [بعرفات] أحد إلّاتساهل من هذه الأبواب، وأخذ من اللَّه هذه الخصال، فإن للَّهتبارك وتعالى مائة ألف ملك، مع كل ملك مائة وعشرون ألف ملك، وللَّه مائة رحمة ينزلها على أهل عرفات،

۱- ۱ مستدرك الوسائل ۸: ۳۶.

۲- ۲ المصدر نفسه ۱۰: ۳۰.

۳- ۳ المصدر نفسه.

ص: ۱۷۸

فإذا انصرفوا أشهد اللّه تلك الملائكة بعتق رقاب أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد اللّه تلك الملائكة بأنه أوجب لهم الجنّة، وينادى مناد: انصرفوا مغفوراً لكم فقد أرضيتمونى، ورضيت لكم، قال:صدقت يا محمّد ...» (۱).

وورد فى نقل آخر:

«وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدى اللّه عزَّ وجلَّ» (۲).

وعن أبى نصر البزنطى، عن الرضا عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: ما من برٍّ ولا فاجر يقف بجبال عرفات فيدعو اللّه إلّا استجاب اللّه له، أما البرّ ففى حوائج الدنيا والآخرة، وأمّا الفاجر ففى أمر الدنيا» (۳).

عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى أن رسول اللّهصلى الله عليه و آله قال: «المغفرة تنزل على أهل عرفة مع الحركة الأولى، فإذا كانت الدفعة الأولى فعند ذلك يضع الشيطان التراب على رأسه يدعو بالويل والثبور، قال: فتجتمع اليه شياطينه فيقولون: ما لك؟ فيقول: قوم قد قتلتهم منذ ستين وسبعين سنة غُفر لهم فى طرفة عين- يعنى من يحضر [من] الحاج بعرفة» (۴).

وقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله: «من حفِظَ سمعَهُ وبصرَه ولسانه يوم عرفة حفظه اللّه- عزّ وجلّ- من عرفة الى عرفة» (۵).

وعن ابن عباس أنه أورد مقدمة لها ارتباط بالحديث الآنف الذكر إذ قال:

إن الفضل بن عباس كان رديفَ رسول اللّهصلى الله عليه و آله عشية عرفة، وكان الفتى يلاحظ النساء، قال: فكان النبيّصلى الله عليه و آله يصرف بصره، ويقول: «يا ابن أخى، إن هذا يومٌ مَنْ ملكَ سمعَه إلامن حقّ، وبصره إلا من حقّ، ولسانَه إلّامن حقّ، غفر له ذنبه» (۶).

وقال ابن عباس: إن اللّه- عزّ وجلّ- يباهى بأهل عرفة أو الحاج أهلَ السموات» (۷).

وفى حديث عن الرسولصلى الله عليه و آله قال: وإذا وقفت عشيّة عرفة، فإن اللّه يهبط

۱- ۱ المصدر نفسه ۱۰: ۳۲.

۲- ۲ بحار الأنوار ۳: ۳۲۰.

۳- ۳ الوافى ۲: ۴۲.

۴- ۴ أخبار مكة، الفاكهى ۵: ۱۵.

۵- ۵ المصدر نفسه ۵: ۱۸.

۶- ۶ المصدر نفسه: ۲۱.

۷- ۷ المصدر نفسه.

ص: ۱۷۹

برحمته إلى السماء الدنيا حتى تظل على أهل مكة، فيباهى بهم الملائكة فيقول:

هؤلاء عبادى جاؤونى شعثاً من كلّ فجّ عميق، يرجون رحمتى ومغفرتى، فلو كانت ذنوبهم بعدد الرمال أو كعدد القطر أو كزبد البحر لغفرت لهم ...» (۱).

وقال ابن عباس: رأيت النبيّصلى الله عليه و آله عشية عرفة بعرفة، ويداه إليصدره يدعو كاستطعام المسكين» (۲).

وجاء فى رواية أخرى: كان أكثر دعاء النبيصلى الله عليه و آله يوم عرفة: «لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شىء قدير» (۳).

وقال عبد اللَّه بن كريز أيضاً: إن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة» (۴).

وقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: «ما رُئى الشيطان يوماً هو أصغر فيه، ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذلك إلا مما يرى من تَنَزُّل الرحمة، وتجاوز اللَّه عن الذنوب العظام، الّا ما رئى يوم بدر» (۵).

وكان الدعاء: لا إله إلا اللَّه الحليم الكريم، لا إله إلا اللَّه العلى العظيم، سبحان اللَّه ربّ السموات السبع و الأرض ربّ العرش العظيم، والحمدللَّه ربّالعالمين» (۶).

ولعرفات أهمية بالغة لدرجة أنه جاء فى الروايات: «الحج عرفة»؛ وطبعاً لا يعنى ذلك أن بقية أعمال الحج قليلة الأهمية! بل إن هذه الرواية، ترشد حجّاج بيت اللَّه الحرام، الى أهم أركان الحج أى عرفة، ولعل السبب فى هذه الأهمية يعود الى الدور الذى تحظى به عرفات فى غفران الذنوب، إذ إن المذنب الذاهب الى عرفات يعود منها مغفوراً له.

الصوم فى عرفات:

ورد النهى عن الصوم يوم عرفة فى بعض روايات الفريقين، ولعل السبب

۱- ۱ أخبار مكة، الأزرقى ۲: ۳۰۶. مستدرك الوسائل ۸: ۴۲.

۲- ۲ أخبار مكة، الفاكهى ۵: ۲۴.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۲۵.

۵- ۵ المصدر نفسه: ۲۶.

۶- ۶ المصدر نفسه ۵: ۱۲.

ص: ۱۸۰

فی ذلک یعود الی ضرورة أن یکون الفرد نشیطاً أثناء الدعاء والتضرع؛ لأن الفرد الصائم، فی تلک البقعة- وخاصة فی الهواء الحار- یستحوذ علیه الضعف ولا یجد القدرة علی الدعاء. وکان رسول اللّهصلی الله علیه و آله لا یصوم یوم عرفة، وفعل ذلک الخلفاء وبعض الصحابة أیضاً تأسّیاً بهصلی الله علیه و آله (۱).

وقال الشیخ الکفعمی فی المصباح: یستحب الصوم یوم عرفة، لمن لا یخاف الضعف فی الدعاء (۲). ویدلّ ذلک الی أن الکراهیة فی الصوم، إنما بسبب مخافة الضعف حال الدعاء.

کما أن أدعیة الإمام الحسین بن علی والإمام السجاد علیهم السلام یوم عرفة من الأدعیة المهمة جداً إذ تنطوی علی إشارات عظیمة تهزّ الجَنان.

وعن بِشر وبشیر ابنی غالب الأسدی قالا: وقفنا مع أبی عبد اللَّه الحسین ابن علی بن أبی طالب علیهما السلام بعرفة، فخرج عشیة عرفة من فسطاطه فی جماعة من أهل بیته وولده وشیعته وموالیه، متذللًا خاشعاً فجعل یمشی هوناً حتی وقف فی مسیرة الجبل، فاستقبل البیت ورفع یدیه تلقاء وجهه کاستطعام المسکین، وشرع بقراءة هذا الدعاء:

«الحمد للَّهالذی لیس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع ...» (۳).

وورد فی الدعاء السابع والأربعین من أدعیة الصحیفة السجادیة، دعاء الإمام السجاد علیه السلام وتضرعه یوم عرفة أیضاً.

نزول رسول اللَّه فی عرفات:

عن جابر بن عبد اللَّه رضی الله عنه قال: إن رسول اللّهصلی الله علیه و آلهصلی بمنی الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم مکث قلیلًا حتی طلعت الشمس، ثم سارَ حتی أتی عرفة، وقد ضربت له قبة بِنَمِرَة فنزل بها (۴).

۱- ۱ المصدر نفسه: ۲۹- ۳۳.

۲- ۲ مفاتیح الجنان: ۴۷۰.

۳- ۳ المصدر نفسه: ۴۷۴.

۴- ۴ أخبار مکة، الفاکهی ۵: ۹.

ص: ۱۸۱

وينقل أبو الوليد عن جدّه، عن مسلم بن خالد، عن ابن جريح قال: سألت عطاء أين كان رسول اللَّهصلى الله عليه و آله ينزل يوم عرفة؟ قال: بنمرة (۱)، منزل الخلفاء الى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة يلقى عليها ثوب يستظل بهصلى الله عليه و آله (۲).

وقال الصدوق رحمه اللَّه فى المقنع:

فإذا أتيت عرفات فاضرب خباءك بنمرة قريباً من المسجد، فإن ثم ضرب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله خباءه وقبّته، فاذا زالت الشمس يوم عرفة فاقطع التلبية واغتسل، وصلّ بها الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وإنما تتعجل فى الصلاة، وتجمع بينهما لتفرغ للدعاء فإنه يوم دعاء ومسألة.

ويقول الأزرقى:

وموقف النبيّصلى الله عليه و آله عشية عرفة بين الأجبل النبعة والنبيعة والنابت وموقفه منها على النابت وهى الظراب التى تكتنف موضع الإمام، والنابت عند النشرة التى خلف موقف الإمام، وموقفهصلى الله عليه و آله على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هنالك ناتئة فى الجبل الذى يقال له الالّا بعرفة عن يسار طريق الطائف وعن يمين الامام (۳).

وبظهور الإسلام فى الحجاز، اتّخذ اتباع هذا الدين الحنيف، الوقوف فى عرفات ركناً من أركان الحج، ويقفون يوم التاسع من ذى الحجة فى هذه البقعة، ولا يجوّزون الوقوف خارج حدود هذه المنطقة.

السيول فى عرفات:

وقع الكثير من الحوادث فى عرفات، على مرّ التأريخ، لا يسع المجال هنا للتطرق الى ذكرها جميعاً، وينقل الأزرقى نموذجاً عن تلك الحوادث بهذا الشكل:

۱- ۱ أودية مكة المكرمة: ۱۱۵، معجم البلدان ۷: ۳۶۲.

۲- ۲ أخبار مكة، الأزرقى ۲: ۱۹۴.

۳- ۳ المصدر نفسه.

ص: ۱۸۲

فی الیوم التاسع من شهر ذی الحجة سنة ۱۰۵۳ وقع سیل عظیم بعرفة والحجاج وقوف هنالک، فاستمر من وقت الظهر الی الغروب، ولما نفر الناس عاقهم السیل المعترض من تحت العلمین عن المرور ودخول الحرم، فاستمر الناس وقوفاً الی آخر اللیل حیث خفّ السیل، فقطعوه بالمشقة (۱).

وقال أیضاً:

وأول من أوقد المصابیح النفطیة بین الصفا والمروة، وجبلی عرفات فی لیالی موسم الحج هو أبو إسحاق المعتصم (۲).

إلقاء الخطب فی عرفات:

المعروف عن سیرة رسول اللَّهصلی الله علیه و آله والأئمة المعصومین علیهم السلام أنهم کانوا یلقون الخطب لحجاج بیت اللَّه الحرام، ویتطرقون فی خطبهم إلی بیان المعارف الدینیة والأخلاقیة. حتی إن الخلفاء والحکام وتأسیاً بهم، کانوا یلقون الخطب فی هذه

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ المصدر نفسه.

ص: ۱۸۳

البقعة المقدسة، وشيئاً فشيئاً اقيم منبرٌ لخطيب يوم عرفة، يرتقيه الخطباء للتحدّث الى الحجاج.

وقال عمرو بن دينار: رأيت فى زمن ابن الزبير منبر عرفة، حيث يصلّى الظهر والعصر عشية عرفة، مبنياً بحجارةٍصغيراً، فذهب به السيل، فجعل ابن الزبير حينئذٍ منبراً من عيدان (۱).

وقام الرسول الاكرمصلى الله عليه و آله فى حجة الوداع، وهى آخر حجة له، بإلقاء الخطبة مرتين؛ الأولى قبلصلاة الظهر والعصر، والثانية بعدهما، وأبلغ الناس فيهما بقوانين الدين العامة وأحكامه الأبدية (۲).

وخطب محمد بن هشام فى عرفة أيضاً وقال: «عرفة كلّها موقف حتى منبرى هذا» (۳).

ويدأب الحجاج الإيرانيون فى الوقت الحاضر على القيام بما يلى: فى يوم عرفة يبدأ رجل الدين المرافق للقافلة بإلقاءالخطبة للحجاج، ثم يشرعون بقراءة دعاء عرفة، وفى مقر بعثة قائد الثورة الإسلامية أيضاً تقوم إحدى الشخصيات الدينية المعروفة بالتحدث وإلقاء الخطبة، ثم يقوم أحد مدّاحى أهل البيت عليهم السلام بقراءة الأشعار وذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وفى الختام يُقرأ دعاء عرفة.

وقال الأزرقى: «والمسافة بين المسجد الحرام وبين موقف الإمام بعرفة، عشرة أذرع بريد سواء لا يزيد ولا ينقص» (۴).

مسجد عرفات:

يوجد فى عرفات مسجد ذكر فى التأريخ باسم مسجد عرفة، والمسجد الجامع للنبىّ إبراهيم عليه السلام، أو مسجد إبراهيم أيضاً. وكان هذا المسجدصغيراً جداً فى السابق، ويصلّى فيه الحجاج.

۱- ۱ المصدر نفسه ۲: ۱۹۵.

۲- ۲ أحكام الحج وأسراره: ۲۳۸.

۳- ۳ المصدر نفسه: ۳۴.

۴- ۴ أخبار مكة، الأزرقى ۲: ۱۹۰.

ص: ۱۸۴

ويقول الأزرقى فى تحديد مسجد عرفات:

وذرع سعة مسجد عرفة من مقدمه الى مؤخره مائة وثلاث وستون ذراعاً، ومن جانبه الايمن الى جانبه الايسر بين عرفة والطريق مائتا ذراع وثلاث عشرة ذراعاً، وعلى جدران المسجد من الشرف مائتا شرافة وثلاث ..

شرافات ونصف، منها على جدر القبلة اربع وستون، وعلى العطف مع جدر القبلة من الجانب الايمن والايسر ثمان شرفات لكل منها، ومنها على بقيته سبع وخمسون ونصف، ومنها على مؤخر المسجد عشر فى الأيمن، وفى الايسر أربع، وفى مسجد عرفة من الابواب عشرة ابواب: باب فى القبلة عليه طاق طوله تسع أذرع، وعرضه ذراعان وثمان عشرة اصبعاً، وفى الجدر الايمن أربعة ابواب، وفى الايسر أربعة ابواب عرض كل باب ست أذرع، وسعة الباب الذى يلى الموقف مائة ذراع وأحد وثلاثون ذراعاً، ومن حد مؤخر المسجد الايمن الى حد مؤخره الايسر جدر مدور طوله ثلاثمائة ذراع واربعون ذراعاً، وعرضه من وسطه من جدر المسجد ثمانى وستون ذراعاً، والابواب التى فى الجدر الايمن فى الجبر، وطول الجدر فى السماء ست أذرع، وفى مؤخر المسجد الايمن فى طرف الجبر دكان مربع طوله فى السماء خمس أذرع وسعة أعلاه سبع أذرع وثمان عشرة إصبعاً فى ست اذرع وثمان عشرة اصبعاً يؤذن عليه يوم عرفة، وفى المسجد محراب على دكان مرتفع يصلى عليه الإمام وبعض من معه ويصلى بقية الناس أسفل؛ وارتفاع الدكان ذراعان ... ومن مسجد عرفة الى موقف الإمام عشية عرفة ميل يكون الميل خلف الإمام إذا وقف وهو حيال جبل المشاة (۱).

وقام الملك أشرف قايتباى (۸۷۳- ۹۰۱ ه) فى عصر سلطنته، بتعمير مسجد النمرة فى عرفات وفتح وكرى قناة عرفة بعد انسدادها (۲).

وبلغت مساحة مسجد النمرة فى العمارة والتوسعة الأخيرة ۱۲۴ /۰۰۰

۱- ۱ المصدر نفسه ۲: ۴۵۲.

۲- ۲ مسجد الحرام والكعبة: ۳۷۳ و ۳۷۴.

ص: ١٨٥

متر مربع. وقسم من بناء المسجد مؤلف من طابقين، ومساحتها حوالى ٠٠٠/ ٢٧ متر مربع، والمسجد مجهز تجهيزاً كاملًا بنظام التبريد، والمرافق الصحية المناسبة وغيرها، ويتسع لأكثر من ٠٠٠/ ٣٠٠ الف من المصلين، وبلغت تكاليف عمارته مبلغاً قدره حوالى ثلاثمائة وسبعة وثلاثون مليون ريال سعودى (١).

ويأتى جمعٌ من الحجاج يوم عرفة الى مسجد النمرة؛ ليستمعوا إلى خطبة خطيب المسجد، ثم يصلوا الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم يشرعوا بالدعاء والتضرع ومسألة اللَّه تعالى حتى غروب الشمس (٢).

عرفات والظالمون:

بالرغم من امتلاك عرفات للكثير من الخصائص المعنوية، إلا أنها لم تسلم من ظلم الظالمين على طول التأريخ، ولغرض إبعاد الحجاج وحرمانهم من الآثار المعنوية لعرفات، عمدوا الى تحريف الحقائق.

قال ابو اليقظان: جاء رجلٌ من أولاد عثمان الى هشام بن عبد الملك يوم عرفة وقال: اليوم يومٌ استحب فيه الخلفاء لعن ابو تراب! (٣).

وقال سعيد بن جبير أيضاً:

إنّما ترك معاوية التكبير فى يوم عرفة، لأن على بن أبى طالب عليه السلام كان يكثر فيه! (۴) الماء فى عرفات:

مع ظهور الإسلام فى الجزيرة العربية، وازدياد دخول الناس فى هذا الدين الحنيف، ازداد اتباع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله شيئاً فشيئاً، وفى كل موسم من مواسم الحج يقف عدد كبير من الحجاج الوافدين لأداء مناسك الحج فى منطقة عرفات، وبما

١- ١ أحكام الحج وأسراره: ٢٣٨.

٢- ٢ فى خدمة ضيوف الرحمان: ١٠٨، ١١١.

٣- ٣ شرح نهج البلاغة، إبن أبى الحديد ١٣: ٢٢١، الباب ٢٣٨.

۴- ۴ أخبار مكة، الفاكهى ۵: ٣٣.

ص: ۱۸۶

أن الماء يعدّ أحد المتطلبات الأساسية للناس فى عرفات، قام البعض بإحداث الأحواض والحمامات بالقرب من جبل الرحمة؛ ليستفيد منها الحجاج اثناء وقوفهم فى عرفات. وبهذا الصدد ذكر المؤرخون ما يلى:

كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التى بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أجرى إلى مكة عيوناً عشرة فى قنوات عملها لذلك؛ ولما حجّ عبد اللَّه بن عامر جمع العيون وصرفها فى عين واحدة فى ميدان (صحراء) عرفة عرفت بعين عرفة. وقد كان خلفاء بنى العباس والحكام المقتدرون يجرون الماء من عين عرفة الى مكة عن طريق مجارٍ متعددة، وحدث أن تخربت عين عرفة أثناء خلافة المتوكل العباسى، فأرسل الخليفة مائة الف دينار الى مكة لتعميرها واجراء ماء عين عرفات إليها، وفى عام ۲۴۱ ه حصل زلزال غارت منها العيون فتخربت عين عرفات فيها، ولكن ليس من المعلوم تأريخ إعادة تعميرها، وفى حدود عام ۵۰۰ ه أعيد تعمير العين المذكورة على إثر تخريبها، وقد وجدت فى لوحة بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه كتابة تشير الى الذين قاموا بإصلاح عين عرفات وبقية مجارى مياه مكة، وقد جاء فى هذه اللوحة:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم ... وصلى اللَّه على سيدنا محمد ... وعلى إمام اللَّه ظل مولانا الإمام الناصر لدين اللَّه أمير المؤمنين أعزّ اللَّه أنصاره؛ أمر الإمام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدينصاحب اربل- ولم أعرف ما بعد ذلك- سنة ۵۰۰ ه لأبى جعفر المنصور المستنصر باللَّه أمير المؤمنين أعزّ اللَّه تعالى ببقائه الإسلام».

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبى العباس أحمد الناصر لدين اللَّه أمير المؤمنين سنة ۵۸۴ ه ونصّها: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام الخليفة على كافة أهل الاسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين اللَّه أعزّ اللَّه

ص: ۱۸۷

أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت اللّه الحرام، وذلک فی سنة ۵۸۴ ه».

وهناک لوحة أخرى تدل على عمارة عين عرفة من قبل أمير الأمراء الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدين أمير اربل فی سنة ۵۹۴ هجری.

ووجدت لوحة رابعة أيضاً تدل على عمارة عين عرفة من قبل المستنصر العباسی فی سنة ۶۲۵ ه، و ۶۲۷ ه، و ۶۳۳ ه (۱).

وذكر الفاكهی سبعة أحواض لعبد اللّه بن عامر بن كريز فی عرفات، بينما يقول إبراهيم رفعت باشا بأنها ثمانية أحواض (۲).

وفضلًا عن استخدام مياه تلک الأحواض لأغراض الشرب، فقد كان البعض يغتسل فيها أيضاً، قال يزيد بن أبی زياد: رأيت مجاهداًصائماً يوم عرفة وهو محرم، اغتسل من بعض حياض عرفة (۳).

وكانت فی الناحية الجنوبية الشرقية لمسجد النمرة بعض الجدران بقيت آثارها إلى فترة قريبة، وكانت تمثل فی الحقيقة الحد الجنوبی لموقف عرفة. كما يوجد جنوب جبل الرحمة سوقٌ كبيرة، بقيت موجودة لسنوات قريبة، وأورد إبراهيم رفعت باشاصوراً لهذه السوق فی كتاب مرآة الحرمين (۴).

الهوامش:

ترنيمة عرفانية

۱- ۱ الحرمان الشريفان: ۲۶.

۲- ۲ أخبار مكة، الفاكهی ۵: ۴۳، مرآة الحرمين ۱: ۴۵.

۳- ۳ أخبار مكة، الفاكهی ۵: ۴۳.

۴- ۴ مرآة الحرمين ۱: ۳۳۷.

ص: ۱۹۰

ترنيمة عرفانية

الدكتور الحسينى

ما أروعَ الحجّ

ما أروعَ الحجّ!

ما أروعَ الحجّ لو لبيّتُ معتمراً ربَّ الحجيج مُجيباًصاحبَ الدارِ!

وقد حدوتُ طُوالَ الدرب قافلتى وقد طويت النوى فى طىّ أسحارى

وقد نزلتُ فِناء البيت معتكفاً وطفتُ سبعاً طواف الكوكب السارى

هنا وقفتُ هناصلّيتُ فى وَلَهٍ هنا جلستُ هنا راجعتُ أفكارى

هنا عرفتُ معانى الحجّ وازدلفت فى مشعر الحقّ آمالى وأوطارى

هنا رميتُ جماراً من هوى كبدى هنا نحرتُ المُنى فى كفِّ نحّارِ

هنا تحولتُ رُوحاًصفّقت فَرَحاً وغرّرتْ وشَدَتْ فى لحنِ أطيارِ

هنا تحوّل قلبى فى الهوى وَتَراً يبثّ ماليس ترجوه بأوتارِ

ص: ۱۹۱

هنا أذبتُ وُجودى فى محبّتهِ هنا تحطم مِزمارى وقِيثارى ***

ما أروعَ الحجَّ أنْ يَدنُو لصاحبه من قد أَتى البيت مَحْنِياً بأوزارِ واثقلتهُ خطايا العُمر يحملُها بكفّهِ خَجِلًا من ذُلِّ إقرارِ

وراح يمسحُ بالأحجارِ معتذراً من ذنبهِ خاطِباً وُدّاً لغفّارِ

يقول ياربِّ إنّى تائبٌ أبداً ممّا جَنَيتُ وهذا بيتُ ستّارِ!

فقد دعوتَ ضيوفاً ما لهم عددٌ من كلّ فجّ اتَوا سبقاً بمضمارِ

ماطُوْا لِباسَ «الأنا» واستبدلوا حُلَلًا من الصفاءِ بِلُبسِ الكاسى العارى

فمن يحجُّ لبارى الخلق بارئِهِ كانت محجَّتُهُ للبارىِ الذارى

ومن يحجُّ لكسب المال متَّجِراً فالحجُّ حجٌّ ولكن حجُّ تُجّارِ

ومن يحجُّ لِدُنياً كى يُصيبَ بها جاهاً وجَاراً فحجُّ الجاهِ والجارِ

لكنّما الحجُّ فى دينى ومعتقدى بأنْ يَحجَّ كعبدٍ حَجَّ أحرارِ ***

ما أروعَ الحجَّ تطوافاً وتلبيةً من عاشق وامق يصبو لديّارِ!

يطوف فى البيتِ يقفو كلّ والهةٍ وواله ثملًا من لحظ أنظارِ

قدسيّة قد سقت كأساً معتقةً من المحبّةِ لا من كفِّ خمّارِ

هو الشرابُ الذى من ذاقَ جرعته قد ذاقَ من جنّةٍ تجرى بأنهارِ

فحلّق الطائفونَ البيتَ فى سَفَرٍ مع الأحبَّةِ لا يُرجى بأسفارِ

تُنشى التِلاوة فى أكناف كعبته ومسكها الخُلْدُ لا مِنْ عِطرِ عطَّارِ

لقد تجلّى بهم عشق الإله هوًى يُزرى بعشقِ نواقيس وزنّارِ

وإنْ تهادوا إلى الاستارِ تَحسبَهم ألحانَ عرشٍ تهادتْ حول أستارِ

يمسّحون بأحجارٍ ويا خسِئتْ جواهرُ الأرضِ أن تسمو لأنوارِ

ص: ۱۹۲

من جنّةِ الخُلدِ جبريلٌ أتى جَذلًا بأسودٍ حَجَراً فی اللون كالقارِ

لكنّه فی ضياءٍ أو ملامسةٍ كفٌّ لحور ونَورٌ بين نُوَّارِ اللّهُ أكبرُ لو بايعتُ مصطفقاً كفاً بكفٍ فقد نُجِّيتُ من نارِ ***

ما أروعَ الحجَّ لو قد جئتُ فی نفرٍ يسعَون بين جِبال النور للغارِ!

يهرولون بشوقٍ نحوهُ سَحَراً ليرشفوا من نميرٍ مَارَ فَوَّارِ

ويُفعموا الروحَ فی أكنافِهِ مُتَعَاً من كلّ غيثٍ من الرحمن مِدرارِ

مستلهمين من التاريخ عِبْرته بِعَبْرَةٍ سُفِحَتْ من عين عبَّارِ

بالأمسِ قد فَتحَ الدنيا بنغمته محمَّدٌ وسَرَى برقاً بأنصارِ

مشى يخطِّطُ للإسلام دولتَهُ ويبتنی مسجداً فی رُوح إيثارِ

وراح جُنْدٌ لَهُ فی بأسهم شُعَلًا يهدِّمون قُصورَ الظُلم بالنار

حتَّی استوت لمبانی العدلِ قامته وقام معتدلًا يزهو بأدوارِ

لكنَّما الفَلَكُ الدوَّارُ طوَّحَهُ وخرَّ فی جُرُفٍ وَيلاهُ مُنهارِ

واليومَ عادَ إلى الدُّنيا فراعِنةٌ مِنْ بعدِ ما غُزِی الإسلامُ فی الدَّارِ

والمسلمونَ وياللَّهِ فی زَمَنٍ أضْحَی يَسُوسهُمُ دَجَّالُ أدْهارِ

لكنّما النهضةُ الكبری مُجَلجِلةٌ بَيْنَ الشعوبِ وشَبَّتْ نارُ إعصارِ ***

ما أروعَ الحجَّ لو أصغيتُ مستمعاً وحیَ الإله نديّاً من فم الغارِ

فمِن حِراءَ مَشَت فی الأرضِ صيحتُهُ «اقرأ وربُّكَ» قد خُطَّتْ بأنوارِ

وقد تلا أحمدُ المختارُ سُورتَها حرفاً فحرفاً وترتيلًا مع القاری

وهكذا قَرأ القرآنَ فی كَبِدٍ نَشْوی وقَلبٍ من الأشواقِ مِعطارِ

وكان مِن قبلها يتلوصحائِفَهُ مِن غير إذنٍ بإعلانٍ لأسرارِ

ص: ۱۹۳

لكنّما الأمرُ قد حانتْ شرائطُهُ ودارَ دورتَهُ هَدياً لأعصارِ

وقد توالتْ مِن الرَّحمنصادحةً «قُمْ» وانْفُضَنَّ دِثاراً تحتَ دَثَّارِ واصْدَحْ بتكبيرةٍ هدَّتْ عُرووشَهُمُ وأنْذرِ الكُفْرَ طُرّاً أيَّ إنذارِ

وطهِّرِ الأرضَ من أرجاس ساستِها مِنْ بعدِ تطهير اثوابٍ لأبرارِ

فمنذُ ميلادِكَ الميمونِ قد خَمَدَتْ نارُ المجوس وأهلُ النَّار فى النّار

وقد تصدَّعَ إيوانٌ وأَرْوِقَةٌ هُدَّتْ لقيصرَ وانثالتْ كأحجارِ

وغارَ ماءٌ بأرضٍ لم تكن رُكزَتْ فيها إلى الحقِّ راياتٌ لقهّارِ

فانهضْ لِتخفِقَ راياتٌ قد ارتفعتْ باسم الإله ورفَّت فوقَ أمصارِ

وفى غدٍ من فِناءِ البيتِ يرفعها مهديُّكم ضارباً فى حَدِّ بتَّارِ ***

ما أروعَ الحجَّ لو جاء الحجيجُ إلى جَنبِ الغديرِ وحَطُّوا رَحْل زُوَّارِ!

وقد أناخوا المطايا بعد حجّهُمُ مِثلَ النبىّ بخمٍّ يَوْمَ تذكارِ

وسائلُوا الشَّجَراتِ الخُضرَ عنحَدَثٍ قد كان بالأمسِ مشهوداً لأشجارِ

هلَّا سَمِعتُنَّ أصداءً لركبهُمُ مُذ قام يخطبُ طه فوقَ أكوارِ؟

وقال من كنتُ مولاهُ وسيدَهُ هذا علىٌّ له مولىً مِن البارى

وآيةٌ نزلت «بلّغ» بها نَفَراً من الحجيجِ لِيروووها لأنفارِ

ويعلمَ الناسُ أنَّ الدين مكتملٌ و «اليومَ» تمّت بها أنْعَامُ جَبَّارِ ***

ما أروعَ الحجَّ لو كان الختامُ لَهُ بسبطيبةٍ زائراً قبْراً لمختارِ!

ليرمقَ القبّةَ الخضراءَ سامقةً بينَ السَّماكين نَثَّتْ نثَّ أنوارِ

وقد تساقطَ منها الطَلُّ فى حُلَلٍ مِن الجنائنِ حَوْلَ الجارِ والدارِ

ومدَّ أحمدُ فى أرضِ البقيع يداً بها ليمسحَ جُرحاً جِدَّ نَغّارِ

ص: ۱۹۴

مِن القُبُور التى فيها لِبَضعته أفلاذُ أكبادِها قُدّت بأوتارِ

أهكذا يُحفَظُ المختارُ فى وَلَدٍ بالقتل والنفى والتَّشرِيدِ عَنْ دارِ؟ أهكذا الغيرةُ المحميُّ جانبُها؟ أينَ الحِفَاظُ فياللخزى والعَارِ؟

ماذا عَدا أوبَدا حتّى مَقابرهُمْ ودورُهُمْ دُرِستْ من دُونِ آثارِ؟ ***

لقاء مع المؤرخ الحجازى عاتق بن غيث البلادى

ص: ۱۹۵

لقاء مع المؤرخ الحجازی عاتق بن غیث البلادی

فی بدایهٔ لقائنا هذا، لو تلطفتم بالحدیث عن حیاتکم وعن مؤلفاتکم.

إذا کان ولابد من الحدیث عن حیاتی المتواضعهٔ البسیطهٔ، فقد ولدت- فی الاصل- فی البادیهٔ ونشأت حتیصار عمری ۱۲ سنهٔ ثم نزلت مکهٔ ودرست بمدارسها، ولکن معظم تعلیمی کان فی المسجد الحرام، وللمسجد الحرام یعود کامل الفضل فی أن أکون مؤلفاً او کاتباً ولیس للمدارس المنهجیهٔ. فالمدارس المنهجیهٔ لا توصل الإنسان للدرجهٔ هذهِ، حتی یصل للدکتوراه أو فوقها وأنا لم أصل الی هذا کله، وبعد عدّهٔ سنوات من الدراسهٔ هذهِ، التی دامت- تقریباً- ثمانی سنوات او حوالی ۱۰ التحقت بالجیش واشتغلت فیه حتیصرت ضابطاً؛ وصلت الی رتبهٔ مقدم، وأثناء هذهِ المدهٔ حصلت لی دراسات هامشیهٔ کثیرهٔ منها دراسهٔ اللغهٔ الإنکلیزیهٔ ودراسات الصحافهٔ ودراسات أخری. وبدات أکتب بعض الکتب مثل معجم معالم الحجاز، لکن شعرت من الصعب التوفیق بین

ص: ۱۹۶

العمل العسكرى كقائد والعمل الفكرى ككاتب فهذا يحتاج الى وقت كثير وذلك يحتاج الى وقت كثير، مما اضطرنى أن أتنازل عن واحد منهما، والذين جربوا العمل الفكرى يعرفون التنازل عن واحد منهما أمراًصحيحاً، فتنازلتُ- فعلًا- عن الوظيفة العسكرية وتفرغت للعمل الفكرى هذا وكان هذا سنة ۱۳۹۸ قبل ۱۸ سنة. وحتى لا أطيل عليكم فأول فكرة أتت في ذهنى معجم معالم الحجاز وأمضيتُ فيه عدّة سنوات، وكما تعرفون فإنهصار فى عشرة مجلدات، وبعده تتابعت معجم قبائل الحجاز ثم معجم معالم الجغرافية فى السيرة النبوية ثم على طريق الهجرة، ثم كتاب آخر فى أنساب قبائل الحجاز وكتاب رحلات؛ اربع أو خمس رحلات. حتى الآنصار عندى فى السوق مطبوعاً ۲۲ كتاباً؛ ففى هذهِ السنةصدر الكتاب الثانى والعشرون. فهذه عناوين كتبى، فكتاب معالم الحجاز وحده كما قلت ۱۰ مجلدات ومعجم قبائل الحجاز ۳ مجلدات جمعت فى مجلد ضخم واحد. اضافة إلى مئات من المقالات والبحوث فى الصحف والمجلات فهذهِ غير محسوب تعدادها.

هل اكتفيتم فى تأليفكم لهذه الكتب خاصة معجم معالم الحجاز على المصادر والمراجع المكتوبة أم أنتم شاهدتم هذه المعالم بأنفسكم وكتبتم عنها؟

أنا اعتمد على الدراسة الميدانية فى الدرجة الأولى واخضعها للشواهد التأريخية، فأنا عندما أريد أن اتحدث عن مدينة (رابغ) أزورها وأشاهدها وأحدّدها، ثم أرجع الى التأريخ لأرى هل لها أساس فى التأريخ أو أنها مدينة حادثة. وإذا استطعت أرجع الى سنة تأسيسها أو عصره ودراستها فيه.

ورداً على سؤال حول حدود منى زمن الرسولصلى الله عليه و آله والخلفاء، وهل المجازر الآن هى داخل منى أو خارج منى؟

السؤال هذا ذو شقين: حدود منى كما حدّدها رسول اللّهصلى الله عليه و آله والى يومنا

ص: ۱۹۷

هـذا من الشـرق وادى محسـر، وهـذا الوادى موجود وعليه علامات وضـعتها الحكومـة السـعودية، وقبل الحكومـة السـعودية كانت فيه علامات. وحـدّها الغربى العقبـة (جمرة العقبـة الكبرى) وفيه ناس بعد العقبة يذهبون الى منى لان الازدحام كثير. ومن اليمين والشـمال الجبلان أو قمم الجبلين. هذهِ حدود منى وقد جعلوا لها مدرجات، أما الشق الثانى من السؤال عن المجازر فأنا لم أرها كلّها.

المجزرة الأولى كانت فى منى. والآن- كما فهمت- انتقلت الى مكان اسـمه المعيصم، أنا لم أذهب اليه. فأهل مكـة ليس عليهم هـدى فلا نـذهب للمجازر، ولكنى أعرف أن الأولى فى منى، والمعيصم هـذا ليس من منى. وبالنسـبة لمذهبنا (مذهب أهل السـنة) أن الذبح جائز فى كل شعاب مكة للحديث أن شعاب مكة كلها مذبح ...

وبعض المذاهب الاخرى لا تجيز إلا داخل منى، هذا شيء قد يكون له وجه.

مـا رايكم فى معنى محسـر، ففى الكتب اللغويـة أن محسـراً من التعب والاعياء، وأخـذ من تحسـير من الحسـر أى الكـد والاعياء .. هل هذاصحيح؟

هنا يسـمى وادى النار، فمنذ غزو ابرهة وهو على أفواه الناس اسـمه وادى النار، وعندنا قصـص اصـحاب الفيل، لما أرسل ابرهة الجيش ووصـلت طلائعه وادى محسـر أرسل اللّٰه عليهم طيراً ابابيل تضـربهم حتى قتلوا، وصارت الطير تضـربهم حتى فى المغمس غير المحسر وانا أقول ربما أخـذت هـذهِ الكلمـة (محسـر) من حسّـِر القوة الضاربـة فصارت قليلـة والآية تقول «ثم ارجع البصـر كرتين ينقلب اليك البصـر خاسـئاً وهو حسـير» فحسـير بمعنى الكليل والتسـمية قديمـة، ووادى محسـر معلوم ومحـدد وقـد جعله اللّٰه الحدّ الفاصل بين منى والمزدلفـة، ومحـدود تجـد وراءه بـتره ويسـمونه عمـود وهـو نهايـة مزدلفـة وبعـده بقليـل عمود وهو بدايـة منى فهو إذن يقع بين منى ومزدلفة. فلا يجوز ان تبيت فيه ليلة مزدلفة ولا تقيم فيه أيام منى، وهو مجرى واديصغير وليس وادياً كبيراً، ليس فيه أكثر

ص: ۱۹۸

من ۲۰ متراً، ودرب السيلصغير جداً فيه، وهو شعب ويسمونه وادياً، وعندنا قاعدة عند العرب وقد نزل القرآن بلغتهم عندهم الوادی إذا كـان حـدّاً بين جهتين قـد يـذهب الوادی يميناً او شـمالًا إلى أی مكان يـذهب فهو حـدّ مهما ذهب يميناً أو شـمالًا فهو يبقی حـدّاً بين الأملاک، فمحسر يصطدم بالجبل ويرجع واديه شرقاً حتی يكاد يدخل المزدلفة، وبعدها يرجع مرة ثانية الی جهة العزيزية.

والمزدلفة لا تطل علی عرفة وانما لها حدود ويصير بعدها حلّ أیبعد حدود مزدلفة يصير هناک حلّ، مكان لا هو من عرفة ولا هو من المزدلفـة لكنه حرم، وبعـد ذلک تأتی منطقـة حـدود الحرم. جبل نمره بين منطقة الحرام ووادی عرنة لا هو من الحرم ولا هو من عرفة أیحلّ من غير عرفة وعرفة حلّ، فعندنا منی ثم وادی محسـر نسـير قليلًا نجد المزدلفة وفيها جبلان يضيقان فهذا حدّ المزدلفة، ما غربها مزدلفة وما شـرقها ليس من مزدلفة حرم ولكنه ليس من عرفة، حتی نصل جبل نمره هناک حدّ الحرم، بعد نمره لا هو من عرفة ولا هو من الحرم الذی هو وادی عُرنة، ووادی عرنة حدٌّ بين الحرم وبين عرفة لا ثمر فيه ولا شجرة تقطعها.

هـل كان هناک من يزور مكـة المكرمـة قبل نزول جرهم مكـة، وهل كانوا يسـعون بين الصـفا والمروة ويرمون الحصاة علی الجمرات الثلاث؟

لا، لا هذه الجمرات غير موجودة والذبح من سنة إبراهيم، وقبله لم تكن هناک جمرات.

هل كان البيت يحجّ قبل إبراهيم؟

لاـ يحـج لسـبب واحـد أن اللَّه تعـالی قـال «وأذن فی النـاس بالحـج ...» فقال ربی لا يبلغ نـدائی، قال اللَّه أذن وعلیّ البلاغ، فقيل نادی ابراهيم بالحج فسمع الكل نداءَه. فهذا دليل علی أن وجوب الحج بعد ابراهيم.

ص: ۱۹۹

هـذا معلوم ولكن قصدی أن جرهم لما كانوا يزورون ويريدون الإحرام يقولون: لبيك لا شـريك لك إلا شـريك هو لك تملكه وما ملك. هل كان هذا شعارهم؟

لا، لا.

إنه موجود، هذا موجود، إنه شـعار جرهم، فهذا ممتزج بالشـرك، فسؤالی هل كان حجهم قبل جرهم ممتزجاً بالشـرك كما كان حال جرهم وخزاعة حينما يحجون ممتزجاً بالشرك أو لا؟

هذاصـحيح فجرهم قبـل بنـاء البيت وبعـده كان لهم وجود وبعـد أن قال ابراهيم حجّوا، فإبراهيم قـد يكون لم يتمكن من أن يُعّلم كل القواعد، وإلا فملة ابراهيم الحنيفية. لكن عندنا شیء ثانٍ وهو أن نحدّد هل عاد وثمود قبل ابراهيم أو بعده؟

قبله، فعاد فی أخبارهم لما اصابهم القحط أرسلوا وفداً يستسقی فی الحرم، وهذا معناه أن الحرم كان موجوداً، لكن لم يصل الی علمی هل عاد هؤلاء قبل ابراهيم او بعـده؟ علی الظاهر أنه كان قبله، هـذا كلام مؤلفين كبار. عملت كتاباً قبل مـدة عن فضائل مكـة وذكرت هـذا الكلاـم وتعرضت الی تأريـخ الحرم، لكن لم يمر علی فی جميع المصادر أن هناك حجّاً قبل ابراهيم. لكن عاد لما جاءهم الخطر ارسـلوا منـدوبهم الی مكـة ليـدعو عنـد الحرم (فی روايـة) حـتی يسـقيهم اللَّه تعـالی فنسـيهم وجلس يشـرب الخمر حتی غنت إحـدی المغنيـات ألا يا قيل قيل ويلك قم فهينا أیقم فادعو ... فقام يـدعو فأرسل اللَّه لهم السـحاب اسود بعـد ان قال اختر لقومك الأبيض او الأسود فاختار الأسود لان فيه مطر كثير، فقال لقد اخترت لقومك اسوء العذاب. لكن هل هذا قبل ابراهيم او بعده ما فی عندنا دليل.

ص: ۲۰۰

هل شعب المقبرة هو شعب «أبو طالب» الذی بقوا فيه ۳ سنين؟

إن شعب بنی هاشم هو الذی يوجد جنب المسجد الحرام، والذی ولد فيه رسول اللَّهصلی الله عليه و آله والإمام علی عليه السلام. ثم سمّی شعب أبی طالب. وفی العهد الأموی اشتری بيت أبی طالب رجل اسمه أبو يوسف فسمی حينئذ ب شعب أبی يوسف، ولما جاء العهد الفاطمی اطلق علی هذا الشعب «شعب علی» وحددوا مكان ولادة الإمام علی عليه السلام فی هذا الشعب. فالإمام علی عليه السلام ولد فی بيت ابی طالب*، وبيت ابی طالب مشهور ومعروف فی هذا الشعب. هذا بالنسبة إلی ما يخص شعب (أبو طالب). أما فيما يخصّ الشعب الذی فيه مقبرة فكانوا يسمونه شعب أبی دِب. وكان الازرقی مؤرخ مكة يقول: إنه الشعب الوحيد الذی يستقبل القبلة. وفعلًا إن وقفتَ فيه تستقبل القبلة تماماً.

فهذا المعروف بشعب أبی طالب أليس هو الذی ولد فيه النبيصلی الله عليه و آله؟

هو نفسه. بلی هو نفسه.

وأما الذی هو موجود علی حدّ المقبرة، لا يقال له شعب أبی طالب وإنما هو قبر أبی طالب الذی فی الشعب وهو ليس قبر عمّ النبيصلی الله عليه و آله وإنما هو للشريف أبو طالب أحد امراء مكة توفی قبل ۲۰۰ أو ۳۰۰ سنة. كما يذكر فی تاريخ مكة.

وعلی هذا فالشعب الذی حوصر فيه بنو هاشم هو هذا الشعب.

لا، إنما حوصروا فی الشعب المسمی (شعب علی)، الذی هو قريب من قصر الملك والصفا، ولهذا فإن كنت فی القصر تری الشعب. أما الشعب الذی هناك عند المقبرة فليس له علاقة بشعب بنی هاشم، ولا نزلوا فيه. وانما هو مقبرة علی مرِّ التأريخ .. ومقبرة مكة تسير من رعی الحجول (الحجون) حتی الجعفرية وسميت بمقبرة ابی جعفر المنصور.

هل هناك خلاف فی قبر خديجة؟

ص: ۲۰۱

قبر خديجة فيه خلاف. هو من المؤكد فى هذهِ المقبرة. ومعرفة هذا القبر كانت معرفة وراثية كما كنتُ أقول للناس. فكل من له قبور فى هذهِ المقبرة كان يقول لأبنائه ولغيرهم هذا قبر السيدة خديجة وهكذا يتوارثون هذا القول. ولكن خرجت علينا رواية، أظن أن ابن فهد ذكرها. قال: إن هذا ليس قبرها الحقيقى وإنما هناك شخص رأى رؤيا أن خديجة موجودة هنا فى هذا القبر.

هل الحجون بضم الحاء أو فتحها؟

ضبط الاحرف أنا ذكرته فى معجم معالم الحجاز، وأنا أظن أنه الحُجون وليس الحَجون. الحُجون جمع والحَجونصفة. وأنا ذكرت ذلك.

نعود الى كلامنا السابق (الشعب)، إذا نزلت على الحجون يوجد جسر كبير، على يدك اليسارالمقبرة القديمة، وعلى اليمنى مقبرة السليمانية، هذه المقبرة حادثة فى القرن الحادى عشر تقريباً، والمقبرة التى فى اليسار هى التى فيها قبر السيدة خديجة رضى اللّه عنها وابو طالب ... وبصرف النظر عن الصحة وعدمها فلا يصل واحد إلى ذلك إلا بالبحث المؤكد والمركز، فذاك الشعب ليس له علاقة بسكان قريش ولا يصل بمكة، ففى عهد قريش كان من الضواحى، ومكة كان حدّها بعد مسجد الجن، قرب البريد هذا حدّ مكة ومنه الى الحرم. وسكانها كانوا قليلين.

وبنو هاشم كانت بيوتهم بهذا الشعب، وكان حيّاً من أحياء مكة، وكان بنو مخزوم فى شعب، ولهذا فمكة مشهورة بالشعاب، هذا به مخزوم وذاك به بنو عامر جنبهم، وهذا شعب ... وبنو هاشم لهم هذا الشعب .. وكفار قريش تعاهدوا على أن لايبايعوا بنى هاشم ولايشاروهم ولايطعموهم .. فبقوا محصورين فى هذا الشعب على بعد مرأى من مكة وبيوتهم اذن فى الشعب أساساً. وهو حيّ من أحياء مكة.

وهم أىالكفار لم يخرجوا بنى هاشم من بيوتهم الى هذا الشعب، وانما هم

ص: ۲۰۲

كانوا فى الشعب، بيوتهم فيه أصلًا. فبنو هاشم هم سادة قريش فلم يخرجوا من بيوتهم الى هذا الشعب ليحاصروا به وإنما هم فى هذا الشعب أصلًا. وقال الكفار لا نبايعهم ... وبقوا محصورين فيه حتى أكلوا ورق الشجر. كما ورد عن الرسولصلى الله عليه و آله أو عن آخر أكلنا ورق الشجر. وقد ذكرت هذا فى معجم معالم الحجاز (شعب بنى هاشم، شعب أبى طالب، شعب أبى يوسف، شعب على) ويصبّ على المسجد الحرام من الشرق وهو على بعد مئة متر أو أكثر وهو سيل يصب فى جبل أبى قبيس. فأبو قبيس الشمالى هو شعب على، وفى اول الشعب كان بيت أبى طالب، وقد ولد النبيصلى الله عليه و آله فيه وكان بيتاً لعبد المطلب الذيصار فيما بعد لابى طالب، ثمصار الشعب شعب ابى طالب فيما كان فى زمن عبد المطلب يسمى شعب بنى هاشم، وهناك مثل قديم عند العرب «أهل مكة أدرى بشعابها».

وشعاب مكة كثيرة. وأنا شخصياً فى مكة بعض شعابها لا أعرفها على كثرتها.

هناك كتاب يسمى المناسك للحربى، وليس فيه- أصلًا- اشارة الى المناسك. ما هو رأيكم فيه؟

يقصد المناسك هنا مسالك الحج، فهم كانوا يُطلقون على مسالك الحج المناسك وليست عرفة ومنى .. وهناك كتاب آخر للبكرى أظن أن اسمه كتاب المسالك والمناسك أو المناسك والمسالك، وقد طبع فى الكويت. وشرعاً أو اصطلاحاً المناسك هى أعمال الحج، ولم أحقق فيه وإنما الشيخ حمد الجاسر هو الذى حقق الكتاب هذا وقال: إن إبراهيم الحربى شخصية معروفة.

حدّثنا يا شيخ! حول مسجد الجن والشجرة.

مسجد الجن كان خارج مكة (الاحياء فى مكة «هنا حى ثم يأتى حى آخر بينهما براج) احتكمت الجن الى رسول اللّهصلى الله عليه و آله حسب الرواية واعطاهم حاجاتهم وقضى لهم وأسكن ناساً الى مدينة آخر الشمس لا اذكر اسمها الآن، وكان معه

ص: ۲۰۳

عبد اللّه بن مسعود، كما أذكر، وخطّ له خطاً وقال له: لا تتحرك من هنا. ولما رجع الرسولصلى الله عليه و آله أنكر عليه قائلًا كيف خرجت فقد يأخذوك وقد وضعت لك سياجاً عنهم؟ ولما رجع الرسولصلى الله عليه و آله من عندهم، فإذا شجرة حدّثها، وخطت خطوات حتى وقفت عنده ... ارجعى فرجعت .. فسجد الجن ومسجد الشجرة ليس بينهما إلا عدّة خطوات هذا مسجد الجن وهذا مسجد الشجرة وربما بينهما عشرون متراً او ثلاثون متراً او ۱۰- ۱۲ دكاناً. فإذاصليت بمسجد الجن وتخرج تجد مسجد الشجرة.

حول مسجد البيعة.

مسجد البيعة ونسميه مسجد العقبة. مبنىّ بحجر ومرخم، أنا شاهدته من زمن ليس ببعيد.

حول ثنية أذاخر.

ثنية أذاخر: نزل فيها رسول اللّهصلى الله عليه و آله يوم الفتح، وتقع هذهِ الثنية بعد مسجد الإجابة من الجهة الغربية. وقيل إن الرسول دخل مكة من ثنية أذاخر وهى بجوار شعب النور، فيها مسجد النور. والرواية تقول الرسولصلى الله عليه و آلهصلى هنا هى رواية المؤرخين ولهذا فنحن نقول اخبار الاخباريين لا تلزمناصحتها ولا يجب علينا تكذيبها ففى الدين يجب علينا أن نبحث عن الرواية او الحديث أنهصحيح أو ليسصحيحاً أو أنه حسن أو ضعيف، أما فى التاريخ فهو خبر لا تلزمناصحته ولا يجب علينا تكذيبه. فهو مجرد خبر كما يخبرك أحد بوجود حادث فى الشارع واصيب رجل، فلا يلزمناصحته او كذبه.

أما إذا رويتصلاة الرسول فى هذا المكان تكون سنة تحتاج منا الى البحث عنصحتها وبالتالى يمكننا أن نصلى فى هذا المكان تبعاً لآثار الرسولصلى الله عليه و آله.

فى سؤال حول مقر الرسولصلى الله عليه و آله عندما أراد دخول مكة، هل كان فى

ص: ۲۰۴

داخل مناطق مسكونة أم كان خارج مكة؟

الرسول كان قائداً وله جناحان من الجيش، فالفرقة التى مع الرسول ليس لها علاقة بالقتال، فقد جاءوا من أطول الطرق ووصلوا أذاخر واستقروا فيها فدخل خالد بن الوليد الى مكة، ودخل القائد الآخر (سعد بن عبادة) وهو يحمل الراية، وكان يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، ثم قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله لرجل من قريش وقد يكون عليّاً: خذ منه العلم وقل اليوم يوم المرحمة ... فتحولت القيادة الفعلية من الانصارى الذى كان غريباً عن مكة والذى قد يكون يتشفى من المشركين الى رجل من قريش ليكون اكثر رحمة عليهم. أما الرسول فوضع خيامه عند الأبطح حتى جاءه الخبر أن مكة سلّمت فدخل الحرم، وطريقة التسليم وتكسير الاصنام .. معروفة عند المؤرخين.

فى طريق التنعيم يوجد مكان باسم الشهداء، ويقولون هذا مكان شهداء فخ، فهل هذا هو مقبرة شهداء فخ أم هم فى مكان آخر وهذا بقى باسمهم؟

لا. لا: هؤلاء (شهداء فخ) بعد عصر الإسلام ب ۱۵۰ سنة، ليس لهم علاقة بالفتح ولا بعهد الرسولصلى الله عليه و آله وهو رجل من بنى الحسن كان ثائراً اسمه الحسين بن على شهيد فخ. جاء ثاراً وقال: وإن كنت مطالباً ولكن أنا حاج ولست مقاتلًا الآن فخرج له القائد العباسى من ولد ابن عباس، واعطوا له الأمان وتعدى أحد الجنود وضربه بالنشاب وقتله، وثارت معركة وهى غير متكافئة فقتلوا، ومحل المعركة موجود وبنى عليه حيٌّ.

حول ما كتب عن تاريخ الحجاز.

التأريخ السياسى مستفيض، توجد رسائل كثيرة فى تاريخ الحجاز، فى العهد الايوبى فى العهد العباسى ..، إنما التأريخ المذهبى لم يتعرض له أحد خاصة فى الحجاز، كل سنة يتجمع الناس فى الحجاز، وكل مذهب يترك له بقايا ولو كانت

ص: ۲۰۵

قلیلة ثم تنتشر حتی وصل الامر عندنا فی المسجد الحرام إلی أن تقام أربع جماعات فیصلاة واحدة وهذا لا یرضاه رسول اللَّهصلی الله علیه و آله. أنت حنفی وأنا شافعی أُصلی وراءک وهذا مالکی حتی إذا کان جعفریاً أصلی وراءَه، لا یوجد فی ذلک مانع الرسولصلی الله علیه و آله له حدیث ما احفظ نصه تماماً معناه من قال لا_ إله إلا اللَّه واتجه الی قبلتنا وصلیصلاتنا فهو منا، فإذا هو منا. فلماذا لا نصلی معه؟ ثم لماذا لا تصلی وراء رجل اقام الإقامة واستقبل القبلة وکبر وقرأ الفاتحة وقرأ قل هو .. ورکع ورفع راسه وسجد وقام برکعة ثانیة وجلس وقرأ التشهد الأول وقام الی الرکعة الثالثة ثم سلّم ...صلّیصلاة کاملةً فلماذا لا تصلی معه الصلاة؟ هل ابتدع فیصلاته، او ارتکب بعض المخالفات مثلًا .. فإن کانتصلاته کاملة فلماذا لا یصل خلفه ولا تسأل عن مذهبه؟ فی زیارة بعض الاخوان لی اقترحت علیهم اقتراحاً وقلت: أنا لست من العلماء بل انا من تلامیذهم، ولکن أحیاناً یقترح التلمیذ علی استاذه وقلت: لو تشکل لجنة عالمیة اسلامیة وتدعو المذاهب حتی وإن کانت شاذة، وتبین أسباب الخلاف بینها ودرجاته، سواء کان خلافاً ظاهریاً کبیراً أو کان خلافاً متوسطاً أو طفیفاً. تطالب مثلًا أصحاب المذهب الشافعی وعلماءه والمتمسکین به فی الیمن ومصر وبعض مناطق الحجاز تطالبهم بتقدیم قائمةصغیرة بالاختلافات وما یریدونه، ثم انتم أیها الزیدیة ما هو الخلاف بینکم وبین الحنابلة أو بینهم وبین الجعفریة وبین هؤلاء والمالکیة ... اللجنة هی أیضاً یجب أن تتألف من عقول مرنة لیست متعصبة، فالتعصب فی الإسلام یعمی ویصم. الرسول قال یسروا ولا تعسروا. واللَّه یقول لرسولهصلی الله علیه و آله «ولو کنت فظا غلیظ القلب لانفضوا من حولک» ای لما بقی معک أحد. کان الرسولصلی الله علیه و آله یری خطأً ویبتسم، یری الرجل یصلی خطأ فلا یقول له انت لا تعرف الصلاة بل یُرشده الی الصحیح دون أن یخجله. دخل رجل غریب مسجداً وجعل المحراب

ص: ۲۰۶

خلفه وصلی وإذا بالمؤذن یذهب الی الإمام ویخبره واذا بالامام یقول له آه آه ویردعه بشدّة .. وقلتُ دع الرجل یسلم ثم خاطبه کما یقول الرسول بما یفهمه. ثم یا أخی کیف تقول لشخص توجه الی القبلة بصلاته انت لست مسلماً. أنا أعرف أن هناک جماعة التقریب ولکنهم کسالی أو اصطدموا .. فعلیهم وعلینا أن نشخص الداء أولًا ثم نُعطی العلاج له. فإذا استطعت أن تعالج الداء فلک أجر کبیر ومضاعف وان لم تستطع فقد کُتب لک أجر، فالمجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله عشرة.

نأمل أن تقوم دور التقریب فی القاهرة وطهران وفی غیرها بواجبها، وتتعرف علی أسباب الخلاف بین المذاهب وتقول کلمتها.

لم یک منظور السائل ما تفضلتم به، وإنما منظوره من الناحیة السیاسیة والتأریخیة وعن الناس الذین یعیشون فی الحجاز.

إن أوضح التواریخ سیاسیاً هو تأریخ الحجاز، کان بلداً جاهلیاً قامت فیه سلطة لقریش لیست دولة ولکنها سلطة علی الحرم وعلی أماکن أخری، ثم أتت الرسالة وکانت اول البلدان التی التفت حول الرسول وآخرها کما فی فتح مکة فی السنة الثامنة للهجرة. وبقیت موحدة فی عهد الخلفاء الراشدین ثم استقلت بلاد الحجاز ومصر وشیء من بلاد فارس فی عهد ابن الزبیر تسع سنین فصار ابن الزبیر وعبد الملک بن مروان خلیفتین، وبعدها انتهی الأمر الی عبد الملک بن مروان والدولة الأمویة. وکذلک الدولة العباسیة.

ولما تفککت الدولة العباسیة أو ضعفت قامت دولت الأشراف هنا، وکانت تابعة الی دولة کبری الی بغداد أو إلی القاهرة. بعدها أتت الدولة الفاطمیة وبعد هذا کله الدولة الأیوبیة التی حررت فلسطین من النصاری. وکان الحجاز- مع وجود دولة الأشراف- تابعاً الی الدولة الأمویة أو تستولی حوالی ۱۰۰۰

ص: ٢٠٧

سنـة عليهم اليمن، وجـاءت الدولـة العثمانيـة فی القرن العاشـر وصـارت دولـة قويـة ولم تـذهب وقـد ولـدتُ فی زمنهـا ثم جاء الحكم السعودی فی سنة ١٣٤٣ ه فهـذا تأريـخ واضـح. وحتی لو ذهب الحكم تبقی السـلالات، فالعباسـيون منهم فی الحجاز كثير، والأمويون منهم كثير أيضاً فی الشام ولبنان .. اعرف فلان العباسی وفلان الأموی وعندنا فی مكة ايضاً فلان العباسـی وفلان الأموی .. والاشـراف ايضاً موجودون، وعندهم ناس معروفون، ثم عندنا الحسـينيون هم السادة أما الحسنيون فهم الأشراف. وعندنا هنا طبيعة فی القبائل ففی كل قبيلة رجل يأمر وينهی وهو شـيخ القبيلة والدولة تخاطب الشيخ هذا، فإذا أرادت شخصين من القبيلة فلا يرسلوا مندوباً لجلب فلان وإنمـا يرسـلون الی شـيخ القبيلـة لإحضـار فلان، وكل قبيلـة فی ديارها، فالامير يطلب من شـيخ القبيلـة احضار فلان، وعنـدنا شـیء من الديمقراطيـة فالقبيلة لا تمتهن او ليس لها رأی، وشـيخ القبيلة ايضاً يجمع قبيلته للتشاور إن كانت هناك أزمة فی البلد، ويكونون ايضـاً حاضرين خاصة ايام الجهاد. وحتی أن والدی كان يحكی لی أن كل شيخ قبيلة كان يعرف قوة قبيلته. فيجمع مقاتلی قبيلته للجهاد.

إن الرابطـة موجودة ومـا زالت حيّـة بين افراد القبيلـة وإذا حـدثت أزمـة فی البلـد يقف الجميع، وإذا كان هناك جهاد ضـد عـدو تری القبائل تقدم المال والافراد لدعم المجهود الحربی فی عملية الجهاد تلك.

ورداً علی سؤال حول مِن هم أهل البيت؟ قال البلادی

إن هناك خلافاً بين المؤرخين حول أهل البيت. والشـیء الثابت بين الجميع أن أهل البيت هم علی وفاطمة والحسن والحسـين، ولكن بعض المؤرخين يضيفون أزواج النبيصلی الله عليه و آله إليهم وهناك من يضيف العباس وعقيل ..

عندنا نحن الشيعة أهل البيت (فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها) وهذا الحصر

ص: ٢٠٨

فيه روايات موجودة عندنا. وهؤلاء فقط هم المشمولون بآية التطهير «إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» وهو بحث قرآنى وتأريخى .. مفصل.

وإن السادة: كل من ينتسب الى هاشم جدّ النبى الأكرمصلى الله عليه و آله وعندنا بحث مفصل فى الفقه فى باب الخمس .. عن بنى هاشم.

إن سلالة بنى هاشم انحصرت بعبد المطلب.

هل الان تُخرجون الخمس من بيت المال؟

نعم هذا حكم شرعى عندنا. كما أن الزكاة حكم شرعى أيضاً عندنا.

وفى سؤال حول غار ثور، قال البلادى

نحن لسنا ملزمين بالذهاب الى كل أثر لرسول اللّهصلى الله عليه و آله بل نحن ملزمون بالآثار العبادية. فأنا أرى الغار من بعيد واعرف محلّه ولكن لم أصل إليه ولست ملزماً بالذهاب اليه، الرسول ذهب خائفاً مهاجراً ملتجئاً اليه.

ومن الناحية الجغرافية هو فى جنوب مكة، والقدماء أخطأوا حينما قالوا هو أسفل مكة، وهو الآن داخل الحرم وليس داخل مكة البنيان، البنيان يبعد عن الطريق.

بعض أصحاب الكتب التأريخية يقولون إنه يبعد ٣ كم عن مكة.

المقصود عن الكعبة لان المسافات تؤخذ من باب المسجد الحرام فهو يبعد ٣ كم عن الكعبة.

فلما يبعد ٣ كم عن الكعبة فهو إذن داخل مكة.

مكة تتسع فى الشمال ووصلت إلى ٧ كم فمسافة مكة من الشرق الى الغرب ٢٢ كم، ومن والشمال إلى الجنوب ١٠ كم حتى الحرم، سبحان اللّه يعنى الحرم من الشرق إلى الغرب حوالى ۴٠ كم وزيادة ومن الشمال الى الجنوب بحدود ١۴ كم

ص: ۲۰۹

أو ۱۸ كم وهو عبارة عن مستطيل طوله من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب.

لو كانت هناك محاضرات جيدة بين العلماء لحُلّت كثير من المشاكل الموجودة بين الفرق الإسلامية.

هـذا يرجع الى نشاط المؤسسات العلميـة، وأنا لحـد الآن ما رأيت حكومة تعرف هذا التقارب والاجتماعات بل هناك مؤسسات مثل رابطـة العـالم الاسـلامی فی الأردن، جمعيـة أهـل البيت فی سوريـا، ورابطـة العلمـاء فی ايران ومجمع التقريب، جماعـة العلماء. رابطة الأزهر، هؤلاء هم الـذين يقع عليهم الواجب. أما الحكومات فبعضـها لا يعرف الإسـلام من أين أتی. الإمام الخمينی رحمه الله وأربعة أشخاص أو خمسة قاموا بالسّنة وفرضوا الشريعة، لكن الاخرين لا يعرفون شيئاً.

الإمام الخمينی كانت عنـده فكرة ايجاد خنـدق واحد أساسه المدارس والحوزات العلمية ضد الكفر العالمی. ونحن كلنا مسـلمون كما قلتم من قال لا إله إلا اللّه وصلی الی الكعبة فهو مسلم وهم يدٌ واحدة علی من سواهم.

نعم ويتركون خلافـاتهم يحكم اللّه بهـا يوم القيامـة إذا مـا تمكنا من الاتفاق علی إزالتها الآن واللّه يقول «وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» (۱).

وإلا لماذا يكفر بعضـنا بعضاً؟ الكافر من أنكر شـيئاً من جوهر الإسلام، من أركان الإسلام. أما الذين يكتّفون أيديهم أو الذين يقولون آمين فهؤلاء ليسوا كفاراً، نحن نكتّف أيدينا. وهناك مذهب لا يكتف أبناؤه أيديهم فی الصـلاة، المالكية والزيدية لا يكتفون أيديهم .. فهل هؤلاء ليسوامسلمين؟ هذهِ اختلافات فی الفروع البسيطة والحمد للّهأركان الإسلام الخمسة لاخلاف فيها. أركان

۱- ۱ النحل: ۱۲۴.

ص: ۲۱۰

الايمان لا خلاف فيها. الكتاب المنزل واحد. وقد سمعت أن عندكم (الشيعة) زيادة، أو عندكم مصحف كبير غير هذا. أو أن الجعفرية يقولون ما عندكم (السنة) شیء من القرآن نحن عندنا مصحف ..

الجعفرية يا شيخ لا يقولون هذا وإنما الآخرون يتقولون عليهم بهذا .. نحن نسمع أن هناك مصحف فاطمة ونحن فی ايران لم نر مثل هذا الكتاب.

المصحف فی اللغة هو الكتاب الذی يحويصحائف، فالقرآن اطلق عليه المصحف اصطلاحاً. كما أن الاذان اصطلاحاً (اللّه أكبر ...) وحتی حين تنادی واحداً فهو أذان. أنا أعرف الكلام هذا، لقد أطلعت أحدهم علی كتاب تفسير محمد باقر الناصری وقلتُ له انظر بأی شیء بدأ؟ لقد بدأ بالفاتحة وهی سبع آيات. وانتهی ب (قل أعوذ برب الناس ...) ثم نظرنا داخل التفسير فوجدنا قال ابن عباس وقتادة ... هذا تفسير ونظرنا أيضاً الی تفسير الطباطبائی ووجدنا فيه سعة ذكر فيه الخلافات المذهبية، هو يقول هذا يجوز وهذا لايجوز، الذی يجوز عنده قد لا يجوز عندنا ..

إن شاء اللّه تتفضلون الی ايران ستجدون فی مكتباتنا الشخصية والعامة كل كتب السنة الفقهية والروائية ومنهاصحيح البخاری وفی مكتبتی الشخصية يمكن عندی ۱۵ دورة تفسيرية .. وكل ما فی مكتبتك هذهِ عندی فی مكتبتی ..

ولكن مع الأسف فی مكتبتكم لا يوجد شیء من كتبنا .. وتفاسير السنة التی عندی أكثر مما هی عندكم فی مكتبتكم هذهِ، تفسير القرطبی. تفسير فی ظلال القران. تفسير الطبری، ۱۱ دورة تفسيرية من السنة موجودة عندی ..

أنتم تتبعون الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو من أهل الرسالة والنبوة ..

فالمفروض أنتم ورثة القرآن.

نحن نقول لو كان فی مكتبكم كل كتب الشيعة لأمكنم الاطلاع علی ما عند

ص: ۲۱۱

الشیعة، فیمیز بین ما یؤمنون به وما اتهموا به. والعجیب أننا إذا ردّ بعض علمائنا تهماً وشبهات تثار حول الشیعة قال الآخرون إن هؤلاء أهل تقیة.

نعم إن قلتم هذه التهمة لیست عندنا، قالوا عنکم أنتم أهل تقیة.

عندنا تقیة ولکن الآن نحن لا نخاف من أحد، الشیعی یخاف من السنی فی زمن العثمانیین والصفویین فقد کانت هناک تقیة، فالسنة فی ایران کثیرون وفی مناطقهم کان هناک خوف، مشاجرة وخلاف بینهم تبعاً للخلاف بین الصفویین والعثمانیین فجرّ الخلاف الی السنة والشیعة وتوسع. وکان السبّ والشتم الموجود فی کتب السنة والشیعة لأسباب سیاسیة. فکان أصحاب هذهِ الکتب إما من العثمانیین ضد الشیعة وإما من الصفویین ضد السنة. أما الآن فلا یوجد خوف عندنا. والتقیة التی عندنا الیوم هی تقیة مداراة، وهذهِ وظیفة لنا، فعندما تدخل مسجداً لأبناء السنة- وحسب فتوی الإمام الخمینی- فعلیک أن تصلی وراءَهم، لهذا تری الایرانیین یصلون جماعة فی مساجد أبناء السنة توحیداً لصفوف المسلمین، کما أن اخواننا السنة یصلون فی مساجد الشیعة لأنه توحید لصفوف المسلمین فی خندق واحد ضد أعدائهم.

علی ما نقول نصل الی نتیجة حتمیة بأن کل الاختلافات التی بیننا کانت علی أساس تاریخی وسیاسیوالقلیل منها علی أساس دینی. فلو قسمنا الخلافات الی عظمی ووسطی وصغری، نجد أن العظمی هذه نتیجة سیاسیة، نتیجة للقتال بین معاویة وعلی.

تقول إن السیاسیین استغلوا الخلافات العقائدیة وأذکوها، هذه هی القصة.

والی یومنا هذا إذا تخاصمت دولة فی افریقیا وأخری فی آسیا، وصار کل منهما یرجح موقفه أنه هو الصواب ویصف الآخرین بأنهم کفرة وملحدون وأنه

ص: ۲۱۲

فقط هو المسلم.

كما تلاحظون فى العشر سنوات الأخيرة الكثير من الكتب تطبع ضد الشيعة.

لماذا تطبع مثل هذه الكتب وبالذات فى السنوات العشرة الأخيرة؟ وهذهِ الكتابات ضد ايران بعد نشوب الحرب العراقية الايرانية بعد أن قام العراق باعتدائه على الجمهورية الاسلامية وقد ساعدته كلّ الدول فى اعتدائه على ايران، وبدأت تكتب أيضاً ضد الشيعة. واتحدوا ضد الشيعة، وإلا فالخلاف تاريخياً بيننا وبين السنة حول الخلافة والولاية.

معنى هذا أن الصورة تكررت كما كانت بين العثمانيين والصفويين أيام الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وقد تبودلت الاتهامات بينهما، كل منهما ينسب الكفر والخيانة للآخر. وكما كان الحال فى الدولة العباسية والدولة الفاطمية، فترى من يقول: إن العبيدية كفرة، طيب كيف يتهمون بالكفر وهذا الأزهر ثمرة من ثمارهم وإن كان هو شافعياً وليس اسماعيلياً؟ وإن لم تكن لهم حسنة إلا بناء القاهرة والازهر لكفى فى اسلامهم هذا. قد يكون هناك شىء من الانحراف ولكن لان الدولة العباسية كانت المسيطرة وانها كما يقولون عنها ظل اللّه فى الارض فكانت تشتم وتتهم الدولة الفاطمية بالكذب والانحراف ... ولهذا يقول شاعر الفاطميين

تقول بنو العباس هل فتحت مصر؟! فقل لبنى العباس قد قضى الأمر نحن ندعوكم الى تعلم اللغة الفارسية.

نحن ندعوكم الى لغة القرآن أنتم تدعوننا الى لغة من؟

نحن نفتخر بأن نقول نحن أيضاً عرب أبناء الإسلام.

كانت هناك ندوة فى منى وقد اشتركتُ بها، وكانت ندوة جيدة، فأحد

ص: ۲۱۳

الخطباء قال نحن نقول العرب، ولا نقصد من ناحية الأب والأم إنما العرب بالإسلام، فأبناء الإسلام الذين يؤمنون بالنبيصلى الله عليه و آله وبالقرآن. فنبيهم عربى وقرآنهم عربى فهم ايضاً عرب.

فيلتحقون بهم.

فأنا قلت بعد نهاية الندوة للوزير، يا معالى الوزير عندنا رواية عن النبيصلى الله عليه و آله لابد من أن تسمعها فدعنى أقرأها لك:

فقال: اقرأها.

فقلت: عن النبيّصلى الله عليه و آله: علّموا أولادكم اللغة العربية فإنى عربى والقرآن عربى ولسان أهل الجنة العربية.

فنحن مهتمون بالعربية .. ولكن تعلم اللغة الفارسية تجعلكم تطلعون على ما عندنا من كتب بهذه اللغة، فإن كثيراً من الكتب غير مترجمة.

أنا كرأى شخصى بحت، أنا لا أمثل أحداً: ما دام قد ابتلينا بالدول الإسلامية وأنا من النوع الذى لو كان له رأى أو له كلمة أو له قدرة لدعوتُ الى دولة واحدة. والاسلام لن تقوم له قائمة ما دام أن كل دويلة تقطعها فى ساعتين بالسيارة، حتى أن بعض الدول حينما تبحث عنها فى الخارطة لابد لك من أن تستعمل مجهراً، وبعضها دولصغيرة فى قلب أوربا. لهذا فإن الاعداء يقضون عليها دولة دولة ويقضمونها دولة دولة ففى الاتحاد السوفيتى دول اسلامية متعددة، البوسنة والهرسك فى قلب اوربا، والدول الاسلامية عددها ۵۰ دولة لاتستطيع أن تقول كلمتها وتسمعصوتها وتقول هذاصح وذاك خطأ، تجد بعضاً منها جائعاً والبعض الآخر له مشاكل مع جيرانه، وبعضها بقايا شيوعية وبعضها حكامها ليس لهم همُّ الإسلام .. فلو هذا العالم دولة واحدة فلا تستطيع ان تقول الدولة العظمى هى امريكا أو تقف أمريكا ضده.

ص: ۲۱۴

هذا كلام الإمام الخميني: لو كنا نوحدصفوفنا فنحن أكبر دولة، فالإسلام ثلث العالم.

مساحة وسكاناً واقتصاداً أكبر من أمريكا، السكان ۱۰۰۰ مليون على أقل تقدير، وامريكا ۲۴۰ مليون، المساحة نصف آسيا ونصف افريقيا وجزء من أوربا أيضاً، البترول والقطن والبلح (التمر) والذرة والقمح ... كل هذا يُمكن أن يفيض عن الحاجة. لكن تجد دولةصغيرة ولابرميل بترول عندها وبجانبها دولة تسير أنهاراً من البترول ... فيه دولة القمح فيها كثير وأخرى ليس عندها شيء وتريد تلك عملةصعبة فهذا ليس هو الإسلام.

وجواباً عن سؤال حول تحريف القرآن:

هذا قلته: إن بعضاً يقول إن الإيرانيين أو الشيعة بالخصوص يقول إن القرآن محرف .. وأنا اطلعت بأن القرآن هو القرآن وليس هناك قرآن آخر.

نحن نأمل منكم ومن العلماء أن نوحدصفوفنا ونبحث في الخلافات، وبهذا نصل الى حلّ بعض الخلافات الموجودة في الناحية العقائدية في قصة الولاية والخلافة وفي الفروع الفقهية، وأن يتم البحث بكل حرية وتحترم آراء كلّ مذهب.

أنا اقول بعض الخلافات من النوع السياسي والبعض الآخر من النوع الديني. من الناحية السياسية انا اقول العالم الاسلامي يكون واحداً، وأما الاختلاف في المذهب فهذا أمر وارد ولا يتنافى والدولة الموحدة، بدليل أن هذه الدولة العثمانية الواسعة الكبيرة كانت فيها مذاهب ۶ أو ۷ فيالشام الاسماعيلية، في لبنان الجعفرية، وفي شرق الجزيرة وفي اليمن الزيدية، وهنا كانت الشافعية والحنفية، وفي نجد الحنابلة، وفي مصر الشافعية .. فهذه المذاهب كلها موجودة في داخل الدولة العثمانية وليس هناك خلاف على من يحكم. وإن كانت الصلاة في

ص: ۲۱۵

الحرم تؤدی من قبل عدّة أئمة هذا ما کان ینبغی أن لایحصل.

کم ساعة تشتغلون یومیاً مطالعة وتألیفاً ..؟

اللَّه سبحانه وتعالی یقول «وخلقکم أطواراً» قال العلماء الکثیر فی تفسیرها، أنا اری وأقول فی تفسیرها- وإن کان یخالف العلماء- أقول: إن الانسان یخلقصغیراً ویتحرک قلیلًا ثم لما یشب قلیلًا یبدأ یرکض ویلعب طول النهار ولا یطرحه إلا النوم، ولما یکبر ویتکلف بالعمل یظل یتضجر ویقول أنا أعمل کذا ولا أفعل کذا، ثم لما یصیر شاباً یتطلع الی الزواج والانجاب والبیت ویرید أن یسکن بیتاً وحده ومن ناحیة العمل تبدأ الطریقة نفسها. فأنا أول ما ابتدأت العمل الفکری، لا اعرف حالة اسمها الراحة، فأنام الساعة ۱۲ لیلًا وأقوم الساعة ۴ أُصلی الفجر، أربع ساعات فقط، وقد أنام ظهراً ساعة أو لا، وأشتغل الصبح والعصر. أما الآن فقد تغیر الوقت کثیراً.

هل تستفید من کتب المستشرقین؟

لا- أقرأ لهم. فبعد أن تکونت عندی فکرة کاملة حولهم، فلا- أقرأ لهم بل لا أقرأ حتی للطیب منهم. ولأنی أعرف ما یریدون؟ یکفی أنهم یشککون فی أن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله لم یولد عام الفیل حتی یقولوا أنه نبئ قبل الأربعین، وبالتالی فهو لیس نبیاًصحیحاً. فاللَّه سبحانه لم یجعله نبیاً قبل الاربعین. بل فی الاربعین فهو إذن لم یک النبیّ المطلوب. فهم جاءوا یقولون إن النبیصلی الله علیه و آله لم یولد عام الفیل بل بعده بسنتین حتی یصیر عمره عند النبوة أقل من أربعین وبالتالی فلیس هو نبیاً لأنه لم یبلغ الاربعین «انظر هذه الاستنتاجات». الآن هم یرکزون عندنا أن نترک الحدیث ونرتل القرآن الذی نزل من السماء وأن هذا هو الصحیح وإذا قلنا غیر هذا فنحن کفار. کل هذا یقولونه حتی اذا ثبت هذا فی أذهاننا وترکنا الحدیث ومسکنا علی القرآن یقولون طیب القرآن ما فیه کذا وکذا حتی یبعدونا عن السنة

ص: ۲۱۶

النبوية ويردونا عن ديننا كما يقول تعالى «حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا»، «ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم» كما أن عندنا من يريد أن يُرضيهم فيكتب التاريخ الميلادى دون الهجرى. بدعوى أن العالم لايعرف التاريخ الهجرى ونحن نشكل ألف مليون نسمة.

طيب نذكر الهجرى حتى يعلم العالم أن عندنا التأريخ الهجرى. ثم هم يحتاجون الى بترولنا الى معادننا .. فلنكتب كل ما يخصّ ذلك وغيره بالهجرى ليعلموا أن لنا تأريخاً خاصاً بنا كما تعلمنا نحن منهم بأن عندهم تاريخاً خاصاً لهم واذا كانت لنا شغلة أو قضية اول عمل نقوم به أن نرتبها عند الاوربيين او الامريكين ومن قبلهم، أما الموجود هنا فلا قيمة له.

*** هناك مصادر تأريخية للفريقين «الشيعة والسنة» تثبت أنّ ولادة الإمام على عليه السلام كانت فى داخل الكعبة.

الهوامش:

الحجّ قبل مائة سنة

ص: ۲۱۷

الحجّ قبل مائة سنة

عبد اللَّه المؤمن

عبد العزيز دولتشين وسفرته السرية إلى مكة

بادئ ذى بدء يَحسُن بنا أن نتعرف على البطاقة الشخصية لعبد العزيز دولتشين، حيث «ولد فى ۲۴ حزيران ۱۸۶۱ م فى عائلة ضابط فى الجيش الروسى. وقد شغل والد المؤلف مناصب هامة فى ادارة مناطق الاورال الجنوبية فى روسيا.

بعد التخرج من مدرسة الامبراطور بافل العسكرية فى بطرسبورغ، خدم عبد العزيز دولتشين خمس سنوات فى قلعة دينابورغ، وتعلم فى سنوات ۱۸۸۷– ۱۸۹۰ م فيصفوف اللغات الشرقية ... اللغات العربية والتركية والفارسية والانكليزية والفرنسية، ولم يسع وراء الوظائف العالية.

وعندما وردت مسألة ضرورة ترشيح ضابط من الجيش الروسى، لأداء فريضة الحج، بعد أن تمت دراسة هذه الممارسة وهل تشكل خطراً على مصالح روسيا العسكرية والسياسية فى الشرق؟ ... فقد تم ترشيح دولتشين لهذه المهمة،

ص: ۲۱۸

وبما أنه كان مسلماً، فقد اعتبر إمكانية أداء فريضة الحج منحة من القدر، ومهمة المأمورية فرصة لمساعدة الآلاف من اخوانه فى الإيمان؛ من المسلمين من رعايا روسيا، مساعدة فعلية فى أداء فريضة الحج، ...

وفى حياة دولتشين مرحلة خاصة ترتبط ببناء جامع بطرسبورغ حيث كان رئيساً للجنة بنائه، وقد جرى إرساء أساس الجامع فى ۳ شباط ۱۹۱۰ م.

ومن المؤسف أنه لم يتسنّ لنا أن نعثر على مواد تتعلق بمصير عبد العزيز دولتشين لاحقاً».

حدود الحجاز:

فى تقرير بعثه دولتشين عن المأمورية إلى الحجاز يذكر معلومات تمهيدية موجزة- كما تأتى تباعاً- عن الحدود بقوله: «الحجاز الذى تتّجه إليه حركة حجّ المسلمين إنما هو جزء من الجزيرة العربية يمتد شريطاً ضيقاً بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ... تحدّه من الشمال فلسطين، ومن الشرق نجد، ومن الجنوب اليمن ومن الغرب البحر الأحمر، واسم الحجاز من فعل حجز، أطلق حسب تفسير العرب، نظراً لوجود هذه المنطقة بين نجد والبحر الأحمر.

وبالنسبة لنا لا يتسم بأهمية غير القسم الجنوبى ۳/ ۱ من الحجاز حيث تقع مدينتا مكة المكرمة والمدينة المنور».

سطح الحجاز:

ومن ثم يصف لنا دولتشين طبوغرافية الحجاز بمكوناته من السلاسل الجبلية، والصخور الحادة الأطراف وبوديانه، حيث يقول فى ذلك: «الحجاز بلد جبلى جداً، سلاسل الجبال المؤلفة من كتل حجرية عارية، وغير العالية نسبياً

ص: ۲۱۹

(۱۰۰۰- ۳۰۰۰ قدم)، وأحياناً تتواجد بين الجبال- خاصة على مقربة من البحر-صخور مميزة حادة الأطراف.

والجبال تقطعها فجاج رملية خالية من الماء يسمون الواحدة منها «وادی»، وأهمها تتجه نحو البحر، وفی قاع هذه الفجاج فقط توجد ينابيع الماء النادرة فی الحجاز، فليس فی الحجاز نهر ولاحتی نهير، وماء الينابيع الذی يسيل هنا وهناك فی قاع الوادی ينفقونه فی الحال لری البساتين ومباقل الخضروات، والسكان الرحل يستعملون فی المعتاد الآبار والصهاريج التی تمتلئ بالماء السائل من الجبال أثناء الأمطار الغزيرة.

وأغنی الفجاج بالماء ومظاهر السيول هی وادی فاطمة، وادی الليمون، السيل الكبير قرب مكة، وادی الصفراء غربی المدينة المنورة.

إن منظر الحجاز هو على العموم واحد- كئيب وصارم ومرهق بقحله وانعدام الحياة فيه؛ ...

النباتات والحيوانات:

ثم ينتقل دولتشين فی تقرير رحلته الحجازية إلى نباتات الحجاز واصفاً ندرتها، وكذلك بالنسبة للحيوانات التی لاتتعديصنفاً من القرود، والثعالب، انظر إليه يقول: «الحجاز فقير جداً بالنباتات من جراء القيظ الخارق ونقص الرطوبة، ومن عداد النباتات الخشبية رأيت فی جميع الفجاج شجرة شائكة جداً من نوع الطلح اسمها الشوك ...

وبصورة اندر تقع العين على أصناف أخرى من النباتات، ومنها أم غيلان والسنط، وأقرب إلى البحر تقع العين على مجموعات كبيرة من نبات يشبه الايندرا كثيراً، ولكن مقاييسه كبيرة ويسمى العُشرّ.

ص: ۲۲۰

فى ضواحى مكة ينمو بأعداد كبيرة السنا المكى؛ وأوراقه معروفة فى البيع باسم «الورق الاسكندرى».

الحجاز الفقير بالنباتات فقير أيضاً بالحيوانات، ومن عالم الحيوان، رأيت شخصياً، بالشكل البرى، نوعاًصغيراً من القرود، والثعالب، ورأيت من الطيور الحمام والغراب، والقنابر الكبيرة والحدآن، يقولون: إنه توجد أيضاً ذئاب وضباع وظباء، ومن الطيور اللقلق والهدهد، وغيرهما».

حركة الحجّ فى الحجاز:

يصف دولتشين طرق المواصلات- فى زمنه- وما يتعرض له المسافرون من مخاطر وظروف خاصة، ونتيجة لذلك فالسفر يكون عادة نهاراً تجنباً لما لاتُحمد عُقباه، انظر إليه حيث يقول: «لإجل النقل يستعملون فى المعتاد بعيراً- جملًا للنقل، وفى هذه الحالة يشدّون إلى ظهره سلّتين (قفتين) لهما، لأجل التضليل، ضرب من خصين، ويسميان بالرحل، او يستعملون بعيراً خفيفاً (هجيناً) يشدّون على ظهره سرجاً فقط.

وعدا الرجال يوجد أيضاً ما يسمى «التختروان»- أى اكشاك معلقة بين عريشين طويلين، وتختروان يتطلب جملين للنقل غالباً ما يستبدلونهما نظراً لثقل هذه المنشأة الكبيرة، ولذا يكون النقل عليهما غالياً جداً، الامر الذى لايستطيعه سوى كبار الاغنياء.

ومن الجمال يؤلفون قوافل كبيرة نوعاً ما بقيادة «المقوّمين»! أما الهجائن، فيشكلون منها ركباً يقوده على طول الطريق كله شيخ ينتخبه المسافرون أنفسهم عند الانطلاق.

ونظراً لمخاطر الطريق، تسير القوافل عادة فى النهار، وتنطلق فى الصباح

ص: ۲۲۱

الباكر وتتوقف تبعاً لطول المرحلة، وتشكل جمال كلّ مقوّم مجموعة منفردة تصطف وفقاً لعرض الطريق، فى ثلاثة أو أربعة خطوط متوازية. وتسير المجموعات بحيث لا تكون بعيدة بعضها عن بعض.

والمقوّم نفسه يمضى على ظهير هجين؛ أما سواقوا الجمال، فإنهم يمضون دائماً سيراً على الاقدام مهما كان الطريق طويلًا، لأن الرحال (الشقادف) التى تشغل مكاناً كبيراً من حيث العرض غالباً ما تتصادم، فلا يندر أن يتعرض الجالسون فيها لانقلابات غير مستطابة ابداً.

وفى أوقات القيظ من السنة ينطلق الركب بحكم الضرورة ليلًا وذلك فى الساعة الواحدة أو الثانية، ويتوقف حوالى الساعة السابعة، ثم ينهض حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ويسير حتى الساعة ۸ أو ۹ مساء.

عادة تجرى حركة القوافل والركب فى غضون ۴- ۵ أشهر من الحج وفى شهر رجب حين يقوم سكان مكة بالحج إلى المدينة المنورة! أما فى الوقت الباقى، فيتوقف كلّ اتصال».

المحملان السورى والمصرى:

ودرءاً للمخاطر- مخاطرطريق الحج- يلجأ الحجاج منذ زمن سحيق- كما يقول دولتشين- إلى إرسال قوافل كبيرة كلّ سنة فى زمن الحج محمية بخفر قوى أو كما يقول: «نظراً لمخاطر الطريق، يلجأون من سحيق الزمان إلى إرسال قوافل الحجاج كلّ سنة إلى مكة والمدينة المنورة لمناسبة زمن الحج، بحيث تكون قوافل كبيرة جداً، ويحميها خفر قوى، ويسير على رأسها محمل.

أحد المحامل- المحمل السورى- ينطلق من دمشق، وعادة يقطع المحمل السورى الطريق الى المدينة المنورة فى غضون ۲۷- ۳۰ يوماً، ومن المدينة الى

ص: ۲۲۲

مكة فى غضون ۱۲ يوماً؛ وبعد انتهاء المراسم، يعود فى الحال الى دمشق بالطريق ذاته.

المحمل الآخر- المصرى- ينطلق من القاهرة، قبل أن يحتلّ الانجليز القطر المصرى، كان المحمل ينطلق فى طريق البر عبر السويس والعقبة والوجه وينبغ ورابغ الى مكة ويعود بالطريق ذاته، معرجاً على المدينة المنورة.

أما الآن فينقلون المحمل المصرى من السويس الى جدة بالباخرة، ويعيدونه عبر المدينة المنورة الى الوجه حيث تنتظره باخرة خاصة، ومع المحمل المصرى ينقلون «الكسوة» المهيّأة كلّ سنة فى القاهرة، وهى غطاء حريرى أسود لأجل الكعبة».

بين جدّة ومكة:

ويصف دولتشين الطريق بين جدّة ومكة بكونه أكثر السبل انتعاشاً حيث تتوفر فيها مخافر ومقاه أو كما يقول:

«الطريق بين جدّة ومكة هو أكثر السبل انتعاشاً وأنسبها فى الحجاز، وتحرسه على كلّ امتداده مخافر يضمّ كلّ منها ۱۰- ۱۲ رجلًا، وفى النقاط التى يتوفر فيها الماء، توجد سقائف من القصب، وهى ضرب من خانات قهوة أى مقاه يمكن الحصول فيها على القهوة والشاى.

وعلى طول الطريق، يستخرجون الماء من الآبار؛ وطعم الماء فى النصف الأول من الطريق حتى جدة غير مستطاب فى كل مكان.

وبمحاذاة الطريق ينطلق الخط التلغرافى الواصل حتى مكة على أعمدة جيدة من الحديد الصبّ ومنها عبر عرفات الى مدينة الطائف على اعمدة خشبية».

ص: ۲۲۳

بيوت مكة:

ثم يعرج دولتشين الى مكة واصفاً بيوتها ذات الطوابق الثلاث، التى بنيت بالهندسة المعمارية الاصلية، وذاكراً أن مادة بنائها الحجر المستورد، أو كما يقول:

«البيوت فى مكة مبنية فى المعتاد من ثلاثة طوابق، مع أنه توجد كذلك بيوت من ۴ أو ۵ طوابق، الهندسة المعمارية أصلية جداً، جميع الجدران تحفل بصفوف من نوافذ ناتئة تسمى «مشربية»، أما مادة البناء فهى الحجر والآجر المحروق، المرصوصان على الأغلب على الطين؛ وكذلك الخشب المستورد على الاغلب من جزر الزوند، والخشب الروسى (الألواح) المستورد من القسطنطينية.

والمشربيات تزينها من الخارج نقوش بديعة الرقة والإناقة أحياناً، ونتوء المشربيات يضعون فى داخله دواوين واطئة ومخدات؛ وبما أنه ابرد مكان فى الغرفة فإنه يشكل زاوية مفضلة».

الحياة الفكرية فى مكة:

يصف دولتشين الحياة الفكرية فى مكة بقوله: إنها تدنت كما كانت من قبل حضارة طليعية وثقافة رائدة، على الرغم من وصول بعض الجرائد المصرية والتركية، وكذلك بالنسبة إلى أن العرب حرفيون ممتازون، انظر إليه فى قوله:

«الحياة الفكرية عند هذا الشعب القدير واللطيف لم تتقدم منذ ذلك العهد المجيد، الذى كان فيه العرب يسيرون فى طليعة الحضارة، وليس هذا وحسب، بل على العكس تراجعت أيضاً؛ وتلك العلوم التى ابتدعوها وطوروها فيما مضى لفّها النسيان تماماً فى الوقت الحاضر، بل إن التعليم الاولى البسيط- مجرد القراءة والكتابة- محصور ضمن حلقة ضيقة جداً؛ وأشراف مكة الذين يقومون بدور قادة الحجاج اثناء القيام بمراسم الحج لايعرفون- بأغلبيتهم الساحقة- القراءة

ص: ۲۲۴

ولا الكتابة.

وفى المدارس الدينية المحلية، كما فى جميع المدارس الدينية فى أى مكان آخر، يعلمون العلوم الرتيبة الدينية ذاتها بتفاصيلها الدقيقة جداً وغير الضرورية، مزدرين المواد الضرورية كالحساب والجغرافية مثلًا.

يرد إلى مكة عدد تافه جداً من الجرائد المصرية وعدد أقل من الجرائد التركية؛ وفى الحال يصبح مضمونها معروفاً فى المدينة كلّها، نظراً لشدة تحرقها إلى الأنباء، وبالغ اهتمامها بالحياة السياسية للشعوب الأخرى.

يبقى أن أقول: إن العرب حرفيون ممتازون فى الشغل على الحجر وعلى الخشب، ويملكون ذوقاً رفيعاً جداً، ومبانى الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة تتميز بعمل بارع جداً».

معاش أهل مكة:

يصف دولتشين معاش اهل مكة بأنهم يعيشون على الحجاج، وتصبح مكة عند ورود الحجاج إليها سوقاً واسعة أو كما يقول: «يمكن وصف اشغال سكان مكة بإيجاز بالغ- أنهم يعيشون على الحجاج. كانت مكة مركزاً تجارياً لعموم الجزيرة العربية، وكان زمن الحج فى الوقت نفسه زمن السوق التجارية السنوية، وهذا الطابع بقى حتى الآن؛ وأثناء توافد الحجاج، تتحول المدينة إلى بازار هائل ينتشر من أبواب الحرم بالذات فى جميع الشوارع والأزقة.

علاوة على استيراد كمية كبيرة من المنتوجات المعيشية لتلبية حاجات جموع الحجاج البالغ عددها أكثر من مائة ألف، يستجلبون إلى هنا كمية كبيرة من شتى البضائع من القسطنطينية ومصر والبلدان المجاورة فى آسيا، وذلك مع قوافل الحجاج أو بالبواخر الى جدّة.

ص: ۲۲۵

(مصر): تقدم على الأغلب المنتوجات المعيشية: الحنطة، الفول، الشعير، الذرة الصفراء، العدس، الرز، السكر، زيت الزيتون، وما الى ذلك.

(سوريا): ترسل مع المحمل الدمشقى وبحراً، عبر بيروت، كمية كبيرة من البضائع الحريرية، والألبسة الحريرية الجاهزة، والمناديل المطرزة بالحرير، والفواكه المجففة، والفالوذة.

(بغداد والبصرة): ترسلان مع قوافل الحجاج البضائع الحريرية والصوفية والرز، والسمنة البقرية والسمنة الغنمية.

(بلاد فارس): ترسل السجاد والحصائر والعباءات وغير ذلك من البضائع الصوفية.

(الهند): ترسل البضائع المستعمرية، والآنية من النحاس والبورسلين، والمطبوعات والمرجان والمواد العلاجية والمواد العطرية، وفلافلها.

(اليمن): ترسل البن، وعين الشمس، والعقيق.

(جزر السند): ترسل الكندر.

أثناء الحج، لايتعاطى السكان المحليون وحدهم التجارة، بل يتعاطاها كذلك تجار قادمون كثيرون».

المسجد الحرام:

يصف لنا دولتشين عمارة المسجد الحرام فى مكة ويبين لنا أنه مبنى على طراز المساجد فى دمشق والقاهرة، وأنه عبارة عن ساحة شاسعة مربعة مخططة.

انظر إليه فى قوله: «حرم مكة الواقع فى قاع الوادى وفى وسط المدينة تقريباً مبنى بنفس التصميم، الذى بنيت به جميع المساجد القديمة فى دمشق والقاهرة؛ وهو عبارة عن ساحة شاسعة مربعة مخططة، محاطة من جميع الجهات برواق مسقوف؛

ص: ٢٢٦

ولكنْ هناك فرق واحد، هو أن الوجه الموجه إلى مكة فى المساجد العادية يكون أوسع، ويقام فيه محراب ومنبر، أما فى الحرم، فإن جميع الجهات متساوية من حيث العرض، والمحراب تحلّ محله الكعبة، والمنبر مقام فى مكان مكشوف فى وسط المسجد.

الرواق الذى يحيط بالمسجد يتألف من أعمدة أغلبيتها منتصبة فى ثلاثةصفوف، وموصولة بعضها ببعض بالأقواس ومغطاة بقبب غير كبيرة مخروطية الشكل، أرضية الرواق مرصوفة بصفائح حجرية؛ أما القسم المكشوف منه، فهو مغطى بالرمل فقط.

فى الزوايا الأربع وفوق الوجه الشمالى والوجه الشرقى، تنتصب سبع مآذن مبنية فى ازمان مختلفة وبأساليب هندسية معمارية مختلفة.

وللدخول إلى المسجد توجد أربعة أبواب كبيرة، من الواجهة الشرقية باب السلام؛ ومن الواجهة الجنوبية باب الصفا. من الواجهة الغربية باب ابراهيم، من الواجهة الشمالية باب الزندة؛ وعداها، يوجد ١٨ مدخلًاصغيراً.

الرقعة التى يشغلها المسجد ادنى من سطح الشوارع المحيطة، ولهذا يجب النزول بضع درجات مبنية تحت الابواب لإجل الدخول الى الحرم. وفى وسط الحرم تقريباً تنتصب الكعبة».

ثم يذكر دولتشين موقع الحجر الأسود وتاريخ بنائه مستطرداً ذلك بقوله:

«فى الزاوية (الشرقية) من الكعبة، من الخارج، يوجد حجر يكرمه المسلمون تكريماً خاصاً هو الحجر الأسود.

فى سنة ٩٢٩ م نقلوا الحجر الأسود إلى اليمن، وفى سنة ٩٥١ م أعادوه من جديد إلى مكة؛ وفى سنة ١٨٧٣ م وضعوه فى إطار فضى ضخم مستدير وثبتوه فى الجدار فى المكان المذكور اعلاه.

ص: ۲۲۷

المنظور من الحجر .. أن لونه قاتم مع تلوين ضارب إلى الأحمر، وعليه آثار شقوق، ونقر في الوسط، سطح الحجر مملس جداً من جراء لمسه من قبل الحجاج على مر القرون».

ثم يصف دولتشين موضع الركن اليماني بقوله: «في الزاوية (الجنوبية)، وعلى العلو ذاته- علو الحجر الأسود-، يوجد حجر مثبت آخر يكرمه المسلمون هو ايضاً، ويسمى باسم هذه الزاوية- ركن اليمن-».

ثم يصف لنا دولتشين مراحل التاريخ التي مرت على كسوة الكعبة، ووصف مكوناتها من الأقمشة الحريرية السوداء ومبلغ قيمتها كما يقول: «جدران الكعبة مكسوة من الخارج على كل علوها بقماش اسود يسمى الكسوة أو كسوة السعادة، وللمرة الاولى أخذ أحد حكام اليمن، ابو كرب أسعد، يغطي جدران المعبد دليلًا على الاجلال والتكريم الخاص، وفي عهد المأمون، كانوا يغيّرون هذه الكسوة المصنوعة آنذاك من قماش فاتح اللون ثلاث مرات في السنة، ولكن الملك المصري إسماعيل شرع في سنة ۱۳۴۹ م يرسل الكسوة من قماش أسود ويغيرها مرة واحدة فقط في السنة؛ وهذه العادة بقيت حتى الوقت الحاضر.

والكسوة عبارة عن قماش أسود حريري سميك جداً مخيط من ۸ قطع، ومطوق ثلثها الاعلى بآيات من القرآن الكريم موشاة بالذهب، وهذا القماش يصنعونه كلّ سنة في مصر بمبلغ خاص من أموال الأوقاف قدره ۴۵۰۰ ليرة مصرية، ويرسلونه إلى مكة المكرمة مع المحمل.

وكل سنة يجري تغيير الكسوة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة؛ وتوضع الكسوة القديمة تحت تصرّف نظار الكعبة، فيبيعها هؤلاء قطعاً من الحجاج؛ اما الكتابات بخيوط الذهب، فتوضع تحت تصرف الشريف؛ وفي السنوات التي يصادف فيها اليوم العاشر من شهر ذي الحجة يوم الجمعة

ص: ۲۲۸

يرسلون الكسوة الى السلطان فى القسطنطينية».

ثم ينتقل دولتشين فى وصفه البيت الحرام إلى ذكر الحطيم، الذى هو بشكل حدوة أو كما يقول: «من الوجه الشمالى، يلتصق بمبنى الكعبة حاجز غير عال، بشكل حدوة، يطوق مكاناً للصلاة يسمى الحطيم، والكعبة والحطيم مطوقان بدرابزين أهليلجى الشكل؛ وعبر هذه الفسحة المبلطة ببلاطات من المرمر يطوف الحجاج سبع مرات حول الحرم، قائمين بفريضة الطواف».

ثم ينتقل دولتشين خطوة أخرى قريبة واصفاً مقام إبراهيم عليه السلام بالهيكل البرونزى ضمنصندوق حديدى مرسل من مصر، أو كما يصفه: «من الجهة الشرقية، يوجد فى الدرابزين المذكور- الذى يطوق الكعبة والحطيم- باب الشيبة، واذا دخل المرء عبر هذا الباب الى مكان الطواف، فإنه يجد الى اليمين فى خط الدرابزين مقام ابراهيم عليه السلام وهو عبارة عن هيكل مصبّع برونزى كثيف فى داخله، ضمنصندوق حديدى مكسو بقماش حريرى مطرز بالذهب، مرسل من مصر مع الكسوة، حجر بقامة الإنسان، كان سقالة لابراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة».

أما بئر زمزم فيتحدث دولتشين عن شيء من تأريخه ومتى جفت وأن المأمون أجرى تعميقها فظهر الماء من جديد: «إلى شمال الباب، توجد عمارة خاصة ببئر زمزم المقدسة، فى سنة ۷۶۲ م، وفى عهد ابى جعفر المنصور بنيت عمارة فوق البئر وفى سنة ۸۳۸ م جفت البئر؛ وبأمر من المأمون جرى تعميقها فظهر الماء من جديد، وأخيراً فى- سنة- ۱۶۱۱ م بنى حول فتحة البئر حاجز حجرى عال؛ لأنه تواجد من كانوا يرمون بأنفسهم هناك قصد الانتحار.

يستقى الماء معاً أربعة أشخاص خصوصيين؛ يقفون على الحاجز ويعملون بدلاء جلدية موصولة بحبال طويلة ممررة عبر بكرات معدنية مثبتة فى اعلى.

ص: ۲۲۹

لماء زمزم طعم مرّ نوعاً ما؛ وهو يؤثر فى أناس كثيرين، كمسهّل خفيف وهو ساخن جداً عند استخراجه من البئر».

ثم يعرج دولتشين فى أثناء حديثه عن البيت الحرام إلى وصف الصفا والمروة، والأصل التاريخى لهما بقوله فى ذلك: «من الجانب الشرقى من الحرم يمتد شارع المسعى، ويصل بطرفه الشمالى الى جبل المَروة وبطرفه الجنوبى الى جبل الصفا، وينتهى عند الجبلين ببضع درجات واسعة فى اعلاها ساحةصغيرة، بين هذين الجبلين فتشت هاجر- زوج ابراهيم الخليل عليه السلام، وقد أضناها العطش- عن الماء راكضة من جبل الصفا الى جبل المروة ذهاباً وإياباً.

وفى المساء ينيرون الحرم وبعض أمكنة المسعى بعدد هائل من المصابيح؛ وهذه عبارة عن أنصاف كرات زجاجية معلقة فى سلسلة، وفى قاعها يسكبون الزيت ويضعون عوامات فيها فتيل».

سرّ الحج:

فى هذه الفقرة يحاول دولتشين أن يطرح بيننا فلسفةً للحج نابعة من ملاحظاته وتتبعه لسلوك الحجيج فيقول- بكلامنا: أن من الأسباب الأساسية للحج كون الحج فريضة إسلامية، والخلاص من الذنوب، واكتساب لفظة الحاج- كما يقول فى فلسفته، التى لا نتفق معه فيها كلية- انظر إليه وهو يتحدث عن نظرته هذه بقوله: «الاسباب الرئيسية التى تحمل على الحج كانت أساساً، بقدر ما استطيع أن اكوّن فكرة عنها، الرغبة فى اداء فريضة من فرائض الدين الالزامية الرئيسية، والايمان فى الخلاص من الخطايا- الأمر الذى يشكل بنظر المتدينين، ولا سيما فى سنوات الشيخوخة، سبباً هاماً جداً يجبر على القيام بهذه السفرة الصعبة، والمحفوفة بالمخاطر، ومن جهة أخرى، يعود بلا ريب بعض الدور إلى

ص: ۲۳۰

الغرور، ورغبـة المرء فی أن یکتسب فی وسطه بعض الـوزن والوقـار المتعلقین بلقب «الحـاج»، رغم أن هـذا اللقب بین المسلمین فی روسیا الداخلیـة لأبعد من أن یحظی الآن بذلک الاحترام، الذی کان یحظی به منذ ۴۰- ۵۰ سنهٔ، حین کانت الطریقصعبهٔ جداً، وحین کان السفر یتطلب مالایقل عن سنتین، وحین کان لایقدم علی الحج غیر عدد قلیل جداً ممن یحدوهم شعور دینی عمیق ویملکون ما یکفی من الأموال، وهذان العاملان نادراً ما یجتمعان عند مسلمینا.

ومع تطور البواخر والسکک الحدیدیهٔ أصبح من الممکن القیام بالسفرهٔ کلها فی غضون شهرین أو ثلاثهٔ، وبنفقات غیر کبیرهٔ، فتکاثر الحجاج کثیراً جداً، وبینهم لاینـدر أن یتواجد أفراد لایتمتعون بسمعهٔ طیبهٔ».

الطائف:

یذکر دولتشین بعد وصفه لمکهٔ مدینهٔ الطائف بأنها ذات مناخ معتدل وانها خالیهٔ من ریاح السموم، وأن الماء الجاری کثیر فیها، انظر إلیه متحدثاً: «إن القیظ الذی لایطاقصیفاً فی مکهٔ یجبر سکانها علی الذهاب إلی المدینهٔ- مدینهٔ الطائف- الواقعهٔ تقریباً إلی الشرق من مکهٔ.

تختلف مدینـهٔ الطـائف وضواحیهـا- بفضل موقعها العالی (علی ارتفاع ۵۱۵۰ قـدماً فوق سطح البحر)- اختلافاً شدیـداً عن سائر أنحاء الحجاز، وتتمیز بمناخ أکثر اعتـدالًا، وبغیاب ریاح السموم، وبوفرهٔ الماء الجاری، وبهطول الأمطار احیاناً کثیرهٔ نسبیاً؛ ولـذا تتواجـد تبعاً للظروف المذکورهٔ أعلاه، نباتات مغایرهٔ تماماً؛ فهنا الکروم وبساتین الموز والبرتقال والدراق والمشمش والرمان وغیر ذلک، والطائف تزود مکهٔ بخضروات لاتنبت فی أنحاء الحجاز الأخری.

تقع الطائف فی محلهٔ مکشوفهٔ، علی السفح الشرقی من جبل القری، وتحیط

ص: ۲۳۱

بها بساتين كثيرة يخصّ قسم منها سكان المدينة وقسم آخر بدو الضواحى، والطائف تشبه مكة من حيث الشوارع والبازارات ومعمارية البيوت، وحول الطائف ينتصب سور حجرى له ۳ بوابات يغلقونها ليلًا».

المدينة المنورة:

ثم يـذهب دولتشـين ونحن معه إلى وصف مدينـة الرسول عليه الصـلاة والسـلام موقعاً وسوراً محيطاً بها وشوارع وبيوتاً بقوله: «المدينة المنورة أو مدينة النبيصلى الله عليه و آله هى المدينة الثانية من حيث الكبر فى الحجاز، ومن حيث الأهمية فى العالم الإسلامى.

تقع المدينـة إلى الشـمال من انقاض مدينـة يثرب القديمة، وسط سـهل عريض يحيطه جبل أُحد من الشـمال وجبل خيبر من الجنوب، ويضـيق السـهل الى الغرب وينفتـح الى الشـرق، والمدينـة مطوقـة بسور حجرى تنتصب أبراج فى زواياه وقرب بواباته الاربع؛ وقـد بنى السور فى عام ۱۵۳۵ م.

وإذا دخلنا عبر البوابة الغربية للضاحية المسـماة «الانبارية» التى لايجيزون إلا عبرها دخول وخروج القوافل والركب، فإن العين تقع على شـارع عريض مخطـط باسـتقامة، وتنتصب فيه أعمـدة للمصابيـح من كلا الجانبين وبيوت كبيرة، وضاحيـة مناخيـة تتصل بالمدينـة عبر بوابتين، أهمهما البوابـة السورية التى تؤدى إلى شارع ضـيق، ولكنه أكثر شوارع المدينة المنورة انتعاشا وحركة؛ وهو يعبر المدينة كلّها وينتهى عند بوابة الحرم، وهناك شارع رئيسى آخر، أوسع بقليل، وتقوم فيه أفضل البيوت فى المدينة المنورة. القسم الباقى من المدينة تتقطعه فى اتجاهات مختلفة أزقة ضيقة موزعة بشكل شبكة مشوشة خارق التشوش.

الحجر هو مادة بناء البيوت هنا كما فى مكة، كذلك يستعملون الحمم

ص: ٢٣٢

(السائل البركانى) المتجمدة، التى تغطى كل السهل فى جوار المدينة المنورة، ومعمارية البيوت كما فى مكة، ولكن يبنون أيضاً فى الطوابق السفلى غرفة خاصة بدون نوافذ مزودة بمدخنة عريضة متصاعدة الى اعلى، وتجوز جميع الطوابق العليا، هذه الغرفة المسماة «القاعة» هى غرفة الاستقبال عند أهل المدينة لأنها من غيرها، وفى الطوابق العليا يبنون المشربيات؛ وعلى السطح يوجد مكان لاجل راحة الليلصيفاً والتدفؤ فى الشمس شتاء».

أخلاق ومعايش أهل المدينة:

ثم ينتقل حديث دولتشين إلى وصف أخلاق أهل المدينة، الذين يصفهم بالبشاشة والود والضيافة، أما سوق أهل المدينة فيشبه سوق مكة، ولكن أسعار السلع أغلى أو كما يقول: «يتألف السكان من عناصر متنوعة كما فى مكة، وسكان الحجاز الأصليون هم هنا، فى المدينة المنورة، أقل أيضاً مما فى مكة؛ وقد بدا لى عرب المدينة المنورة ألطف من سكان مكة؛ فهم بشوشون جداً، مضيافون، ودودون، مستعدون دائماً لمدّ يد العون عند الاقتضاء، رفاق ممتازون فى الطريق؛ وسكان الحجاز الآخرون يفسّرون على طريقتهم هذه السمات من طبع المدينة المنورة قائلين: إن بركة النبيصلى الله عليه و آله لاتزال تشملهم؛ لأنهم كرموه بعد الهجرة من مكة.

اشغال السكان فى المدينة المنورة تشبه أشغال السكان فى مكة جزئياً التجارة؛ وأساساً مختلف موارد الرزق من خدمة الحجاج.

البازارات فى المدينة المنورة عبارة عن نسخة غير كبيرة عن بازار مكة، وهى تتاجر بالبضائع ذاتها تماماً، ولكنها تبيع بأسعار أغلى بكثير، ونادراً ما تطرأ عليها التقلبات، نظراً لأن استجلاب البضائع أصعب ولأن العرض غير كبير،

ص: ۲۳۳

وبدرجة كبيرة جداً ترتفع أسعار مواد الضرورة الأولية المستجلبة من ينبع ومنها مثلًا الشاى والسكر، أما القمح والرز فإن المدينة المنورة تحصل عليهما جزئياً بفضل القوافل القادمة من منطقة ما بين النهرين؛ بينما ترد سمنة البقرة والضأن والدهن من نجد».

المناخ فى المدينة:

تتميز المدينة المنورة بحرارة أقل فى فصل الصيف- من مكة- وببرد محسوس فى فصل الشتاء كما يقول دولتشين: «تقع المدينة المنورة أبعد إلى الشمال وفى محلة مكشوفة، ولذا تتمتع بحرارة أدنى بعض الشىء فى فصل الصيف؛ وفى الشتاء يكون البرد، كما يقولون محسوساً جداً، ولربما بسبب الفرق الكبير بين حرارة الصيف وحرارة الشتاء، أو بسبب وفرة وقرب المياه الجوفية المتواجدة فى كل مكان، أو بسبب انتشار الآبار فى البيوت بالذات، تتخذ الملاريا فى المدينة المنورة شكلا خطيراً جداً، فاتكة بكثيرين من المرضى».

المدارس الدينية فى المدينة:

ثم يتحدث لنا دولتشين عن حال المدارس الدينية فى المدينة المنورة، التى يصفها بأن الدرس فيها لاينقطع حتى فى موسم الحج، وأما الدارسون فيها فهم من الاتراك والسوريين والتتر وغيرهم: «تسنى لى أن أطلع بمزيد من التفصيل على المدارس الدينية فى المدينة المنورة، حيث الدروس لاـتتوقف حتى فى زمن تجمع الحجاج، وكل ما اقوله هنا عن هذا النوع من المدارس يصح كذلك على المؤسسة التعليمية من هذا الطراز فى مكة التى لاتختلف الا من حيث قوام التلامذة؛ ففى مكة يشكل الماليزيون الأغلبية، وفى المدينة المنورة الاتراك

ص: ۲۳۴

والسوريون والتتر وغيرهم.

وفى المدينـة المنورة ۱۷ مدرسـة دينيـة تضم قرابة ۲۵۰ تلميـذاً، جميع مبانى المـدارس الدينيـة مبنيـة حسب طراز واحد- عمارة مربعة الزوايـا من طابق أو من طابقين مع حوش فى الوسط تطلّ عليه جميع ابواب غرف غير كبيرة- أى مساكن معـدّ كل منها لايواء شـخص واحد، وعدد هذه الغرف لايربو عادة على ۱۰- ۱۵؛ ...

فى عداد التلامذة يقبلون أبناء جميع القوميات ماعدا السكان المحليين، ومن جميع الأعمار، وفقاً لعدد الغرف الفارغة، دون السؤال عن المعارف التى يملكها طالب العلم.

تبدأ الدروس فى المدرسة فورصلاة الصبح، مع طلوع الشمس؛ وجميع التلامذة والعائشين فى المدرسة ملزمون بالاستماع إلى محاضرة واحدة من مدرّسهم، ثم يتصرفون بوقتهم كما يطيب لهم، دون أية رقابة.

ولكل من يعيش فى المدرسـة الدينيـة مفروشاته ولوازم منزلية بسـيطة، وهو يهتم شخصـياً باعداد الطعام لنفسه، وحوالى الساعة ۹ مساء تقفل المدرسة ابوابها؛ وقبل ذلك يعود الجميع فى المعتاد الى غرفهم».

جدة:

ويسـتمر دولتشـين فى حـديثه منتقلًا وواصـفاً مدينـة جـدة، التى هى أهم مرفـإ على البحر الأحمر، وهى ممر الحجاج الرئيسـى، ويكون مناخهـا سـيئاً جـداً ومياههـا غير مسـتساغة الطعم، فهو يقول: «جـدة أهم مرفـءٍ على ساحـل البحر الأـحمر؛ وعبره تمرّ حركـة الحجـاج الرئيسية، سواء عند نزولهم على ساحل الجزيرة العربية أم فى طريق العودة إلى الوطن، تشبه جدّة مكة شبهاً كبيراً من حيث طابع

ص: ۲۳۵

عماراتها ومواقع الشوارع والبازارات والحالهٔ الصحيهٔ.

يعتبر مناخ جدّهٔ سيئاً جداً، غيرصحى من جراء التبخرات الشديدهٔ من البحر، والحمّى هى المرض السائد.

فى الوقت الحاضر تستعمل جدّهٔ مياه نبع مجرورهٔ الى المدينهٔ من الجبال القريبهٔ، ولكن الماء لاتتميز بطعم مستطاب».

تمت بـذلك بعضُ ملاحظات دولتشـين وآرائه عن الحـج فى رحلته هذه وذلك فى السـنهٔ ۱۸۹۸ م الى السـنهٔ الميلاديهٔ ۱۸۹۹ م بكل ايجابياتها وسـلبياتها ومخاطرها وطبيعتها، التى اتخـذت طابعاً سياسـياً مغلّفاً بالـدين إنصحّ القول، وقد تم تلخيص هذه الرحلهٔ من كتاب الحج قبل مئهٔ سنهٔ.

عبد اللّه بن عباس

ص: ۲۳۶

عبد اللّه بن عباس

ايماناً وجهاداً وعلماًمحسن الأسدى

عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. كنيته أبو العباس وقيل أبو عبد الرحمن. لقبه الهاشمى والقرشى. شهرته حبر الأمة.

أُمّه أمّ الفضل أخت ميمونة زوج النبيّصلى الله عليه و آله و سلم. اسمها لبابة الصغرى الهلالية (۱) بنت الحارث بن حزن من بنى عامر بنصعصعة.

فى السنة الثالثة قبل الهجرة (۲) المباركة جاء العباس عمُّ النبيّصلى الله عليه و آله و سلم وهو يحمل وليده فى خرقة متجهاً به نحو النبيّصلى الله عليه و آله و سلم ليضعه بين يديه المباركتين فضمّه اليه وحنكه بريقه (۳). كان ذلك أيام كان رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته وصحبه محاصرين بالشعب، شعب بنى هاشم فى مكة (۴). توفى رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وابن عباس ابن ثلاث عشرة سنة. يقول عن نفسه: راهقت الاحتلام فى حجة الوداع.

صفته:

كان ابن عباس أبيض طويلًا مشرباًصفرة جسيماً وسيماًصبيح الوجه له

۱- ۱ الإصابة ج ۴ص ۱۲۲. مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ص ۲۹۳. حلية الأولياء ۳۱۴.

۲- ۲ الإصابة ج ۴ص ۱۲۲. مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲ص ۲۹۳. حلية الأولياء ۳۱۴.

۳- ۳ التاج الجامع للاصول للشيخ منصور على ناصيف ج ۳ص ۳۶.

۴- ۴ الإصابة ج ۴،ص ۱۲۲.

ص: ۲۳۷

وفرة يخضب بالحنّاء. هذا ما وصفه به ابن مندة. أما ما قاله أبو إسحاق:

رأيتُ ابن عباس رجلًا جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمّة (۱). وكان إذا قعد أخذ مقعد الرجلين، وكان يخضب بالسواد، ويسمى الحبر والبحر لكثرة علمه وحدّة فهمه (۲).

من دعاء رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم له:

– اللهم أعطه الحكمة وعلّمه التأويل.

– اللهم فقّه فى الدين وعلّمه التأويل.

ومما قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم له: «يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك اللّه بهن؟

احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده أمامك، تعرف الى اللّه فى الرخاء يعرفك فى الشدّة، إذاسألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه، فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه اللّه عزّ وجلّ لك لم يقدروا عليه، وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه اللّه عزّ وجلّ لك لم يقدروا عليه، فاعمل للّهتعالى بالرضا فى اليقين، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» (۳).

قالوا فيه:

قال الإمام على عليه السلام فيه: إنه لينظر الى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته.

خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسّر، فقال رجل: لو سمعت فارس والروم لأسلمت. وعندما قرأ ابن عباس سورة النور وجعل يفسرها قال فيه الخليفة الثانى عمر: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت. ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

۱– ۱ العقد الفريد ج ۴ص ۱۲۳.

۲– ۲ مختصر تاريخ دمشق ج ۱۲،ص ۲۹۶– ۲۹۷.

۳– ۳ حلية الأولياءص ۱/ ۳۱۴. مختصر تاريخ دمشق ۱۲ص ۳۰۰.

ص: ۲۳۸

قال فيه ابن عمر: لقد أوتى ابن عباس علماًصدقاً.

عن عطاء: مارأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس وأكثر فقهاً، وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع.

وعن مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس؛ فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس. (۱) من أقواله في نفسه:

عن عبداللّه بن بريدة، قال: شتم رجل ابن عباس، فقال: إنك لتشتمنى وفيّ ثلاث: إنى لأسمع بالحاكم من حكّام المسلمين يعدل فى حكمه فأحبه، ولعلّى لا أقاضى عليه أبداً. وإنى لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالى به سائمة ولا راعية. وإنى لآتى على آيةٍ من كتاب اللّه تعالى فوددتُ أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم (۲).

من حكمه وأقواله:

- مفهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا.

- ذَلَلتُ طالباً فعززت مطلوباً.

- ومن أقواله الدقيقة والجميلة في الغوغاء، .. والغوغاء: الدّبا وهيصغار الجراد، وشُبّه به سوادُ الناس. قال فيهم بعد أن ذُكر الغوغاء عنده: ما اجتمعوا قط إلاـ ضرُّوا، ولا افترقوا إلا نفعوا. قيل له: قد علمنا ما ضرّ اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟ قال: يذهب الحجّام إلى دكانه، والحدّاد إلى أكياره، وكلصانع إليصناعته.

۱- ۱ يراجع فى ذلك وفى غيره- تاريخ الإسلام .. للذهبى فى حوادث سنة ۶۰- ۸۰ ترجمة عبد اللّه بن عباس- مختصر تاريخ دمشق- البداية والنهاية .. حلية الأدباء- طبقات ابن سعد وغيرها من المصادر.

۲- ۲ الإصابة ۴/ ۱۲۹، مختصر تاريخ دمشق ۱۲/ ۲۹۳ ...

ص: ۲۳۹

– وفی فضل الصداقهٔ علی القرابهٔ قال: القرابهٔ تقطع والمعروف یُکفر، وما رأیت کتقارب القلوب.

– لا تحقرنّ کلمهٔ الحکمهٔ أن تسمعها من الفاجر ... ربّ رمیهٔ من غیر رام.

– لا تمار سفیهاً ولا حلیماً فإن الحلیم یغلبک والسفیه یزدریک.

– اذکر أخاک إذا غاب عنک بما تحب أن یذکرک به، ودع منه ما تحب أن یدع عنک.

– الدنیا العافیهٔ، والشباب الصحهٔ.

– من لم یجلس فی الصغر حیث یکره، لم یجلس فی الکبر حیث یحب.

وله قول فی الشعر: الشعر علم العرب ودیوانها؛ فتعلموه، وعلیکم بشعر الحجاز.

وکان ابن العباس فی طریقه من البصرهٔ الی الکوفهٔ یحدو الأبل ویقول:

أوبی إلی أهلکِ یارباب أوبی فقد حان لکِ الإیابُ وقال لما کفّ بصره:

إن یأخذ اللّه من عینیّ نورهما ففی لسانی وقلبی منهما نورُ

قلبی ذکیّ وعقلی غیرذی دخَلٍ (۱) وفی فمیصارم کالسیف مأثور ومن طریف أقواله:

أصیبت إحدی عینیه فنحل جسمه، فلما أصیبت الأخری عاد إلیه لحمه، فقیل له فی ذلک، فقال: أصابنی ما رأیتم فی الأولی شفقهً علی الأخری، فلما ذهبتا اطمأن قلبی (۲).

ماقیل فیه من شعر:

قال فیه حسان بن ثابت (۳):

۱– ۱ الدخل: الفساد والغیبهٔ. البدایهٔ والنهایهٔ للحافظ ابن کثیر ۸/ ۳۰۵.

۲– ۲ البدایهٔ والنهایهٔ لابن کثیر ۸/ ۳۰۴.

۳– ۳ دیوان حسان بن ثابت.

ص: ۲۴۰

كفى وشفى ما فى الصدور ولم يدع لذى إربةٍ فى القول جدّاً ولا هَزلا

سموتَ إلى العليا بغير مشقةٍ فنِلتَ ذُراها لا دنيّاً ولا وغلا

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له فى كلّ مجمعه فضلًا

إذا قال لم يترك مقالًا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلًا وفى كتاب الجليس للمعافى من طريق ابن عائشة عن أبيه: نظر الحطيئة الى ابن عباس فى مجلس عمر وقد فرع بكلامه، فقال: من هذا الذى نزل عن القوم بسنه، وعلاهم فى قوله؟

قالوا: هذا ابن عباس، فأنشأ يقول:

إنى وجدتُ بيان المرء نافلةً يهدى له ووجدت العَىَّ كالصّمم

المرء يبلى ويبقى الكلمُ سائرةً وقد يُلامُ الفتى يوماً ولم يَلُم وقال فيه معاوية (۱):

إذا قال لم يترك مقالًا ولم يقف لعىّ ولم يثن اللسان على هجر (۲)

يُصرّف بالقول اللسانَ إذا انتحى وينظر فى أعطافه نظر الصقر من وصاياه:

عن عكرمة قال سمعت عبد اللّه بن عباس يقول لابنه على بن عبد اللّه:

ليكن كنزك الذى تذخره العلم، كن به أشدّ اغتباطاً منك بكنز الذهب الأحمر، فإنى مودعك كلاماً إن أنت وعيته أجمع لك به أمر الدنيا والآخرة.

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، ويقول فى الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى فيها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغى الزيادة فيما بقى، ويأمر بما لا يأتى، يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض الجاهلين وهو أحدهم ... (۳)

۱- ۱ العقد الفريد ۲/ ۱۳۰.

۲- ۲ الهجر الهذيان، والقبيح من الكلام.

۳- ۳ انظر الأمالى للشيخ المفيد ص ۳۳۰. هذه الوصية تشبه ماورد عن الإمام على عليه السلام مع اختلاف فى الألفاظ وزيادة فيها، وقد ذكرها الحرانى فى تحف العقول ص ۱۰۵- ۱۰۶ تحت عنوان موعظته عليه السلام ووصفه المقصرين. ط ۵. منشورات مكتبة بصيرتى.

ص: ۲۴۱

حياته:

كان ابن العباس فى طفولته برعماً من البراعم الإيمانية، التى ارتوت من ينبوع الرسالة العذب، فقد احتضنته المدرسة النبويةصغيراً، وتربى فى كنفها تزقه العلم والأدب والأخلاق. لتجعل منه عالماً مجاهداً فى شبابه وكهولته من أجل المبدإ والعقيدة، ومثلًا إيمانياً رائعاً يقتدى به الآخرون.

إن من المعالم الشاخصة فى حياة ابن عباس: العقيدة الراسخة، والمؤهلات النادرة التى منها عقليته المتزنة، وذكاؤه الحاد، وحافظته المبكرة، فغدا بكلّ هذا عالماً ملئت كتب التفسير والحديث والتاريخ بآرائه ورواياته ومحاوراته. كما أن شجاعته تشكل هى الأخرى معلماً واضحاً فى شخصيته، جعلته يؤدى واجبه الجهادى فى ميادين القتال على خير ما يؤدى الشجاع واجبه القتالى، ناهيك عن لباقته وسرعة بديهيته وقدرته العجيبة على المحاورة السياسية والمناظرة العلمية، التى قلّ مثيلها، والتى تكشف عن علم واسع، ومعرفة دقيقة، وخبرة عميقة، وحجة قوية يتصف بها الرجل. كما أنصفتى الأناة والحلم كانتا من مميزات ابن عباس، فالشجاعة هذهِ الصفة التى تدعو الى الإقدام والاندفاع قد يتصف بها كثيرون لكنها إذا ما تعانقت معصفتى الحلم والأناة تكونصفة عظيمة محمودة، وتدل بالتالى على كمال النفس وعظمتها وعلو همتها، وهذا ما كان لابن عباس.

ففى الوقت الذى كان فيه رجل سياسة وبطل حوار، وصاحب بصيرة ورأى ونظر، كان رجل حرب؛ لهذا نرى الإمام علياً عليه السلام قد اتخذه وزيراً له وقائداً ميدانياً يقود جبهة من جبهات القتال حينما تشتد ضراوة المعارك، فميسرة الجيش فى حربصفين كانت له قاتل فيها قتالًا شديداً، وفى معركة الجمل كان على مقدمة جيش الإمام على عليه السلام وهكذا فى النهروان ..

يرمى به الإمام عليه السلام مقاتلًا كما يرمى به محاوراً سياسياً بارعاً، ففى وقعة

ص: ۲۴۲

صفين حينما لم يكن بدٌّ من التحكيم، انظر كيف يصفه الإمام عليه السلام:

(إن معاويـة لم يكن يضع لهـذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ... فعليكم بعبد اللّه بن عباس فارموه به؛ فإن عمراً لا يعقد عُقدة إلا حلّها عبد اللّه، ولا يحلّ عقدة إلا عقدها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه ولا ينقض أمراً إلا أبرمه) (۱).

وفی كلام آخر له فی شأن الحكمين قال ... فادفعوا فيصـدر عمرو بن العاص بعبد اللّه ابن عباس. وفی هذا يقول ابن أبی الحديد: يُقال هـذا لمن يرام كفّه عن أمر يتطاول له: ادفع فيصدره، وذلك لأن من يقدم على أمر ببدنه فيدفع دافع فيصدره حقيقة فإنه يردّه أو يكاد، فنقل ذلك الى الدفع المعنوی.

هذا فی حربه وسياسته وأما فی محاوراته فقد جرت بينه وبين الخليفة الثانی وعائشة والزبير وطلحة ومعاوية ويزيد وعتبة بن أبی سفيان وعمرو بن العـاص، ومروان بن الحكم وعبـد الرحمن بن الحكم وزيـاد بن أبيه وابن الزبير والمغيرة وغيرهم جرت بينه وبينهم مناظرات واحتجاجات كثيرة، كانت له الحجة عليهم. ومن جميل مناظراته وهی كثيرة، هذه التی جرت بينه وبين الخليفة الثانی:

قال عمر يا ابن عباس أتدری ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيبه. فقلت: إن لم أكن أدری فأمير المؤمنين يدرينی.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجَّحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووُفِّقت.

فقلت: ياأمير المؤمنين إن تأذن لی فی الكلام وتمط عنی الغضب تكلمتُ.

فقال تكلم يا ابن عباس:

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسـها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار اللّه عزّ وجلّ لها لكان

۱- ۱ وقعةصفين لنصر بن مزاحم- منشورات مكتبة المرعشی.ص ۵۰۰

ص: ۲۴۳

الصواب بيـدها غير مردود ولاـ محسود. وأمـا قولـك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن اللّه عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال:

«ذلـك بأنهم كرهوا ما أنزل اللّه فأحبط أعمالهم» (۱) فقال عمر، هيهاتَ واللّه يا ابن عباس قـد كانت تبلغنى عنك أشـياء كنت كرهت أن أقرّك عليها فتُزيل منزلتك منّى.

فقلت: وماهى يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقّاً فما ينبغى أن تزيل منزلتى منك، وإن كانت باطلًا فمثلى أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغنى أنك تقول: إنماصرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أمـا قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقـد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسـداً فإن إبليس حسـد آدم ونحن ولـده المحسودون (۲).

ومن محاوراته التى استطاع بها أن يلقى الحجة على الخوارج فعاد منهم ألفا رجل وبقى أربعة آلاف على عنادهم:

لمّا أعلن الخوارج حربهم على على عليه السلام، وقبل أن يحاربهم وجّه إليهم عبد اللّه بن عباس، فلماصار إليهم رحّبوا به وأكرموه ...

قالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟

قال: جئتكم من عندصهر رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وابن عمّه، وأعلمنا بربّه وسنة نبيّه، ومن عند المهاجرين والأنصار.

فقالوا: إنا أتينا عظيماً حين حكّمنا الرجال فى دين اللّه؛ فإن تاب كما تُبنا، ونهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا.

فقـال ابن عبـاس: نشـدتكم اللّه إلاـ ماصـدقتم أنفسـكم، أمـا علمتم أن اللّه أمر بتحكيم الرجـال فى أرنب تسـاوى ربع درهم تصاد فى الحرم، وفى شقاق رجل وامرأته؟

۱- ۱ سورة محمد: الآية ۹.

۲- ۲ عبد اللّه بن سباص ۱۴۴- ۱۴۵ للسيد العسكرى.

ص: ۲۴۴

فقالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم اللَّه هل علمتم أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أمسک عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحُديبية؟

قالوا: نعم، ولكن عليّاً محا نفسه من خلافة المسلمين.

قال ابن عباس: ليس ذلک يزيلها عنه وقد محا رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم اسمه من النبوة، وقال سُهيل بن عمرو: لو علمتُ أنک رسول اللَّه ما حاربتک، فقال للكاتب: اكتب «محمد بن عبداللَّه». وقد أخذ عليٌّ على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره.

قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى عليّ.

قال: فأيهما رأيتموه أولى فولّوه.

قالوا:صدقت.

قال ابن عباس: ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف (1).

كما أن من معالم شخصيته أنه كان أديباً شاعراً وخطيباً بليغاً، فبعد أن أنهى الإمام على خطبته قبل معركةصفين محرضاً أصحابه على القتال، قام ابن عباس خطيباً يبين أحقية على وجبهته وباطل معاوية وجبهته فى كلام بليغ جميل يدل على عمق إيمانه وعظيم بيانه وسعة معرفته ودقة وعيه، وأنه على بصيرة من أمره:

الحمد للّهربّ العالمين، الذى دحا تحتنا سبعاً، وسمک فوقنا سبعاً؛ ثم خلق فيما بينهنّ خلقاً، وأنزل لنا منهنّ رزقاً، ثم جعل كلّ شىء يبلى ويفنى غير وجهه، الحيُّ القيوم الذى يحيا ويبقى. ثم إن اللَّه بعث أنبياء ورسلًا فجعلهم حججاً على عباده، عُذراً أو نُذراً، لا يطاع إلا بعلمه وإذنه، يمنّ بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، ويعصى [بعلم منه] فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا

۱- ۱ العقد الفريد ج ۲ص ۲۳۳.

ص: ۲۴۵

يبلغ شـیء مكانه، أحصى كلّ شیء عدداً، وأحاط بكلّ شیء علماً. ثم إنی أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريک له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولهصلى اللّه عليه، إمام الهدی والنبیّ المصطفی. وقد ساقنا قدر اللّه إلی ما ترون، حتی كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمهٔ وانتشـر من أمرها، أنّ ابن آكلـهٔ الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً علی علی بن أبی طالب، ابن عمّ رسول اللّه وصـهره، وأوّل ذكرٍصلی معه، بدریّ قد شهد مع رسول اللّهصلى اللّه عليه كلّ مشاهده التی فيها الفضل. ومعاويهٔ وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام. واعلمـوا واللّه الـذی ملک الملـک وحـده فبـان بـه وكـان أهلـه، لقـد قاتـل علیّ بـن أبی طـالب مـع رسـول اللّهصـلى اللّه عليه، وعلی يقول:صـدق اللّه ورسوله. ومعاويـهٔ وأبو سـفيان يقولان: كذب اللّه ورسوله. فما معاويهٔ فی هذه بأبرّ ولا أتقی ولا أرشد ولا أصوب منه فی قتالكم.

فعليكم بتقـوی اللّه والجـدّ والحزم والصـبر، وإنكم لعلی الحق وإن القـوم لعلی الباطـل. فلاـ يكونن أولی بالجـدِّ فی بـاطلهم منكم فی حقكم. أمـا واللّه إنا لنعلم أن اللّه سيعذبهم بأيـديكم أو بأيـدی غيركم. اللهم ربنا أعنّا ولا تخـذلنا، وانصـرنا علی عـدونا ولا تخلّ عنا، وافتـح بيننـا وبين قومنـا بـالحقّ وأنت خير الفـاتحين. والسـلام عليكم ورحمـهٔ اللّه وبركـاته أقول قولی وأسـتغفر اللّه لی ولكم. (۱) قال معاويـهٔ لعمرو بن العـاص: إن رأس النـاس بعـد علی هو عبـد اللّه بن عبـاس، فلو ألقيتَ إليه كتابـاً لعلک ترققه به، فإنه إن قال شـيئاً لم يخرج علیّ منه، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل الی العراق إلا بهلاک أهل الشام. قال عمرو: إن ابن العباس لا يُخدع، ولو طمِعت فيه لطمعت فی علی فقال معاويهٔ: علیّ ذلک، فاكتب إليه كتاباً فی ذلک وكتب فی أسفله شعراً، كان أوله:

طال البلاءُ وما يرجی له آسٍ بعد إلاله سوی رفق ابن عباس فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتی به عليّاً فأقرأه شعره فضحک وقال: «قاتل

۱- ۱ وقعهٔصفين لنصر بن مزاحمص ۳۱۸، منشورات مكتبهٔ المرعشی.

ص: ۲۴۶

اللّه ابن العاص، ما أغراه بک يا ابنَ عباس، أجبه ..»

فكتب ابن عباس (... وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلى، ابتدأها علىٌّ بالحق وانتهى فيها الى العذر، وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها الى السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام. بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه. ولست أنا وأنت فيها بسواء أردتُ اللّه وأردتَ أنت مصر ... فإن ترد شرّاً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لاتسبقنا إليه) (۱).

ومن شعره الذى ردّ فيه على ابن العاص حين خدع أبا موسى الأشعرى فى قصة التحكيم:

كذبت ولكن مثلك اليوم فاسقٌ على أمركم يبغى لنا الشرّ والعزلا

وتزعم أن الأمر منک خديعةٌ إليه وكلّ القول فى شأنكم فضلًا

فأنتم وربّ البيت قدصار دينكم خلافاً لدين المصطفى الطيب العدلا

أعاديتم حبّ النبىّ ونفسه فما لكم من سابقاتٍ ولا فضلًا

وأنتم وربّ البيت أخبث من مش علىالأرض ذانعلين أو حافيًلا رجلًا

غدرتم وكان الغدر منكم سجيّةً كأنلميكن حرثاً وانلميكن نسلًا (۲) إن أعمال الرجل ومواقفه وخطبه وكتبه وأشعاره، التى تجلّى فيها ولاؤه المخلص والصادق للإمام على عليه السلام بقدر ما جعلته أقرب الناس الى على وآثرهم عنده، جعلته عرضة للإتهام والطعن لا ـ لشىء إلا بسبب تلك المواقف وذلک الولاء الذى شهد به الأعداء فضلًا عن الأصدقاء، ولاء متين ثابت نابع من (على مع الحق والحق مع على). فهو إذن وليد العقيدة الحقّة.

دقته العلمية:

لقد كان ابن عباس دقيقاً فيما ينقل عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وفيما يقول ويطرح

۱- ۱ المصدر نفسهص ۴۱۳.

۲- ۲ المصدر نفسهص ۵۵۰.

ص: ۲۴۷

من آراء. يراجع ما يسمعه مرات قبل أن ينقله، لهذا فقد أتّسم عمله العلمى بالدقة والحرص، وكان يبذل قصارى جهده لطلب العلم والحقيقة، ويسعى بكل تواضع بين الصحابة يسأل ويتحقق حتى يتأكد من أى‌رواية يريد نقلها عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم لئلا ينقل حديثاً موضوعاً أو مكذوباً على رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم. حتى ورد عنه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم.

إن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فآتى إليه وهو قائل فى الظهيرة، فأتوسد ردائى على بابه، يسفى الريح علىّ من التراب، حتى ينتهى من مقيله، ويخرج فيرانى، فيقول يا ابن عمّ رسول اللّه ما جاء بك؟ هلّا أرسلتَ إلىّ فآتيك ..؟

فأقول، أنت أحقّ بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتعلم منه!.

ابن عباس مفسراً:

يُعد ابن عباس من كبار المفسّرين، بل هو الثانى بعد على عليه السلام فقد قال ابن عطية «وكان جلّة من السلف كثير عددهم يفسّرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين فى ذلك رضى اللّه عنه، فأماصدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه، ويتلوه عبد اللّه بن عباس وهو تجرّد للأمر وكمّله، وتبعه العلماء عليه ... (۱).

قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فمن على بن أبى طالب. وكان علىّ رضى اللّه عنه يثنى على تفسير ابن عباس ويحضّ على الأخذ منه، وكان ...

يقول: نِعم تَرجُمان القرآن عبد اللّه بن عباس. وقال عنه علىّ رضى اللّه عنه: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من سترٍ رقيق» .. ويتلوه عبد اللّه بن مسعود ... (۲) هذا ما ذكره القرطبى، وأما ما ذكره السيوطى (۳) عن ابن عباس:

وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذى دعا له النبيصلى الله عليه و آله و سلم: «اللهم فقّهه

۱- ۱ الجامع لأحكام القرآن القرطبى ۱/ ۲۷.

۲- ۲ الجامع لاحكام القرآن- للقرطبى ۱/ ۳۵.

۳- ۳ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ۴/ ۲۳۴- ۲۴۰.

ص: ۲۴۸

فى الدين وعلّمه التأويل»

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لى رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم: «نعم ترجمان القرآن أنت». وأخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود، قال: «نعم ترجمان القرآن عبد اللّه بن عباس».

وأخرج عن الحسن، قال: إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل.

وعن ابن عمر- حينما بلغه تفسير ابن عباس للآية «.. أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ..» (۱)

- أنه قال: قد كنت أقول: ما يُعجبنى جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتى علماً.

يقول أحمد أمين عن الإمام على عليه السلام: .. كان أستاذاً لعبد اللّه بن عباس أخذ عنه كثيراً (۲) وكان لابن عباس مصحف خاص به ذكره الشهرستانى فى مقدمة تفسيره وكان ترتيبه كالتالى:

۱ اقرأ ... ۲ ن ... ۳ والضُّحى ... ۴ المزمل ...

۵ المدثر ... ۶ الفاتحة ... ۷ تبّت يدا ... ۸ كوِّرت ...

۹ الأعلى ۱۰ واللّيل ... ۱۱ والفجر ... ۱۲ ألم نشرح لك

۱۳ الرحمن ... ۱۴ والعصر ... ۱۵ الكوثر ... ۱۶ التكاثر ...

۱۷ الدين ... ۱۸ الفيل ... ۱۹ الكافرون ... ۲۰ الإخلاص ...

۲۱ النجم ... ۲۲ الأعمى ... ۲۳ القدر ... ۲۴ والشمس ...

۲۵ البروج ... ۲۶ التين ... ۲۷ قريش ... ۲۸ القارعة ...

۲۹ القيامة ... ۳۰ الهمزة ... ۳۱ والمرسلات ... ۳۲ ق ...

۳۳ البلد ... ۳۴ الطارق ۳۵ القمر ۳۶ص ...

۳۷ الأعراف ۳۸ الجنّ ... ۳۹ يس ... ۴۰ الفرقان ...

۱- ۱ الأنبياء: ۳۰.

۲- ۲ فجر الإسلامص ۱۴۹.

ص: ۲۴۹

۴۱ الملائكة ... ۴۲ مريم ... ۴۳ طه ... ۴۴ الشعراء ...

۴۵ النمل ... ۴۶ القصص ... ۴۷ بنی‌اسرائيل ... ۴۸ يونس ...

۴۹ هُود ... ۵۰ يوسف ... ۵۱ الحجر ... ۵۲ الأنعام ...

۵۳ الصافات ... ۵۴ لقمان ... ۵۵ سبأ ... ۵۶ الزُّمر ...

۵۷ المؤمن ... ۵۸ حم السجدة ... ۵۹ حم عسق ... ۶۰ الزخرف ...

۶۱ الدخان ... ۶۲ الجاثية ... ۶۳ الأحقاف ... ۶۴ الذاريات ...

۶۵ الغاشية ... ۶۶ الكهف ... ۶۷ النحل ... ۶۸ نوح ...

۶۹ إبراهيم ... ۷۰ الأنبياء ... ۷۱ المؤمنون ... ۷۲ الرعد ...

۷۳ الطور ... ۷۴ الملک ... ۷۵ الحاقة ... ۷۶ المعارج ...

۷۷ النساء ... ۷۸ والنازعات ... ۷۹ انفطرت ... ۸۰ انشقت ...

۸۱ الروم ... ۸۲ العنكبوت ... ۸۳ المطففون ... ۸۴ البقرة ...

۸۵ الأنفال ... ۸۶ آل عمران ... ۸۷ الحشر ... ۸۸ الأحزاب ...

۸۹ النور ۹۰ الممتحنة ... ۹۱ الفتح ... ۹۲ النساء ...

۹۳ إذا زلزلت ... ۹۴ الحج ... ۹۵ الحديد ... ۹۶ محمّد (ص) ...

۹۷ الإنسان ... ۹۸ الطلاق ... ۹۹ لم يكن ... ۱۰۰ الجُمعة ...

۱۰۱ ألم السجدة ... ۱۰۲ المنافقون ... ۱۰۳ المجادلة ... ۱۰۴ الحجرات ...

۱۰۵ التحريم ... ۱۰۶ التغابن ... ۱۰۷ الصف ... ۱۰۸ المائدة ...

۱۰۹ التوبة ... ۱۱۰ النصر ... ۱۱۱ الواقعة ... ۱۱۲ والعاديات ...

۱۱۳ الفلق ... ۱۱۴ الناس ...

ابن عباس والوضاعون:

الوضع: الاختلاق. وضع الرجل الحديث: افتراه وكذبه واختلقه (۱).

تشير مصادر كثيرة إلی أن وضع الحديث كان فی عهد رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم وفی حياته المباركة، وقد ورد عنهصلی الله عليه و آله و سلم النهی عنه (يا أيها الناس قد كثرت علیّ الكذابة، فمن

۱- ۱ المعجم الوسيط، مادة وضع.

ص: ۲۵۰

كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ...).

وللوضع عوامله وأهدافه وطرقه. ومن طرقه اختيار سند ينتهى اليصحابى جليل يتمتع بوجود محترم بين الصحابة ومكانة كبيرة عند عموم المسلمين وقد يكون ذا مكانة علمية مرموقة ومعروفة، وربما يكون من الذين يستعين به الصحابة فى حلّ كثير من المسائل التفسيرية والفقهية، حتى يُعطى للرواية- بكاملها سنداً ومتناً- قوةً وأثراً ومقبولية لدى الآخرين.

لأن «الواضع بداهة لا يختار لنفاقه إلا الشخصيات الرفيعة من ذوى الشهرة الواسعة لكى تلقى اكذوبتهصداها فى نفوس الناس بنسبتها إليهم» (۱).

وابن عباس ممن تتوفر فيه هذه الصفات إضافة إلى أنه شخصية علمية فهو ذات رصيد اجتماعى وصاحب دور سياسى مطلع على الأحداث، التى مرت فى تأريخ الإسلام والمسلمين، كما أنه من عائلة كريمة اجتمعت فيهاصفات النبل والسخاء والشجاعة. كل هذه الأمور وغيرها جعلت الرجل عرضة للوضع له والمبالغة فيه للوصول الى مآرب سياسية من خلال ذلك، كماصار عرضة للوضع عليه نيلًا منه وتبريراً لأفعال أعدائه واعداء البيت الهاشمى. يقول أحمد أمين:

ويظهر أنه وضع على ابن عباس وعلىّ أكثر مما وضع على غيرهما. ولذلك أسباب:

أهمها أن علياً وابن عباس من بيت النبوة، فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقة وتقديساً لا يكسبهما الإسناد إلى غيرهما ... وابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، يتقرب إليهم بكثرة المروى عن جدّهم.

ثم يواصل أحمد أمين كلامه فيقول: وقد روى عن ابن عباس ما لا يحصى كثرة، فلا تكاد تخلو آية من آيات القرآن إلا ولابن عباس فيها قول أو أقوال.

وكثر الرواة عنه كثرة جاوزت الحد ... (۲).

كما أن السيد الحكيم يقول:

۱- ۱ انظر المنهج الأثرى فى تفسير القرآن الكريمص ۲۴۴؛ ومجلة قضايا إسلامية ۲: ۴۷.

۲- ۲ فجر الإسلام- أحمد أمينص ۲۰۲- ۲۰۳.

ص: ۲۵۱

«لقـد ذكرنا في مقدمـة كتابنا عن عبـد اللّه بن عباس مختلف العوامل الداعيـة للوضع له أو عليه في زمنه وبعد زمنه وعلى الأخص فيما دار من ملاحـاة بين السـلطة العباسـية ومناوئيها من أئمـة الزيديـة الراغبين في الحكم، وبالطبع إن هـذا الرجل- وهو مصـدر من مصادر شرعية سـلطة الخلفاء العباسـيين، التي استندوا إليها أو بعضهم على الأقل عندما ادعوا لأنفسهم وراثة النبوة وتسلسلها في أعقاب العباس حتى وصـلت إليهم- لا بـد وأن يرتفع رصـيده في نفوس الرأي العام ويغالي فيه الى درجة تسـمو به وترتفع عن سائر البشـر المتعارف، فالكرامـات مازالت ترافقه منـذ ولادته وحتى نهايـة حياته، بينما يهبط رصـيده في نفوس الخصوم حتى يجرد عن جلّ مواهبه وإمكاناته وخلقه» (۱) لقد تعرض الرجل وهو حبر الأمة لمثل هذه الاختلاقات والافتراءات فاسـندت له أحاديث وروايات كثيرة- لا يغيب أكثرها عن نباهة المحقق (۲)- حتى ورد عن الإمام الشافعي قوله (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث) (۳) كما أن علماء التفسـير ضـعفوا كثيراً من الأسانيد المنتهية إلى ابن عباس حتى وصفها بعضهم بأنها من أوهى الطرق، ضاربين لذلك مثلًا طريق الكلبي عن أبيصالـح عن ابن عبـاس، وقـالوا فـإذا انضم الى ذلك محمـد بن مروان السـدي الصـغير فهي سلسـلة الكـذب (۴) والسـدي الكبير وصفوه بأنه ضعيف وكذاب (۵) كمـا ذكروا مثالًا آخر للوضع كان بطله (نوح الجامع) أبو عصـمة نوح بن أبي حريم، قيل له (من أين لـك عن عكرمـة، عن ابن عبـاس في فضائـل القرآن سورة سورة؟ فقـال إني رأيت النـاس قـد أعرضوا عن القرآن، واشـتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة (۶) وفي كلام آخر أقرّ بوضعه على ابن عباس (۷).

كما أن الضحاك بن مزاحم الهلالي روى التفسير عن ابن عباس وهو

۱- ۱ محمد تقي الحكيم- قصة بيت المال في البصرة ...ص ۳۴۴ مقالة في ثمرات النجف.

۲- ۲ ألفت كتب في الموضوعات من الفريقين انظر أصول الحديث للفضلي ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۶.

۳- ۳ الإتقان للسيوطي ۴: ۲۳۹.

۴- ۴ الإتقان للسيوطي ۴: ۲۳۹.

۵- ۵ الإتقان للسيوطي ۴: ۲۳۹.

۶- ۶ علوم الحديث لابي عمرو بن الصلاح: ۹۰.

۷- ۷ علوم الحديث ومصطلحاته.ص ۲۸۳.

ص: ۲۵۲

لم يلقه (۱) ناهيك عن الإسرائيليات التى لم ينجو منها تراث ابن عباس والتى نشط اليهود فى بثّها فى عموم تراثنا الإسلامى ومن هؤلاء اليهود كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد اللَّه بن سلام ... مع أن ابن عباس كان دقيق الملاحظة أمين الوصف والرواية واعياً لأفعال هؤلاء ومدى ما تتركه على التراث الإسلامى من آثار وقد نهى عن الأخذ منهم، ورد عنه.

«كيف تسألونهم عن شىء، وكتاب اللَّه بين أظهركم» (۲) ووقف موقفاً آخر حازماً إزاء الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات، فقد قال كما أخرجه البيهقى بسنده عن ابن عباس. قال: «إذا حدثتكم بحديث عن رسول اللَّه فلم تجدوا تصديقه فى الكتاب، أو هو حسن فى أخلاق الناس فإنه كاذب».

ومع هذا فقد زخر تفسيره برواياتهم مما حدى بالذهبى فى كتابه (التفسير والمفسرون) وبغيره الى اتهام ابن عباس بالاطمئنان إليهم والنقل عنهم والاستعانة بهم فى تفسيره، لعدم امكان نفى ماورد فى تفسيره من الإسرائيليات لكثرتها.

ونحن نرى تراث ابن عباس وآثاره عند تحققها ودراستها قد احتوت على كثير من الإسرائيليات والأساطير والكرامات والمعاجز المنسوبة له، إضافة الى ما تعرض له تراثه من أكاذيب واختلاقات مما جعل هذا التراث غامضاً بعض الشىء ومرتبكاً أو مضطرباً فى بعضه الآخر، كما أنه مضطرب كثرة وقلة، قال بعضهم- لم يتجاوز عدّة أحاديث.

ذكر الآمدى فى كتاب الإحكام فى أصول الأحكام:

أن ابن عباس لم يسمع من رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم سوى أربعة أحاديث لصغر

۱- ۱ الإتقان للسيوطى ۴: ۲۳۸.

۲- ۲ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد ربه ۳: ۵۱.

ص: ۲۵۳

سنه (۱).

كما ذكر محمود ابوريه فى أضوائه: قال ابن القيم فى الوابل الصيب: إن ما سمعه ابن عباس عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم لم يبلغ العشرين حديثاً: وعن ابن معين والقطان وأبى داود فى السنن أنه روى تسعة أحاديث وذلك لصغر سنه. ومع ذلك فقد أسند له أحمد فى مسنده ۱۶۹۶ حديثاً (۲).

ومن الروايات المختلقة لأهداف سياسية ما رواه الترمذى عن ابن عباس:

أن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم دعا للعباس بدعاء قال فيه:

«واجعل الخلافة باقية فى عقبه».

وكذلك عن ابن عباس: ليكونن الملك- أو الخلافة- فى ولدى، حتى يغلبهم على عزّهم الحمر الوجوه، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة (۳).

ابن عباس وبيت مال البصرة:

ما إن انتهت حرب الجمل بانتصار الإمام على عليه السلام وصحبه على ناكثى البيعة حتى بادر الإمام الى تعيين عبد اللّه بن عباس والياً على البصرة، فقال «يا معاشر الناس! قد استخلفتُ عليكم عبد اللّه بن عباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع اللّهَ ورسولهَ، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فأعلمونى أعزله عنكم؛ فإنى أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإنى لم أولّه عليكم إلا وأنا أظن ذلك به، غفر اللّه لنا ولكم» (۴).

ثم أوصى عبد اللّه بن عباس بوصاياه قائلًا:

«يا ابن عباس! عليك بتقوى اللّه والعدل بمن ولِّيت عليه، وأن تبسط للناس وجهك، وتوسع عليهم مجلسك، وتسعهم بحلمك، وإياك والغضب، فإنه طيرةٌ من الشيطان، وإياك والهوى فإنه يصدك عن سبيل اللّه، واعلم أن ما قربك

۱- ۱ كتاب الاحكام للآمدى ۲/ ۱۷۸- ۱۸۰.

۲- ۲ أضواء على السنة المحمدية: ۷۱.

۳- ۳ اضواء على السنة المحمدية لمحمود أبوريةص ۱۳۶.

۴- ۴ كتاب الجمل للشيخ المفيد، تحقيق السيد على مير شريفى: ۴۲۰- ۴۲۱.

ص: ۲۵۴

من اللّه فهو مباعدك من النار، وما باعدك من اللّه فهو مقربك من النار، واذكر اللّه كثيراً ولا تكن من الغافلين» (۱) كان هذا فی سنة ۳۶ ه (۲).

فی سنة ۴۰ ه بدأ أهم حدث فی تاریخ هذا الرجل، وبالذات فی تاریخ علاقته بالإمام علی علیه السلام فیما یتعلق ببیت مال البصرة وتجاوزه علیه کما زعم. فقد اضطربت أقوال المؤرخین وآراؤهم فی هذه المسألة اضطراباً عجیباً، وحقاً ما قاله السید محمد تقی الحکیم فی دراسته حیاة ابن عباس حیث یقول (۳):

«والحقّ أن هذه القصة من أکثر ما قرأت- وأنا أؤرخ لهذه الفترة من حیاة ابن عباس فی کتابی عنه- غموضاً فی فصولها فقد اختلف فیها المؤرخون علی أقوال لا التقاء بین ما تباعد من أطرافها، فبعضها ینفی هذه القصة نفیاً باتاً ویعتبرها اسطورة من الأساطیر وعلی رأس هؤلاء عمرو بن عبید الزاهد المعروف، وبعضهم یثبتها، والمثبتون أنفسهم یختلفون، ویدخل إلی أقوالهم التناقض فی أکثر من مجال، فبعضهم یتبنی إثباتها بأفظعصورها فیغالی فی کثرة ما أخذ من المال، ثم فی اللهجة التی راسل بها الإمام، وفی الفتنة التی ألحقها وهو خارج بأموال بیت المال من البصرة وهارب بها إلی الحجاز، وعلی رأس هؤلاء من المتأخرین الدکتور طه حسین فی کتابه (علی وبنوه) معتمداً مارواه الطبری وابن عبد ربه وأمثالهما من قدماء المؤرخین. بینما یتبنی فریق تقلیل ما أخذ من المال وإبقاءه فی البصرة بعد إرجاع المال والیاً من قبل الإمام».

أما وجهة نظر النافین فقد عبر عنها عمرو بن عبید وهو یرد علی من ینسب له ذلک: «لا. کیف تقول هذا وابن عباس لم یفارق علیاً حتی قتل وشهدصلح الحسن .. وأی مال یجتمع فی بیت مال البصرة مع حاجة علی إلی الأموال وهو یفرغ بیت مال الکوفة فی کل خمس ویرشه. وقالوا: إنه کان یقیل فیه فکیف یترک المال یجتمع بالبصرة هذا باطل» (۴)

۱- ۱ کتاب الجمل للمفید: ۴۲۰. نهج البلاغة ۴۶۵ الکلمة ۷۶. الإمامة والسیاسة لابن قتیبة ۱: ۱۰۵.

۲- ۲ الطبری حوادث سنة ۳۶ ه.

۳- ۳ دراسة قیمة تحمل روحاً علمیة منهجیة قل نظیرها. تناولت هذا الموضوع بالتفصیل تحت عنوان قصة بیت المال فی البصرة ودور ابن عباس فیها. انظر ثمرات النجف: ۲۳۹- ۲۵۲ نقلًا عن مجلة النجف- السنة الخامسة- العدد السادس- شوال ۱۳۸۲/ آذار ۱۹۶۳ م.

۴- ۴ نقلًا عن أمالی السید المرتضی، ج ۱ص ۱۲۳، ط السعادة.

ص: ۲۵۵

وهنا يقول السيد الحكيم: وكلام عمرو هذا ذو شقين اثنين نختلف معه فى حسابهما، فأما ادعاؤه استمرار بقاء ابن عباس مع على ثم مع الحسن فهـذا من قبيل الروايـة، ونحن لانملك تكـذيبه فعلًا فيها، وأما الشق الثانى من دعواه فهى قابلـة للمناقشـة، إذ لا تلازم بين تفريغ مال الكوفة وعدمصحة القصة لجواز أن تكون يده قد امتدت الى المال حين مجىء الخراج وقبل توزيعه من قبله، والحقيقة أن هذا من قبيل الاستحسان المحض وهو أقرب إلى الاجتهاد فى مقابل النص لوصح وروده فى هذا المجال.

التهم الموجهة لابن عباس:

الاتهام الأول ورد فى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ۴۰ ه فى سبب شخوصة الى مكة وتركه العراق. وخلاصة هذا الاتهام أن الدؤلى بعد شجار له مع ابن عباس كتب الى الامام على عليه السلام قائلًا: ... وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ...

فكتب الإمام على عليه السلام اليه كتاباً وآخر الى ابن عباس وتتالت كتب الامام وابن عباس ومما جاء فى أحد كتب الإمام:

أما بعد فأعلمنى ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟

فكتب اليه ابن العباس: أما بعـد، فقـد فهمتُ تعظيمك مرزأة ما بلغك أنى رزأته من مال أهل هذا البلد، فابعث الى عملك من أحببت فإنى ظاعن عنه.

والسلام.

ثم دعـا ابن عباس أخواله بنى هلال بن عامر ... (۱) الاتهام الثانى ورد على لسان قيس بن سـعد حينما لحق عبيد اللّه بن عباس بمعاوية الذى جاء لحرب الحسن عليه السلام حيث اغراه معاوية بالمال: قام قيس

۱- ۱ تاريخ الطبرى، حوادث سنة ۴۰ ه المجلد ۳ص ۱۵۴- ۱۵۵، دار الكتب العلمية- بيروت.

ص: ٢٥٦

فخطب فى الجند قائلًا: يا أيها الناس، ... إن هذا وأباه، وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط:

إن أباه عم النبيصلى الله عليه و آله و سلم خرج يقاتله ببدر ... وإن أخاه ولاه على أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال اللّه ومال المسلمين. فاشترى به الجوارى، وزعم أن ذلك له حلال ...» (١).

الاتهام الثالث: اتهام ابن الزبير:

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال:

«... وإن هاهنا رجلًا قد أعمى اللّه قلبه (يعنى ابن عباس الذى كان يسمعه) كما أعمى اللّه بصره، يزعم: أن متعة النساء حلال ... وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس ..»

هذا كلام من ابن الزبير لم يتركه ابن عباس يذهب سدًى بل تصدى له بحزم وبحجة قوية، ولكن تهمة ابن الزبير له باحتماله مال البصرة لم يردّها أو ينفيها ولكنه بين وجهة نظره فيها:

... وأما حملى المال فإنه كان مالًا جبيناه فأعطينا كلّ ذى حقّ حقّه، وبقيت بقية هى دون حقّنا فى كتاب اللّه فأخذناها بحقنا ...

ونشير هنا اشارة سريعة الى النتائج فقط التى توصل اليها السيد جعفر مرتضى العاملى «والتى تدل على افتعال القصة واختلاقها من أساسها» ونحيل القارئ الكريم الى التفاصيل فى كتاب ابن عباس واموال البصرة للسيد العاملى فقد ناقش الروايات الثلاث (الاتهامات) سنداً ومتناً.

فقد أورد السيد العاملى ملاحظاته وأدلته، التى تحكم على أن رواية الطبرى (الاتهام الأول) بالوضع والافتعال. كما أنه ناقش الاتهام الثانى المنسوب الى قيس بن سعد والمنقول عن مقاتل الطالبين، ناقشه قائلًا: فيكفى أن نشير

١- ١ مقاتل الطالبين: ٧٣ ط الشريف الرضى، قم.

ص: ۲۵۷

بالنسبة اليه الى ما ذكره بعض المحقّقين (۱) من أنه كلام مفتعل، قد دسّ فى بعض نسخ مقاتل الطالبين دون بعض؛ وذلك لأن ابن أبى الحديد قد نقل كلام أبى الفرج بعينه، ولم يذكر كلام قيس هذا، وإنما قال عن قيس: «ثم خطبهم، فثبتهم، وذكر عبيد اللّه، فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض الى العدو؛ فأجابوه ..». ونُقل ابن أبى الحديد مقدمٌ؛ سيما ونحن نراه ينقل عن أبى الفرج بين قوله: «فاخرجوا رحمكم اللّه الى معسكركم بالنخيلة»، وقوله «ثم إن الحسن سار فى عسكر عظيم» ينقل كلاماً كثيراً ليس فى نسخ المقاتل المطبوعة منه عين ولا ـ أثر .. وابن أبى الحديد قد سمع المقاتل املاءً عن شيوخه؛ فنقله أثبت إذ يحتمل قوياً: أن تكون هوامش قد زادها النساخ فى الأصل اشتباهاً ..

والنقاش الثالث تمّ لرواية ابن الزبير (اتهامه) وقد توصل السيد العاملى الى أنه مع ضعف سند الرواية فإن العبارة التى يعير فيها ابن عباس بسرقة أموال البصرة هى الأـخرى مفتعلة كما أن جواب ابن عباس هو الآخر مفتعل ولم ترد العبارة المزعومة ولا جوابها عند الكثيرين من المؤرخين الذين نقلوا الرواية التى تحمل اتهامات ابن الزبير وجواب ابن عباس عنها.

كما يذكر فى الهامش أن المؤرخين قد ذكروا ما عدا مروج الذهب أن القضية جرت بين ابن عباس وعروة بن الزبير لا عبد اللّه، ولكنها كلها تتفق فى خلوها عن الفقرة التى تتهم ابن عباس بأموال البصرة، وذكر عدّة مصادر ..

كما أنه ناقش الرواية سنداً ومتناً وفنّد متنها الذى يذكر أن الزبير تزوج أسماء متعة وانها علقت بعبد اللّه (۲) .. ويستبعد هذه الدعوى.

هذا وأن هناك الكثير من العلماء والمؤرخين ينفون هذه التهمة عن ابن عباس، أو تثبت أن ابن عباس بقى والياً لعلى على البصرة الى ما بعد مقتله عليه السلام نستعرض بعضاً منهم وأقوالهم:

۱- ۱ قاموس الرجال. التسترى ۶: ۴۳۹ باب العين.

۲- ۲ ابن عباس وأموال البصرة: ۴۹- ۵۰.

ص: ۲۵۸

قال ابن كثير: «... وتأمر على البصرة من جهة على، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاة، وزياد بن أبى سفيان على الخراج، وكان أهل البصرة مغبوطين به: يفقههم، ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطى فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات على. ويقال: إن علياً عزله عنها قبل موته ...) (۱).

- قال ابن حجر فى الإصابة: «فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل على؛ فاستخلف على البصرة عبد اللّه بن الحارث ومضى الى الحجاز ...» (۲).

- أما ابن أبى الحديد فقد قال بعد أن ذكر الكتب المتبادلة بين الإمام عليه السلام وابن عباس: (وقال آخرون هم الأقلون: هذا لم يكن ولا فارق عبد اللّه بن عباس علياً عليه السلام، ولا باينه ولاخالفه، ولم يزل أميراً على البصرة الى أن قتل علىّ عليه السلام.

قالوا: ويدل على ذلك مارواه أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانى من كتابه الذى كتبه الى معاوية من البصرة لما قتل على عليه السلام، ... وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية، ويجرّه الى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام، فما باله وقد علم النّبْوَة التى حدثت بينهما، ولم يستمل ابن عباس، ولا اجتذبه الى نفسه، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقّه ابن عباس لمعاوية بعد وفاة على عليه السلام، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وشديد الخصام، وما كان يثنى به على أمير المؤمنين، ويذكر خصائصه وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما» وبعد أن يورد ابن أبى الحديد كل هذا يقول وهذا عندى هو الأمثل والأصوب. وإن توقف أخيراً. بعد ذلك يردّ على قول الراوندى الذى يقول: المكتوب اليه هذا الكتاب (كتاب أمير المؤمنين) هو عبيد اللّه بن عباس، لا

۱- ۱ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ۸: ۳۰۴. مكتبة المعارف بيروت.

۲- ۲ الإصابة ۲: ۳۳۴. وانظر عدم مفارقته للإمام أمالى المرتضى ۱: ۱۷۷ وقاموس الرجال ۶: ۱۵، وانظر ايضاً تذكرة الخواص: ۱۵۰، ۲۵۲ وتاريخ اليعقوبى ۲: ۲۰۵.

ص: ۲۵۹

عبداللّه» فيقول: وليس ذلك بصحيح، فإن عبيد اللّه كان عامل على عليه السلام على اليمن، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالًا، ولا فارق طاعة

ثم يردف ابن أبى الحديد قوله هذا:

«وقد أشكل علىّ أمرُ هذا الكتاب، فإن أنا كذبت النقل وقلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفتُ الرواهٔ، فإنهم قد أطبقوا على روايهٔ هذا الكلام عنه، وقد ذكر فى أكثر كتب السير، وإنصرفته الى عبد اللّه بن عباسصدّنى عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعهٔ أمير المؤمنين عليه السلام فى حياته وبعد وفاته.

وإنصرفته الى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام؟ والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبنى عمّه»

لهذا نرى ابن أبى الحديد متوقفاً فى هذا بقوله «فأنا فى هذا الموضع من المتوقفين».

فانكارها- حقاً- أمرصعب «والحقيقهٔ أن إنكار هذه القصهٔ من الأساس واعتبارها مختلقهٔ موضوعهٔ كما يذهب الى ذلك منكروها وهم القلهٔ فى المؤرخين .. أمر تأباه طبيعهٔ البحث الموضوعى؛ لأن هذه القضايا الكبرى فى التأريخ والتى يكثر الحديث فيها لا تكون بغير منشإ انتزاع غالباً» (۱).

كما أن الايمان بها بهذه السعهٔ التى تستند الى روايهٔ الطبرى والى من سار على ضوئها أمثال ابن الأثير وابن خلدون وابن كثير وصاحب العقد وطه حسين وغيرهم، أمر كما يقول السيد الحكيم لا يمكن الاطمئنان اليه ...) فابن عباس «الشخصيهٔ الفذهٔ، الذى قام بدور رئيس فى تأييد الإمام على عليه السلام .. سواء فى حياهٔ الإمام عليه السلام أو تأييد حق على، وحق أهل بيته بعد وفاته ..

والرجل .. الذى اشتهر بصراحته المثيرهٔ ومواقفه الجريئهٔ .. والإنسان الذى كان- ومايزال- يتمتع بالاحترام والتقدير، وله شهرهٔ علميهٔ وأدبيهٔ واسعهٔ والتى لم تكن لتكون له لو لم يكن يتمتع بالمؤهلات الحقيقيهٔ والنادرهٔ، التى رسخت بمعطياتها هذه الشهرهٔ الواسعهٔ، وجسدت المثال الحى للشخصيهٔ التى تستحق كل

۱- ۱ السيد محمد تقى الحكيم- ثمرات النجف: ۲۴۳.

ص: ۲۶۰

هذا الاحترام، وكل هذا التقدير ..» (۱).

وكما يقول عنه طه حسين: «من العلم بأمور الدين والدنيا ومن المكانة فى بنى هاشم خاصة، وفى قريش عامة، وفى نفوس المسلمين جميعاً، ما كان خليقاً أن يعصمه عن الانحراف عن ابن عمّه، مهما تعظم الحوادث، وتدلهم الخطوب ..» وإن كان طه حسين يثبت تهمه السرقة له (۲).

فصاحب التاريخ العريض المليء بالأخلاق والحب والتفانى قولًا وفعلًا دفاعاً عن الإمام ومواقفه، لا يمكن لهذا الرجل أن ينسب اليه مثل هذا العمل (السرقة).

وأخيراً أرى أن ما حدّث به اليعقوبى فى تأريخه هو الأنسب والأقرب للصحة ونكتفى بما حدث به:

كتب أبو الأسود الدؤلى- وكان خليفة عبداللّه بن عباس بالبصرة- إلى على عليه السلام يعلمه أن عبد اللّه أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب اليه يقسم له باللّه لتردنها، فلما ردّها عبداللّه بن عباس أو ردّ أكثرها كتب إليه على عليه السلام: أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت والسلام. فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاظى بكلام أمير المؤمنين أو ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم كانتفاعى بهذا الكلام) (۳).

والنتيجة- باختصار- التى توصل اليها السيد محمد تقى الحكيم فى بحثه هذا هى:

۱) الأخذ برواية اليعقوبى ففى جوها تلتقى جميع الخطوط والآراء (۴) ...

۲) أن ابن عباس فى أخذه لهذا المال كان أخذه ينطوى تحت العنوان الأولى وهو حقّه الطبيعى فى الخمس. وإن اصرار الإمام على إرجاع المال يناسب وجهة

۱- ۱ السيد مرتضى العاملى.

۲- ۲ الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين.

۳- ۳ تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۰۵- دارصادر. نهج البلاغة ضبط الدكتورصبحى الصالحص ۳۷۸ رقم الكتاب ۲۲. تحف العقول للحرانيص ۱۳۸ مع بعض الاختلاف.

۴- ۴ ثمرات النجف- قصته-: ۲۴۷، ۲۵۰- ۲۵۱.

ص: ۲۶۱

نظره علیه السلام فی أن حرمان بنی هاشم من حقّهم فی الخمس للعنوان الثانوی أجدی علی الإسلام فی رأیه من تنفیذ العنوان الأولی (حق بنی هاشم فی الخمس) (۱) ۳) یؤید هذه النتیجهٔ قول ابن عباس نفسه ردّاً علی اتهام ابن الزبیر (علی فرضصحهٔ الروایهٔ) من أنه أخذ البقیهٔ من المال التی هی دون حقّه فی کتاب اللّه تعالی. وما یؤید ذلک أیضاً الروایهٔ التی جاءت فی العِقد الفرید: کان عبد اللّه بن عباس من أحب الناس الی عمر بن الخطاب، وکان یقدمه علی الأکابر من أصحاب محمدصلی الله علیه و آله و سلم، ولم یستعمله قط، فقال له یوماً: کدت أستعملک، ولکنی أخشی أن تستحلّ الفیء علی التأویل، فلماصار الأمر الی علی استعمله علی البصرهٔ فاستعمل الفیء علی تأویل قول اللّه تعالی «واعلموا أن ما غنمتم من شیء فأن للّهخمسه وللرسول ولذی القربی» (۲) هذا وإن لکثیر من علماء الرجال کلاماً ینصب جلّه علی ما تفرد به الکشی فی رجاله، وفی کلامهم ما یؤید نزاههٔ ابن عباس وبراءته من التهمهٔ المنسوبهٔ إلیه، نستعرض بعضاً منهم.

الکشی وابن عباس:

فقد ذکر الکشی أحادیث تتضمن قدحاً فی ابن عباس، ومن جملهٔ تلک الأحادیث حدیث مفارقته للإمام علی علیه السلام، وأخذه المال من بیت المال البصرهٔ، وکتب أمیر المؤمنین وأجوبهٔ ابن عباس عنها (۳).

وفی ذلک یقول السید الخوئی:

هذا الروایهٔ وما قبلها من طرق العامهٔ، وولاء ابن عباس لأمیر المؤمنین وملازمته له علیه السلام هو السبب الوحید فی وضع هذه الأخبار الکاذبهٔ وتوجیه التهم والطعون علیه، حتی إن معاویهٔ لعنه اللّه کان یلعنه بعد الصلاهٔ مع لعنه علیّاً

۱- ۱ ثمرات النجف- قصته-: ۲۴۷، ۲۵۰- ۲۵۱.

۲- ۲ فجر الإسلام/ أحمد أمینص ۱۴۷.

۳- ۳ رجال الکشیص ۲۷۹- ۲۸۰ حرف العین.

ص: ۲۶۲

والحسنين وقيس بن عبادة والأشتر!! كما عن الطبرى وغيره وأقل ما يُقال فيهم انهمصحابة رسول اللّٰهصلى الله عليه و آله و سلم، فكيف كان يلعنهم ويأمر بلعنهم؟!

وراح السيد الخوئى يبين رأيه فى ابن عباس بوضوح: والمتحصّل مما ذكرنا أنّ عبداللّٰه بن عباس كان جليل القدر، مدافعاً عن أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام كما ذكره العلامة وابن داود (۱).

كما قال الشهيد الثانى فى حاشية الخلاصة: جملة ما ذكره الكشى من الطعن فيه خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السند (۲).

وقد ذهب السيد ابن طاووس الى نفى كل ذلك نفياً تاماً، فقد قال فى ابن عباس: حاله فى المحبة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وموالاته والنصر له والذب عنه والخصام فى رضاه والموازرة له مما لا شبهة فيه، ثم قال معرضاً بأخبار الذم، ومثل الحبر موضع أن يحسده الناس ويباهتوه:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لذميم قال: ولو ورد فى مثله الف رواية أمكن أن تعرض للتهمة، فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيلة؟! (۳). فكل ما ورد بخصوص قصة بيت مال البصرة وابن عباس هى أخبار ضعفها ابن طاووس.

وأماصاحب الوسائل فى خاتمتها يقول عن ابن عباس: حالُه فى الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يخفى، وروى فيه قدحٌ وهو أجل من ذلك (۴).

وفاته

توفى ابن عباس فى الطائف سنة ۶۸ للهجرة بعد أن أُصيب بالعمى، وصلى عليه محمد ابن الحنفية (۵)، فسلام عليه فى الخالدين.

۱- ۱ معجم رجال الحديث للسيد الخوئى ۱۱: ۲۵۴، ۲۵۶.

۲- ۲ ذكر فى كتاب فى رحاب أئمة أهل البيت محسن الأمين ۲/ ۲۴۱.

۳- ۳ ذكرهصاحب رحاب أئمة أهل البيت- محسن الأمين ۲: ۲۴۱.

۴- ۴ خاتمة الوسائل للعاملى ۳۰/ ۴۱۱.

۵- ۵ الإصابة ۱: ۹۰. البداية والنهاية ابن كثير ۸/ ۳۰۵.

ص: ۲۶۳

المصادر

۱- الإصابهٔ فی تمییز الصحابهٔ. ابن حجر العسقلانی.

۲- مختصر تاریخ دمشق. ابن منظور.

۳- حلیهٔ الأولیاء. أبو نعیم الأصفهانی.

۴- التاج الجامع للاصول. منصور علی ناصیف.

۵- العقد الفرید. ابن عبد ربه الأندلسی.

۶- البدایهٔ والنهایهٔ. ابن کثیر.

۷- الإمامهٔ والسیاسهٔ. ابن قتیبهٔ الأندلسی.

۸- أمالی المفید. الشیخ المفید.

۹- وقعهٔصفین. نصر بن مزاحم.

۱۰- اخترنا لک ۳ (ثمرات النجف). قصهٔ بیت المال فی البصرهٔ ودور ابن عباس فیها. السید محمد تقی الحکیم.

۱۱- أکاذیب وحقائق (۱) ابن عباس وأموال البصرهٔ- السید جعفر مرتضی العاملی.

۱۲- مقاتل الطالبین. ابو الفرج الأصفهانی.

۱۳- قاموس الرجال. التستری.

۱۴- أمالی المرتضی. السید المرتضی.

۱۵- تاریخ الیعقوبی. الیعقوبی.

۱۶- تاریخ الطبری. بن جریر الطبری.

۱۷- تذکرهٔ الخواص. ابن الجوزی.

۱۸- وسائل الشیعهٔ. الحر العاملی.

۱۹- معجم رجال الحدیث. السید الخوئی.

ص: ۲۶۴

۲۰- فی رحاب أئمة أهل البیت. محسن الأمین العاملی.

۲۱- علوم الحدیث ومصطلحاته. الدکتورصبحی الصالح.

۲۲- علوم الحدیث. ابن الصلاح.

۲۳- الجامع لأحکام القرآن. القرطبی.

۲۴- الاستیعاب فی أسماء الأصحاب.

۲۵- دیوان حسان بن ثابت.

۲۶- المنهج الأثری فی تفسیر القرآن الکریم. هدی جاسم أبوطبرة.

۲۷- رجال الکشی.

۲۸- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید.

۲۹- أضواء علی السنة المحمدیة. محمود أبوریة.

۳۰- تحف العقول. ابن شعبة الحرانی.

۳۱- عبد اللَّه بن عباس. السید مرتضی العسکری.

الهوامش:

ص: ۲۶۵

المساجد والاماكن الاثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة (۴)

ص: ۲۶۶

ص: ۲۶۷

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة (۴)

عبد الرحمن خويلد

مقدّمة:

بما أنّ للمدينة المنوّرة فضلًا كبيراً على المسلمين؛ لأنّها مهاجر الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه و آله)، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمّ بنوره البشريّة، وأنقذ مَن هداه اللّه سبحانه من الشرك والضلالة إلى التوحيد والهداية، لذلك لابدّ من معرفة معالمها المهمّة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أنّ أكثر الزائرين لطيبة الطيبة لا يعرف عنها سوى المسجد النبوى الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهى (مسجد قباء، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وشهداء أُحد)، علماً أنّ قسماً منهم لا يعرف حتّى هذه المزارات الأربعة إلّابعد سماعه عنها من أصحابه، أو من بعض سائقى السيارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أمّا بقية المساجد والأماكن الأثرية الأخرى فاعتقد أنّ أغلب زوّار هذه

ص: ۲۶۸

المدينة العزيزة إن لم يكن كلّهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، مع كثرة زياراته للمدينة المنوّرة.

وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن، التى كانت عامرة بنزول الوحى عليه السلام، أو كونها مصلّى أو مقيل أو مبيت النبى (صلى الله عليه و آله)؟

فتجوّل زوّارها فى ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيرة النبويّة على هذه الأرض المباركة، ممّا يثلجصدورهم، ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم. لذلك رأيت أنّ من الضرورى إخراج كتابٍ لينتفع به الزوّار. والمنهج الذى اتّبعته فيه هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرّف عليها أوّلًا، وللحفاظ عليصورتها خشية اندثارها ثانياً، ثمّ إيضاح أماكنها، والتعليق عليها. وقد رتّبتها من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول (صلى الله عليه و آله)، مراعياً فى ذلك موقعها فى اتّجاه واحد، ووضعت خريطة تبيّن أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، كما أنى حرصت على ذكر المساجد التى ثبت أنّ النبى (صلى الله عليه و آله)صلّى فيها، وختمتُ الكتاب بوضع أربعة فهارس له.

راجياً من اللَّه تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبّه ويرضاه، إنّه نِعم المولى ونِعم النصير.

۱۹- ثنية الوداع

تقع هذه الثنية على يمين الذاهب إلى مسجد قباء من طريق قباء الطالع، وهى قبل المسجد بمسافة تقدر بكيلومتر واحد، وعليها الآن قلعة من العهد التركى، وهى مَعْلَم بارز وواضح للعيان.

وللمدينة ثنيتان إحداهما جنوبية، وهى التى نتحدّث عنها الآن، والأُخرى

ص: ۲۶۹

شمالية لوداع المسافر إلى الشام، وهذه الأخيرة أُزيلت لتوسعة مَيدان ملتقى طريقى سيد الشهداء وسلطانه.

وقد خُلّدت ثنيات الوداع لورودها فى نشيد الأنصار عند استقبالهم النبى (صلى الله عليه و آله) حينما قَدِم للمدينة مهاجراً، وهو تعبير حىّ لفرحتهم به، ومطلع هذا النشيد:

طلع البدر علينا مِن ثَنيّات الوداع (۱)

ويظهر أنّ سبب تسميتها بثنية الوداع، أنّها كانت موضع توديع المسافرين من تلك الجهة قبل هجرة المصطفى (صلى الله عليه و آله) (۲).

۲۰- مسجد بنات النجّار

وهو مسجد فيه رَوْحانية وخشوع، ويقع فى الجنوب الشرقى من ثنيه

۱- ۱ الدرّ الثمين: ۱۲۳- ۱۲۴، وسنذكر بقية الأبيات عند حديثنا عن مسجد بنات النجار.

۲- ۲ تاريخ معالم المدينة: ۱۲۵.

ص: ٢٧٠

ص: ۲۷۱

الوداع، ويمكن للزائر الوصول إليه بسهولة من طريق قباء النازل؛ لأنّ المسجد فی أوّل شارع فرعی علی يمين الطريق المذكور، ويبعد عن مسجد قباء بمسافة تقدّر بتسعمائة متر، وعن الشارع العام بحوالی مائة متر.

ويغلب علی هذا المسجد عند أكثر الناس اسم مسجد الجمعة، وهو غيرصحيح؛ لأن الطريقة الغالبة هنا عند تجديد أی مسجد تكون إمّا بتجديده فی مكانه، أو فی مكان مجاور له، والذی حدث لمسجد الجمعة، أنّه جُدِّد فی مكان مجاور للمسجد القديم.

وبنات النجار هنّ من بنات أخوال النبی (صلی الله عليه و آله)، فلمّا قدم من مكة مهاجراً إلی المدينة، قابلته بنات النجار ينشدن الأبيات الجميلة المشهورة علی الألسن وهی:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا للّهداع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرّفت المدينة مرحباً يا خير داع

قد لبسنا ثوب عزّ بعد تمزيق الرقاع (۱) وقد فُرِش هذا المسجد الأثری، ويصلّی فيه بعض الزوار.

۲۱- مسجد الجمعة

مكان هذا المسجد مقابل مسجد بنات النجار، وهو فی أول شارع فرعی علی اليمين للقادم من مسجد قباء عن طريق قباء النازل.

وسمی بمسجد الجمعة؛ لأنّ الرسول (صلی الله عليه و آله)صلّی فيه أول جمعة فی الإسلام، التی أوجبها اللَّه تعالی بقوله:

۱- ۱ تاريخ معالم المدينة: ۱۱۷.

ص: ۲۷۲

«يـا أيّهـا الـذين آمنوا إذا نودى للصـلاة من يوم الجمعـة فاسـعَوا إلى ذكر اللَّه وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» (۱) فعندما وصل إلى قباء، ومكث فيها أيّاماً، انتقل بعـد ذلك إلى المدينـة، ومرّ ببنى سالم بن عوف، فنزل عندهم، ولمّا أدركتهصـلاة الجمعة فى ذلك المكانصلّاها، وخطب أول خُطبة فيها، وهى:

«الحمد للَّهأحمده و أستعينه و أستغفره وأستهديه وأؤ من به، ولا أكفره وأعادى مَن يكفره، وأشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسـله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلّة من العلم وضـلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، مَن يطع اللَّه ورسوله فقد رشد، ومَن يعصـهما فقد غوى وفرط وضلّ ضلالًا بعيداً، وأوصيكم بتقوى اللَّه، فإنّه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ: أنْ يحضّه على

۱- ۱ سورة الجمعة ۶۲/ ۹.

ص: ۲۷۳

الآخرة، وأن يأمره بتقوى اللَّه، فاحذروا ما حذّركم اللَّه من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة ...» (۱) إلى آخر الخطبة.

وكان هذا المسجد يسمى بمسجد عاتكة (۲) فترة من الزمن. وكذلك أُطلق عليه سابقاً مسجد الوادى؛ لأنه يقع فى بطن وادى رانوناء (۳). كان هذا المسجدصغير الحجم، ثمّ وسّع عام ۱۴۱۲ ه توسعة كبيرة وجميلة.

۲۲- مسجد ردّ الشمس

يقع هذا المسجد إلى الشرق من مسجد قباء باتجاه القادم منه إلى شارع قربان أو باب العوالى، فى أول شارع متفرع من الجهة اليمنى قبل الإشارة الضوئية الأولى، ويبعد عن مسجد قباء بمسافة تقدر بكيلومتر واحد، وعن الإشارة الضوئية المذكورة بمسافة ثلاثمائة متر، ومكانه على طول امتداد شارع قربان.

۱- ۱ تاريخ الطبرى ۲: ۲۹۴- ۲۹۵.

۲- ۲ تاريخ المدينة المنوّرة ۱: ۶۸؛ وتاريخ معالم المدينة: ۱۱۵.

۳- ۳ تاريخ معالم المدينة: ۱۱۵- ۱۱۶.

ص: ۲۷۴

ص: ۲۷۵

ولم یبق من هـذا المسـجد قبـل فترة من الزمن إلّاجـدار خَرِب لاـ یتجاوز المتر الواحـد (۱)، ثمّ أُزیل هـذا الجدار القدیم، وبقی أرضـاً جرداء یُصلّی فیه بعض الزوار، ولقدصلیتُ فیه، لکنه سوِّر بعد ذلک ولا یمکن الدخول إلیه إلّاللدفن الموتی من الأطفال.

وهذا المسـجد المشـهور عند أهل تلک المحلة بأنّه الذی ردّت فیه الشمس لعلیّ بن أبی طالب (علیه السلام) لأداءصلاة العصر بعد أن فاتته بسبب نوم النبیّ (صلی الله علیه و آله) علی فخذه، فدعا (صلی الله علیه و آله) اللَّه أن یردّها، فاستجاب اللَّه دعاءه.

وقیل (۲): إنّ مسجد الفضیخ- الذی سیرد ذکره لاحقاً- هو الذی رُدّت فیه الشمس، واللَّه أعلم.

الهوامش:

مَن ألّف فی الحجِّ من أهل هَجَر

۱- ۱ تاریخ معالم المدینة: ۱۲۵.

۲- ۲ آداب الحرمین: ۱۴۷.

ص: ۲۷۶

مَن ألّف فى الحجِّ من أهل هَجَر

أحمد الكنانى

ثبت ببليوغرافى روعى فيه النقاط التالية:

۱- نعنى بهجر الاطلاق القديم للّفظة الشامل للإحساء والقطيف والبحرين.

۲- يقتصر على الدراسات المستقلة للحج دون المذكور ضمن المجاميع الفقهية.

۳- مرتب هجائياً على أسماء المؤلفين.

۴- المخطوطة المذكورة للكتاب اقتصرنا على الموجود منها فى مكتبات ايران، التى هى العمدة فى هذا المجال.

۱- إبراهيم آل عرفات:

إبراهيم بن مهدى بن حسن بن عيسى بن على بن عرفات بن عيد بن

ص: ۲۷۷

قوام القدیحی القطیفی.

ولد سنة ۱۱۸۰ ه فی القدیح.

کثیر الأسفار، جاب البلاد وساح الدیار، ولم یتزوج، ولم یتخذ بقعة وطناً.

من مؤلفاته: ردود ونقود، الکشکول، الحج والعمرة، شرح الکفایة.

لم یؤرخ لوفاته، إلّاأنه انتهی من کتابة شرح الکفایة للسبزواری، سنة ۱۲۳۷، وهو آخر عملصدر من قلمه الشریف.

انظر: طبقات اعلام الشیعة: (الکرام البررة) ۲/ ۱۹.

ترجمة آل عرفات بقلم عبد الغنی عرفات (مخطوط).

الحجّ والعمرة:

مخطوطة فی مجلس الشوری برقم ۱/ ۵۵۰۷، ۶ أوراق، ذکرت فی فهرسها ۱۶/ ۴۰۸.

۲- أحمد بن ابراهیم آل عصفور البحرانی:

فقیه مجتهد محدث، باعهُ طویل فی العقلیات والریاضیات.

له شأن کبیر فی بلاد البحرین، وإمام للجمعة والجماعة هناک.

من مؤلفاته: رسالة فی بیان القول بحیاة الأموات بعد الموت، رسالة فی الجوهر والعرض، رسالة فی الأذان، رسالة فی ثبوت الولایة علی البکر، رسائل کثیرة فی مباحث الفقه المختلفة.

توفی فی بلاد القطیف بعد أخذ الخوارج للبحرین فیصفر ۱۱۳۱، عن عمر یقرب من ۴۷ سنة.

دفن بالقطیف فی المقبرة المعروفة بالحباکة.

ص: ۲۷۸

انظر: أنوار البدرین: ۱۶۱، الذریعة ۲۲/ ۲۵۳.

مناسک الحج:

مختصراً مع رسالة غسل الاموات، قال فی الذریعة ۲۲/ ۲۵۳: یوجد ضمن مجموعة رسائل السماهیجی.

۳- أحمد بن زین الدین الاحسائی:

أحمد بن زین الدین بن إبراهیم بنصقر بن إبراهیم بن داغر بن رمضان بن راشد بن دهیم بن شمروخ آلصقر القرشی الاحسائی.

ولد فی المطیرفی من قری الاحساء فی رجب ۱۱۶۶ ه.

حضـر عنـد کبار الطائفة فی الاحساء وکربلاء والنجف، منهم، الوحید البهبهانی، والسـید علی الطباطبائیصاحب الریاض، والشـیخ جعفر کاشف الغطاء، والسید مهدی بحر العلوم.

نزل مدینة یزد أثناء زیارته للإمام الرضا علیه السلام، فسمع بذلک السلطان فتح علی شاه القاجاری فکتب إلیه یدعوه إلی طهران، فحلّ دار السلطان، وهناک سأله الشاه مجموعة من الأسئلة طُبعت ضمن جوامع الکلم وسنقف علیها.

استوطن (کرمانشاه) نزولًا عند طلب محمّد علی میرزا بن السلطان فتح علی شاه الوالی من قبل أبیه علی المدینة.

للوقوف علی مؤلفـاته المطبوع منهـا والمخطوط، راجع الاحصـاء الـذی أجرینـاه فی «احصـاء مخطوطـات علمـاء الاحساء والقطیف فی مکتبات ایران لمصنفات أحمد بن زین الدین.

توفی فی هدیة قرب المدینة المنورة فی ۲۲ ذو القعدة ۱۲۴۱ عن عمر ناهز ۷۵ عاماً أثناء سفره إلی الحج ودُفن بالبقیع.

ص: ۲۷۹

راجع: أدب الطف ۶/ ۳۶۷، الاعلام للزرکلی ۱/ ۱۲۴، الاعیان ۲/ ۵۸۹، أنوار البدرین/ ۴۰۶، دائرة المعارف الشیعیة ۳/ ۹۸، الروضات ۱/ ۹۷ مؤلفین کتب چابی ۱/ ۳۵۴، معجم المؤلفین ۱/ ۲۲۸، معجم المطبوعات/ ۲۶۸. أعلام هجر ۱/ ۱۱۲.

احرام أهل المدینة:

ضمن أجوبة مسائل الشیخ أحمد بنصالح بن طوق (الثالثة)، حول النیة، وکفایة الشاهد والیمین أو البینة فی اثبات الدعوی علی المیت.

مخطوطة فی المکتبة الوطنیة (ملّی)، برقم ۳۹/ ۷۵۵، ذکرشافی فهرسها ۸/ ۲۴۶.

الزاد والراحلة:

ضمن أجوبة مسائل الملا محمد الدامغانی، حول بسیط الحقیقة کل الاشیاء، وتفسیر «إنا للّٰهوإنا الیه راجعون» و «تفسیر الی اللّٰه تصیر الأمور».

مخطوطة فی ملک طهران، برقم ۹/ ۶۳۳/ ۹۶، راجع فهرسها ۵/ ۱۲۰ بعنوان «أجوبة المسائل».

۴- أحمد بنصالح بن سالم بن طوق القطیفی:

عالم فقیه مرجع فی (الفتیا) ببلاد القطیف.

معاصر للشیخ أحمد بن زین الدین الاحسائی، وله عنه مسائل ذکرناها فی إحصاء مخطوطات علماء الاحساء والقطیف فی مکتبات ایران: ضمن مؤلفات أحمد بن زین الدین، وطبع بعضها ضمن جوامع الکلم للشیخ أحمد.

من مؤلفاته التی تربو علی الأربعین: نزهة الألباب، نعمة المنان فی إثبات وجودصاحب الزمان، جامعة الشتات، شرح حدیث مَن عرف نفسه، الفرائض

ص: ۲۸۰

والمواریث، رسالة فی الأصول الخمسة، المسائل العویصة التی أرسلها للشیخ أحمد بن زین الدین.

انظر أعیان الشیعة ۲/ ۶۰۷، الذریعة ۲۳/ ۲۵۴.

أحکام العمرة:

فی أحکام العمرة والمسائل المرتبطة بها بطریقة استدلالیة مختصرة، مرتبة علی مقدمة وعدّة فصول، المقدمة فی وجوب العمرة فی العمر مرة، والفصل الأول فی مواقیت العمرة، والفصل الثانی فی الطواف.

مخطوطة فی المرعشیة، برقم ۱۷/ ۲۳۵۸، بخط زرع بن محمد علی الخطی، النسخة غیر تامة.

أولها: ولاحول ولا قوة إلّاباللّه ... وبعد فهذهِ نبذة یسیرة فی أحکام العمرة کتبتها امتثالًا لقوله تعالی ...».

آخرها: وهو أوضح إشکالًا وضعفاً کما لا یخفی واللّه العالم ...

ضمن مجموعة تحتوی علی (۱۷ رسالة) کلها لابن طوق. علیها حاشیة تصحیحیة بخط المؤلف.

مناسک الحج:

فرغ منه فی ۸ ربیع الثانی ۱۲۳۸. وفیه حج القران والإفراد.

قال فی الذریعة ۲۲/ ۲۵۴: رأیت المناسک فی کتب الشیخ حسین القدیحی.

۵- الحسن بن حسین بن محمد بن أحمد البحرانی:

من أهل أوائل المائة الثالثة عشرة.

کان له من الأخوة خمسة کلُّهم من العلماء والفضلاء، هو أشهرهم.

ص: ۲۸۱

انتقل من البحرین بعد وفاة والده سنة ۱۲۱۶ الی بوشهر وصار إماماً للجمعة والجماعة والقضاء الی أن توفی ودفن فی بیته، وقبره مزار معروف.

من مصنفاته رسالة عملیة فی الطهارة والصلاة، شرح منظومة والده فی الأصول الخمسة المسماة بشارحة الصدور ودافعة المحذور، رسالة الصوم.

مناسک الحج:

ذکره فی أنوار البدرین: ۵۷، والأعیان ۵/ ۵۷، والذریعة ۲۲/ ۲۵۹.

۶- حسین بن محمد بن أحمد بن إبراهیم الدرازی البحرانی:

والد الحسن المتقدّم، له ستة من الاولاد کلهم من العلماء.

ابن أخ المحدّث البحرانی وأحد المجازین منه فی اللؤلؤة.

توفی فی شوال بشاخور سنة ۱۲۱۶.

انظر: الأعیان ۵/ ۵۷، الذریعة ۲۲/ ۲۵۹.

مناسک الحجّ الکبیر:

ذکره فی الذریعة ۲۲/ ۲۶۱. طبع فی بمبی.

مناسک الحجّ المتوسط:

ذکره فی الذریعة ۲۲/ ۲۶۱.

مناسک الحجّ الصغیر:

ذکره فی الذریعة ۲۲/ ۲۶۱.

۷- حسین بن محمد بن عبد الصمد البحرانی:

مناسک الحج:

ذکره فی الذریعة ۲۲/ ۲۶۱.

ص: ۲۸۲

۸- حسین بن مفلح بن الحسن الصیمری البحرانی:

قال الشیخ سلیمان بن عبداللّه فی رسالة علماء البحرین:

کان کثیر العبادات والصدقات، وقلّ إن یمضی علیه عام فی غیر حجّ أو زیارة.

اجتمع فی بعض أسفاره مع المحقق الکرکی فاستجازه فأجازه.

توفی سنة ۹۳۳ وقبره مع أبیه فی سلماباد بالبحرین.

له کتاب «محاسن الکلمات فی معرفة النیات» ذکر فیه کثیراً من فتاوی والده فی کتابیه وشرح الموجز، وشرح الشرائع، وله أجوبة المسائل.

انظر: أنوار البدرین: ۷۶.

مناسک الحجّ:

ذکره فی الذریعة ۳۳/ ۲۶۲.

مناسک الحجّ:

وهو غیر المناسک المتقدّم، الذریعة ۲۲/ ۲۶۲.

۹- سلیمان بن أحمد بن الحسین آل عبد الجبار القطیفی:

نشأ فی القطیف وسکن فی مسقط.

له مؤلفات کثیرة منها النجوم الزاهرة فی أحکام العترة الطاهرة (مجلد فی الفتوی ویشیر أحیاناً إلی الدلیل)، شرح المفاتیح فی الطهارة والصلاة، الأنوار المشرقیة فی شرح اللمعة الدمشقیة، شرح الباب الحادی عشر فی المعارف الخمسة (مبسوط ویسمی إرشاد البشر فی شرح الباب الحادی عشر)، وشروح علی‌الفصول النصیریة والشمسیة وتهذیب المنطق للتفتازانی، ورسائل فی‌الفلسفة والکلام، وأجوبة مسائل، للوقوف علی کلّ ذلک انظر: أنوار البدرین: ۳۲۵.

ص: ۲۸۳

توفی سنهٔ ۱۲۶۶ ه.

الدرهٔ فی أحکام الحجّ والعمدهٔ:

ذکره فی الذریعهٔ ۸/ ۸۹.

مناسک الحجّ:

قال فی أنوار البدرین/ ۳۲۵: مبسوط جید جداً.

مناسک الحجّ (الصغیر):

قال فی الذریعهٔ ۲۲/ ۲۶۴: وهو غیر الدرهٔ فی أحکام الحج والعمرهٔ علی ما هو مذکور مع سائر تصانیفه علی ظهر کتابه الرد علی النصاری.

وذکره فی أنوار البدرین أیضاً:ص ۳۲۵.

نیات مناسک الحجّ:

ذکره فی أنوار البدرین: ۳۲۵.

۱۰- سلیمان بن سلیمان بن أحمد بن الحسین القطیفی:

یسمی سلیمان الصغیر بن سلیمان الکبیر المتقدّم.

سکن بعد وفاهٔ والده «میناب» أو «مینا» من بلاد ایران.

له شرح لأبیات عمّه الشیخ علی من منظومته فی التوحید والرد علی الشیخیهٔ.

وله أجوبهٔ مسائل الشیخصالح.

انظر:

أنوار البدرین: ۳۲۶، الکرام البررهٔ ۲/ ۶۱۰.

مناسک الحجّ:

ذکره فی أنوار البدرین، والکرام البررهٔ (المصادر المتقدمهٔ).

ص: ۲۸۴

۱۱- سلیمان بن عبداللَّه بن علی بن الحسن بن أحمد السراوی الماحوزی:

ولد سنة ۱۰۷۵ ه.

تلمیذ الشیخ عبداللَّه السماهیجی.

له البلغة والمعراج ومنسکان للحجّ یأتی ذکرهما.

توفی ۱۱۲۱ ه.

مناسک الحجّ:

ذکره تلمیذه الشیخ عبداللَّه السماهیجی فی إجازته الکبیرة للشیخ ناصر البحرانی.

صنف المناسک للسید أحمد بن عبد الرؤوف الجدحفصی البحرانی. نسبة إلی جد حفص من قری البحرین.

انظر: الذریعة ۲۲/ ۲۶۴، الأعیان ۷/ ۳۰۴.

مناسک الحجّ الثانیة:

مقصوراً فیه علی المسائل الخلافیة فیها، ذکره فی إجازةصدرت منهُ بخطه فی سنة ۱۱۱۱ لتلمیذه محمد رفیع البیرمی اللاری.

أولهُ: الحمد للَّهوکفی ... وضعتها فی المسائل الخلافیة التی تعم بها البلوی فی مناسک الحجّ. تاریخ کتابة النسخة سنة ۱۱۱۱ ه.

۱۲- عبداللَّه بن أبی القاسم بن علی البلادی البحرانی الغریفی:

ولد سنة ۱۲۹۱ ه.

أخذ الفقه والأصول عنصاحب الکفایة.

له تألیف کثیر فی العلوم المختلفة تبلغ الأربعین: منها: طرق الوعظ، زلال العین، الکشکول، الردود الستة علی ابن تیمیة فی الإمامة، رحلة الحرمین.

ص: ۲۸۵

وغيرها تقف عليها عند مراجعة الأعيان ۸/ ۴۹.

توفی سنة ۱۳۷۲ ه

رحلة الحرمين فی مناسك الحجّ:

ذكر فی الأعيان ۸/ ۴۹، وقال فی الذريعة ۱۰/ ۱۶۸: أنه فارسی.

مناسك الحجّ:

ذكره فی الذريعة ۲۲/ ۲۶۶.

ويحتمل اتحاده مع رحلة الحرمين.

۱۳- عبداللّه بنصالح البلادی البحرانی:

مناسك الحجّ:

صنفهُ بطلب السيد أحمد بن عبد الرؤوف الجدحفصی البحرانی.

ذكره فی الأعيان ۲/ ۶۲۴.

۱۴- عدنان بن شبر بن علی مشعل بن محمد الغياث الغريفی:

ولد فی البصرة سنة ۱۲۸۳ ه.

انتقل الی خرمشهر مع والدته بعد وفاة والده وله من العمر خمس سنين.

هاجر الی النجف سنة ۱۲۹۷ ه وكان عمره أربعة عشرة سنة.

سنة ۱۳۱۱ ه عاد الی خرمشهر بأمر المجدد الشيرازی وإيعاز من شيخه محمد طه نجف للقيام بوظائفه الشرعية.

جاء العراق للتداوی فتوفی فی الكاظمية سنة ۱۳۴۰ ه، وانتقل جثمانه إلى النجف ودفن فی الصحن الشريف.

ص: ۲۸۶

من آثاره: قبسة العجلان فيصلاة الإيمان (طبع بأصفهان ۱۳۱۷ ه)، أنساب العرب، ميزان المقادير، كتاب فى الجفر، حاشية العروة الوثقى. ديوان شعر (جمعه الدكتور حسين على محفوظ).

مناسک الحجّ:

ذكره فى نقباء البشر ۳/ ۱۲۶۲.

منظومة فى الحجّ وأسراره:

تقرب من ألف بيت.

۱۵- على بن إبراهيم بن على بن إبراهيم بن أبى شبانة البحرانى:

والدصاحب تتمة الأمل، ومن أجداد السيد ناصر بن عبد الصمد، ساكن البصرة ورئيسها المتوفى فى رجب ۱۳۳۱ ه.

تلميذ الشيخ سلمان الماحوزيصاحب البلغة المتقدّم، والجامع لديوانه.

من الأدباء اللامعين، قد أكثر الشعر والنثر إلّاأنه ضاع إثر حوادث أوال، ونقل بعضاً من شعرهصاحب أنوار البدرين: ۹۸.

مناسک الحجّ:

مبسوط، حكاه محمدصالح البحرانيصاحب الدرة الثمينة، وقال فى أنوار البدرين: إن النسخة عنده ومعها مزار كبير للنبىّ وأئمة البقيع.

۱۶- على بن جعفر بن على بن سليمان القدمى البحرانى:

ذكره السيد عبد الدين نور الدين بن نعمة اللَّه الجزائرى فى إجازته الكبيرة ووصفه بالفاضل المحقق، وذكره أيضاً السيد الأمينى فى الأعيان ۸/ ۱۸۱.

توفى سنة ۱۱۳۱.

ص: ٢٨٧

مناسک الحجّ:

ذکره الشیخ عبد اللَّه السماهیجی فی إجازهٔ للشیخ ناصر الجارودی.

انظر الذریعهٔ ٢٢/ ٢٦٨.

١٧- علی بن جعفر بن علی بن الحسین بن علی:

مناسک الحجّ:

ذکره فی الذریعهٔ ٢٢/ ٢٦٨.

١٨- علی بن الحسن بن علی بن حسن الخنیزی:

ولد فی القطیف سنهٔ ١٢٨۵ ه.

انتقل الی النجف الاشرف لإکمال درسه العالی سنهٔ ١٣٠٨.

درس عند محمد طه نجف والشیخ محمود ذهب، والسید کاظم الیزدی، والشیخ فتح اللَّه شیخ الشریعهٔ.

سنهٔ ١٣٢٣ عهدت الیه الحکومهٔ العثمانیهٔ أمر القضاء والفتیا فی القطیف، وأقره الملک عبد العزیز بن سعود علی منصبه، وبقی فیه الی حین وفاته.

توفی سنهٔ ١٣۶٢ ه.

من آثاره: أسفار الناظرین فی شرح تبصرهٔ المتعلمین، شرح نجاهٔ العباد للشیخ الجواهری، رسالهٔ عملیهٔ وهی فی الشکوک خاصهٔ.

تبصرهٔ الناسک فی أعمال المناسک:

قال فی الأعیان: وهو الکتاب الوحید الذی أتمه، ویعتبر هذا المنسک.

مبسوطاً بالقیاس الی غیره من المناسک.

انظر الأعیان ٨/ ٢٩٩.

ص: ۲۸۸

۱۹- علی بن سلیمان بن درویش بن حاتم القدمی:

محدث، فقیه، أصولی: نشر علم الحدیث فی بلاد البحرین.

من تصانیفه: رسالۀ فی الصلاۀ، رسالۀ فی جواز التقلید، حاشیۀ علی المختصر النافع.

توفی سنۀ ۱۰۶۴ ه.

انظر: معجم المؤلفین ۷/ ۱۰۳.

مناسک الحجّ:

قال فی رسالۀ علماء البحرین: إن منسکه مع أکثر تصانیفه موجودۀ عندی.

انظر الذریعۀ ۲۲/ ۲۶۹.

۲۰- محمد بن الحسن المکنی بأبی مجلی القطیفی:

تلمیذ المحدث الشیخ یوسف البحرانی.

مناسک الحجّ:

فی بیان الأماکن الشریفۀ وتحدیدها وعلائمها وأعمالها.

ذکره الشیخ محمدصالح البحرانی آل طعان.

انظر الذریعۀ ۲۲/ ۲۷۲.

۲۱- محمد بن الحسین أبو خمسین الاحسائی:

ولد فی حدود ۱۲۲۶ ه

له شرح علی إرشاد العلّامۀ مبسوط، وشرح علی تبصرۀ العلّامۀ، رسالۀ عملیۀ کبری أسماها منار العارفین، ورسالۀ عملیۀصغری أسماها مصباح العابدین.

ص: ۲۸۹

توفی فی ذی القعدة سنة ۱۳۱۶ عن عمر ناهز التسعین عاماً.

مناسک الحجّ:

ذکره السید ناصر بن هاشم الاحسائی.

انظر أنوار البدرین: ۴۱۴، الذریعة ۲۲/ ۲۷۲.

۲۲- محمد بن علی بن إبراهیم بن أبی جمهور الاحسائی:

متکلم، فقیه، محدث، عارف.

ولد فی الاحساء فی حدود سنة ۸۴۰ ه.

انتقل إلی النجف الأشرف لإکمال دراسته العالیة عند کبار الأساتذة منهم الشیخ عبدالکریم الفتال.

نزل کرک نوح، سنة ۸۷۷ ه والتقی فیها بالشیخ علی بن هلال الجزائری وأقام عنده مستفیداً من علومه.

مؤلفاته کثیرة أحصیناها فی «إحصاء مخطوطات علماء الاحساء والقطیف فی مکتبات ایران» أشهرها مجلی مرأة المنجی (قید التحقیق)، غوالی اللئالی العزیزیة (طبع بتحقیق مجتبی العراقی). درر اللئالی العمادیة (قید التحقیق)، زاد المسافرین (طبع بتحقیقنا)، کاشفة الحال عن أحوال الاستدلال (طبع بتحقیقنا)، وشرحان علی الباب الحادی عشر.

توفی فی حوالی العشر الأولی من القرن العاشر الهجری.

انظر: الفوائد الرضویة: ۳۸۲، روضات الجنات ۷/ ۳۲، مستدرک أعیان الشیعة ۲/ ۲۸۲.

أسرار الحجّ:

فی بیان أسرار ولطائف الحجّ فی جانبه الفلسفی والأخلاقی مع الاستدلال

ص: ۲۹۰

علی ذلک من طرق العامة والخاصة. فرغ منه سنة ۹۰۱ ه.

طبع علی الحجر فی طهران سنة ۱۳۲۴ ه ضمن کتاب المجلی.

وطبع ثانیة فی طهران أیضاً سنة ۱۳۲۹ علی الحجر أیضاً، باهتمام الشیخ أحمد الشیرازی مع المجلی أیضاً.

انظر: فهرست کتابهای چابی عربی: ۵۱، الذریعة ۲/ ۴۳.

انتهینا تواً من تحقیقه.

۲۳- محمد بن محسن الموسوی البوشهری البحرانی:

المتوفی سنة ۱۳۵۵.

مناسک الحجّ:

فرغ من کتابته سنة ۱۳۲۴ ه.

قال فی الذریعة ۲۲/ ۲۷۳: النسخة موجودة عند ولده السید محمد طاهر.

۲ ۴- محمدصالح بن أحمد بنصالح آل طعان القطیفی:

ابن اعلا الملا طعان القطیفی المعروف بتقواه ببلاد القطیف.

قال فی أنوار البدرین: ۲۶۹، کان کأبیه فی التقوی والکرم.

له مصنفات کثیرة منها: شرح منظومة والده فی الشکوک والسهو، کتاب فی الفقه، منظومة فی الأصول الخمسة، ذرائع الآمال فیما یخصّ السنة من الأعمال، وله شعر فی المراثی.

توفی فی شعبان ۱۳۳۳ ه فی کربلاء ودفن فی الصحن الشریف.

أعمال مکة والمدینة:

ذکره فی أنوار البدرین: ۲۶۹.

ص: ۲۹۱

مناسک الحجّ الأولی:

فی مجرد الأعمال والأدعیۀ فی عرفۀ والغدیر وزیارۀ المدینۀ.

أوله «اللهم أرنا مناسکنا ... انظر الذریعۀ ۲۲/ ۲۶۵.

مناسک الحجّ الثانیۀ:

ذکره فی الذریعۀ ۲۲/ ۲۶۵.

۲۵- محمد مهدی بن أحمد المقابی البحرانی:

مناسک الحجّ:

فرغ منه سنۀ ۱۲۱۰.

ذکره فی الذریعۀ ۲۲/ ۲۷۴.

۲۶- یوسف بن أحمد بن إبراهیم الدرازی البحرانی:

ولد سنۀ ۱۱۰۷ فی قریۀ الماحوز من قری البحرین.

تتلمذ عند والده الشیخ أحمد والشیخ سلیمان الماحوزی، ثم علی ید الشیخ حسین الماحوزی.

تنقل بین القطیف والبحرین ثم کرمان وشیراز ومن ثم الی کربلاء حیث أدرکه الأجل.

من آثاره: الحدائق الناضرۀ فی أحکام العترۀ الطاهرۀ، سلاسل الحدید فی تفسیر ابن أبی الحدید، الشهاب الثاقب فی بیان معنی الناصب، الدرۀ النجفیۀ، النفحات الملکوتیۀ فی الرد علی الصوفیۀ، تدارک المدارک، اعلام القاصدین، معراج النبیه، لؤلؤۀ البحرین، وغیر ذلک من المصنفات، وقف علیهاصاحب أنوار البدرین: ۱۹۸.

ص: ۲۹۲

توفی فی ربیع الأول ۱۱۸۶.

مناسک الحجّ:

ذکره فی الذریعة ۲۲/ ۲۷۵، أنوار البدرین: ۱۹۸، لؤلؤة البحرین: ۴۴۷.

المصادر:

۱- ادب الطف، جواد شبر، دار المرتضی بیروت- ۱۹۸۸ م.

۲- الاعلام، خیر الدین الزرکلی. دار العلم للملایین. بیروت ط ۸، ۱۹۸۹ م.

۳- اعلام هجر، هاشم محمد الشخص، مؤسسة البلاغ بیروت.

۴- أعیان الشیعة، محسن الأمین، تحقیق حسن الأمین، بیروت ۱۹۸۶ م.

۵- أنوار البدرین، علی بن الحسن البلادی، نشر مکتبة السید المرعشی، قم- ۱۴۰۷ ه.

۶- ترجمة آل عرفات، عبد الغنی آل عرفات. مخطوط.

۷- دائرة المعارف الشیعیة، حسن الأمین، دار التعارف بیروت ط ۳، ۱۹۸۱ م.

۸- الذریعة الی تصانیف الشیعة. آقا بزرک الطهرانی، دار الأضواء ط ۲، نشر علی نقی المتروی ۱۹۷۸ م

۹- روضات الجنات. محمد باقر الخوانساری، الدار الإسلامیة بیروت ط ۱، ۱۹۹۱ م.

۱۰- طبقات أعلام الشیعة، اقا بزرگ الطهرانی، تعلیق عبد العزیز الطباطبائی ط ۲ مشهد ۱۴۰۴ ه.

۱۱- فهرست آل بابویة وعلماءالبحرین، سلیمان الماحوزی البحرانی، اعداد احمد الحسینی، نشر مکتبة المرعشی- ۱۴۰۴ ه

۱۲- فهرس مجلس الشوری، بهاء الدین انواری- محمد تقی دانش پژوه، نشر چاپخانهٔ مجلس شوری، طهران- ۱۳۵۹ ه. ش

۱۳- فهرس المرعشی، أحمد الحسینی، نشر مکتبة المرعشی.

۱۴- فهرس المکتبة الوطنیة (ملی)، عبد اللّه انوار، طهران.

۱۵- فهرس ملک طهران، ایرج افشار، محمد تقی دانش بزوه، ومساعدة الحجتی والمنزوی.

۱۶- الفوائد الرضویة، عباس القمی، طبعة خالیة عن المواصفات.

۱۷- مستدرک اعیان الشیعة، حسن الأمینی، دار التعارف للمطبوعات، بیروت- ۱۹۸۷ م

۱۸- معجم المؤلفین، عمر رضا کحالة، نشر مکتبة المثنی، بیروت- دار إحیاء التراث، بیروت.

۱۹- معجم مؤلفین کتب چابی، خانبابا مشار.

ص: ۲۹۳

معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة والمعالم المشرّفة فی الحجاز (۳)

عبد الجبار الرفاعی

تعریف بمصادر دراسة الحج ومکة المکرّمة، والمدینة المنوّرة، والمعالم المشرّفة فی الحجاز، وما یرتبط بذلک. یشتمل علی ما کُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعیة، وبحوث، ومقالات، باللغتین العربیة والفارسیة.

إشارات:

۱- بلغ عدد العناوین ما یقارب (۲۰۰۰) عنوان.

۲- شملت التغطیة الزمانیة ما کُتِب منذ بدایة التدوین عند المسلمین إلی الیوم.

۳- ینشر هذا العمل خلال حلقات فی مجلة «میقات الحج» بناءً علی طلب رئیس تحریر المجلة. وبعد الفراغ من نشره هنا ستقوم معاونیة شؤون التعلیم والبحوث الإسلامیّة فی الحجّ، التابعة لممثلیّة الولیّ الفقیه لشؤون الحجّ والزیارة

ص: ۲۹۴

بنشره مستقلًا إن شاء اللَّه تعالی.

۴- لا تمثل هـذه القائمة استقراءً تاماً لجمیع ما کُتِب فی هذه الموضوعات، لذا یرجو المؤلف من السادة الکُتّاب إعلامه بأعمالهم التی لم تُرصد فی القائمة علی عنوان المجلة، کیما یجری استدراکها حیثما ینشر هذا العمل فی کتاب.

۵- اعتمدت المداخل علی عناوین الکتب والبحوث والمقالات.

۶- رُتبت المداخل تبعاً للترتیب الهجائی التام، واعتبار الوحدة فی الترتیب هی الکلمة، أی علی أساس کلمة کلمة، ثمّ حرف حرف.

المختصرات:

ت: تاریخ الوفاة

ج: الجزء

ح: الحلقة

خ: نسخة مخطوطة

د. ت: بدون تاریخ

د. م: بدونذکرمکان النشر فی المطبوع

د. ن: بدون ذکر الناشر

س: السنة

سم: سنتیمتر

ش: السنة الهجریة الشمسیة

ص: الصفحة

ط: الطبعة

ظ: انظر

ع: العدد

ق ۷ ه: القرن السابع الهجری

م: السنة المیلادیة

مج: مجلد

مط: المطبعة

ه: السنة الهجریة القمریة

*** ۳۷۷- تقریب المرام الی زیارة سیّد الأنام فی الرد علی القول المحقق المحکم

عبد اللَّه القَنْدَهاری

ظ:

الثقافة الإسلامیة فی الهند ۲۴۵،

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت ۱/ ۴۰۷.

۳۷۸- تقریر عن المیاه الجوفیة فی الحرم المکی الشریف

یحیی کوشک وآخرون

جدهٔ: جامعهٔ الملک عبد العزیز، ۱۴۰۰ ه، ۶۲ص.

ص: ۲۹۵

۳۷۹- التکامل الاجتماعی الذی أرساه الرسولصلی الله علیه و آله فی المدینة

نفیسه مصطفی زهرة

بیروت: الجامعة اللبنانیة، کلیة الآداب (رسالة ماجستیر).

۳۸۰- تکوّن الدولة الإسلامیة فی المدینة: البدایة والنموذج

إبراهیم بیضون

العرفان (بیروت) مج ۷۳: ع ۱، ۲ (۶، ۷/ ۱۴۰۵ ه/ ۳، ۴/ ۱۹۸۵ م)ص ۳۰- ۴۶.

۳۸۱- التلبیة

محمد مهدی الآصفی

میقات الحج: ع ۲ (۱۴۱۶ ه)ص ۱۱۷- ۱۳۹.

۳۸۲- تلویح الإشارة فی تلخیص شرح الزیارة

(تلخیص شرح الزیارة للشیخ أحمد الإحسائی)

میر محمد حسین بن میر محمد علی بن محمد حسین الحسینی المرعشی المعروف بالشهرستانی الحائری (ت ۱۳۱۵ ه).

ظ: ریحانة الأدب ۳/ ۲۷۳، الذریعة ۴/ ۴۳۰، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیتصلوات اللَّه علیهم ۹/ ۴۱۴.

۳۸۳- التمتع فی الحج

أبو بکر الجزائری

الجامعة الإسلامیة (المدینة المنورة) س ۱۳: ع ۴۹ (۱- ۳/ ۱۴۰۱ ه)ص ۲۳- ۲۶.

۳۸۴- تمکین المقام فی المسجد الحرام

علی بن الحاج الحنفی الشهیر ب (علی دده) [ت ۱۰۰۷ ه].

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۸۵- تنزیل السکینة علی قنادیل المدینة

تقی الدین علی بن عبد الکافی السبکی (۷۵۶ ه)

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۹.

۳۸۶- تنزیه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام

ابن الضیاء المکی

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۳۸۷- التنظیم الهندسی للدفاع عن المدینة فی غزوة الأحزاب

محمد جمال الدین محفوظ

ص: ۲۹۶

الأزهر س ۶۳: ع ۴ (۱۱/ ۱۹۹۰)ص ۴۱۱- ۴۱۶.

۳۸۸- تنظیمات الرسول الإداریّة فی المدینة

صالح أحمد العلی

بغداد: ۱۹۶۸ م.

۳۸۹- تنظیمات مکة والمدینة عند ظهور الإسلام

صالح أحمد العلی

الاجتهاد (بیروت) س ۲: ع ۷ (ربیع ۱۹۹۰ م/ ۱۴۱۰ ه)ص ۳۱- ۶۷.

۳۹۰- تهنئة أهل الإسلام بتجدید بیت اللَّه الحرام

إبراهیم بن محمد المیمونی

(۹۹۱- ۱۰۷۹ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۹۱- تهییج الغرام علی البلد الحرام

محمد بن یعقوب الفیروز آبادی

(۷۲۹- ۸۱۷ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۹۲- تواریخ المدینة المنورۀومؤرخوها

حمد الجاسر

ظ:

العرب. س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۹.

۳۹۳- تواریخ المدینة المنورة ومؤرخوها

عبید مدنی (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ: موسوعة الأُدباء والکتاب السعودیین ۱۷۱.

۳۹۴- توسعة الحرم النبوی الشریف

هاشم دفتردار وجعفر فقیه

بیروت: مطبعة الانصاف، ۱۹۵۳ م.

۳۹۵- توسعة المسجد الحرام عبر التاریخ

محمد عبد اللَّه ملیباری

المنهل (جدة) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۳۴- ۵۱.

۳۹۶- التوسّل

محمد عبد القیوم القادری الهزاروی

باهتمام: حسین حلمی

استانبول: حسین حلمی، ۱۹۸۴ م.

۳۹۷- التوسل بالأنبیاء والصالحین بندائهم وطلب شفاعتهم

محمد بن دایل (ق ۱۳ ه)

خ: دار البحرین برقم ۹۴، فی ۸ ورقات تاریخها ۱۲۳۷ ه.

۳۹۸- التوسّل بالموتی

ترکیة: ۱۹۷۶ م.

ص: ۲۹۷

۳۹۹- التوسّل بالنبیّ والصالحین وجهلهٔ الوهابیین

أبو حامد بن مرزوق الدمشقی الشامی

استانبول: حسین حلمی، ۱۹۷۵ م، و ۱۹۸۴ م.

۴۰۰- التوسّل والزیارهٔ

محمد الفقی

القاهرهٔ: مصطفی البابی الحلبی.

۴۰۱- توشه خانه خدا

(بالفارسیهٔ)

محمود میر هندی الاصفهانی

اصفهان: انتشارات مشعل، ۱۳۴۵ ش، ۳۱۰ص، ۱۷* ۵/ ۱۱ سم، مصور.

۴۰۲- التوصل بالبدیع الی التوسل بالشفیع

عز الدین علی بن الحسین بن علی بن أبی بکر محمد بن أبی الخیر الموصلی (۷۸۹ ه)

(شرح لبدیعیته فی مدح الرسولصلی الله علیه و آله)

ظ:

ایضاح المکنون ۱/ ۱۷۳،

الغدیر ۶/ ۴۵،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله ۳۴۷،

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت ۱/ ۴۲۵.

۴۰۳- توصیف آثار تاریخی مکّه ومدینه وفلسفه مناسک حج در فتوح الحرمین

(بالفارسیهٔ)

محیی لاری (ق ۱۰ ه)

باهتمام: رسول جعفریان

قم: مکتبهٔ انصاریان، ط ۱، ۱۳۷۳ ش، ۱۱۱ص، ۲۴ سم.

۴۰۴- توصیه‌هایی در رابطه با سفر حج

(بالفارسیهٔ)

(ایران): سهامی انتشار، ۱۳۵۹ ش، ۳۴ص، ۱۷ سم.

۴۰۵- توضیح مناسک الحج

حسن کاظم علوش الحلی

النجف: مط القضاء، ۱۹۷۸ م، ۱۶ص.

۴۰۶- توضیحات مناسک الحج وما یلحقه اعمال المدینهٔ المنورهٔ

محمود الحسینی الشاهرودی

النجف: مط النعمان، ۱۹۷۰ م، ۲۵۶ص.

۴۰۷- توضیح المناسک علی المذاهب الأربعۀ وأدعیۀ الطواف والعمرۀ

أحمد عبد القادر

الریاض: مکتبۀ المعارف ومکتبۀ الشباب، ط ۲، ۱۴۰۰ ه.

۴۰۸- توضیح المناسک کامل حجّ

(بالفارسیۀ)

مهدی ملتجی

طهران: مکتبۀ اشرفی، ۱۳۵۴ ش، ۴۴۶ص.

ص: ۲۹۸

۴۰۹- توضیح المناسک وهدایة النّاسک

(بالفارسیة)

أسد اللّه شریفی

طهران: ط ۱، ۱۳۶۱ ش، ۲۶۹ص، ۲۱ سم.

۴۱۰- توضیح المناسک یا دستور حج

(بالفارسیة)

علی اصغر کرباسچیان

طهران: ۱۳۳۵ ش، ۱۱۸ص، ۱۷ سم.

۴۱۱- توضیح المناسک یا دستور حج

(بالفارسیة)

محمود الشاهرودی

مشهد: انتشارات جعفری، ۱۳۵۱ ش، ۹۶ص، ۱۷ سم.

۴۱۲- التوعیة الشاملة فی الحج

عبد اللّه عبد المطلب بوقس

مکة المکرمة: رابطة العالم الإسلامی، ۱۴۰۱ ه، ۱۱۲ص (مطبوعات رابطة العالم الإسلامی، ۹).

۴۱۳- توقّعات الاقبال علی الحج عام ۱۴۲۰ ه

أحمد حفیظ وآخرون

جدة: جامعة الملک عبد العزیز، ۱۴۰۲ ه، ۱۳ص.

۴۱۴- توقیر المصطفی

عبده غالب أحمد عیسی

بیروت: دار الجیل، ط ۱، ۱۹۸۷، ۷۱ص.

الخرطوم: دار الفکر، ط ۴، ۱۹۸۷ م، ۵۰ص.

۴۱۵- التونسیون فی مکة

(من کتاب الدرالکمین بذیل العقدالثمین)

نجم الدین بن فهد

تحقیق: محمد الزاهی

الحیاةالثقافیة (تونس) س ۷: ع ۲۲، ۲۳ (۹- ۱۰/ ۱۹۸۲ م)ص ۱۸۲- ۱۹۱.

۴۱۶- ثامن شوّال

(بحث فیه عن الحوادث التی وقعت فی ذلک الیوم من سنة ۱۳۴۳ ه من هدم القبور فی البقیع فی المدینة المنورة، والردّ علی فتوی الأبله ابن بلیهد الذی أمر بذلک، وفضائح الوهّابیة).

ظ:

الذریعة ۱۷/ ۲۷۱،

تراثنا: ع ۱۷ (۹- ۱۲/ ۱۴۰۹ ه)ص ۱۵۷.

۴۱۷- ثروات أهل مكة فى عصر الرسالة

هاشم يحيى الملاح، وعبد الواحد الرمضانى

المؤرخ العربى (بغداد) س ۱۶: ع ۴۳ (۱۹۹۰ م)ص ۱۰۱- ۱۱۳.

۴۱۸- ثغرة مهملة فى تاريخ مكة

عبد القدوس الأنصارى

ص: ۲۹۹

المنهل (جدة) مج ۲۴: ج ۱۱ (۱۱/ ۱۳۸۳ ه/ ۳- ۴/ ۱۹۶۴ م)ص ۶۶۱- ۶۶۴.

۴۱۹- ثواب أعمال حج بضمیمه منتخب المناسک مطابق با فتاوای هفت نفر از مراجع (بالفارسیة)

محمود بن مهدی الموسوی الاصفهانی

قم: دار التبلیغ الإسلامی، ط ۱، ۱۳۹۳ ه.

۴۲۰- ثواب الحج

الحسن بن علی الوشاء البجلی الکوفی

ظ:

رجال النجاشی ۳۹، الذریعة ۵/ ۱۸.

۴۲۱- کتاب ثواب الحج

سَلَمة بن الخطاب البراوستانی الأزدورقانی

ظ:

رجال النجاشی ۱۸۷، الفهرست للشیخ الطوسی ۷۹، الذریعة ۶/ ۲۵۱.

۴۲۲- کتاب ثواب الحج

محمد بن إسماعیل بن بزیع

ظ:

رجال النجاشی ۳۳۰.

۴۲۳- ثواب الحج

یونس بن عبد الرحمن

ظ:

رجال النجاشی ۴۴۸، الذریعة ۵/ ۱۸.

۴۲۴- ثواب الحج وأعماله

علی محمد علی دخیل

بیروت: دار المرتضی، ۱۴۰۳ ه، ۱۹۸ص، ۱۷ سم.

۴۲۵- ثواب الحج وأعماله

علی محمد علی دخیل

بیروت: دار المرتضی، ۱۴۰۳ ه، ۱۹۸ص، ۱۷ سم

۴۲۶- جاری‌های حج در گفتگو با ریاست سازمان حج وزیارت (بالفارسیة)

میقات حج س ۲: ع ۵ (پائیز ۱۳۷۲ ش)ص ۲۲۵- ۲۳۲-

۴۲۷- کتاب جامع آداب المسافر للحج

الشیخ الصدوق محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه)

ظ: رجال النجاشی ۳۹۰

۴۲۸- جامع الأدعیة والزیارات

أحمد عارف الزین العاملی،صیدا:

مطبعة العرفان

۴۲۹- کتاب جامع تفسیر المنزل فی الحج

الشیخ الصدوق محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه)

ظ:

رجال النجاشی ۳۸۹

ص: ٣٠٠

۴٣٠- كتاب جامع الحج

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ ه)

ظ:

رجال النجاشى ٣٨٩

۴٣١- جامع الزيارات العباسى

محمد باقر بن محمد السبزوارى (ت ١٠٩٠ ه)

ظ:

الذريعة ۵/ ۵٧، معجم ماكتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ۴٢٢

۴٣٢- كتاب جامع علل الحج

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ ه)

ظ: رجال النجاشى ٣٨٩

۴٣٣- كتاب جامع فرض الحج والعمرة

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ ه)

ظ:

رجال النجاشى ٣٩٠

۴٣۴- كتاب جامع فضل الكعبة والحرم

الشيخ الصدوق محمد بن على بن بابويه القمى (ت ٣٨١ ه)

ظ:

رجال النجاشى ٣٨٩، معجم ماكتب عن الرسول وأهل البيت ١/ ۴٣٣

۴٣۵- كتاب جامع فقه الحج

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ ه)

ظ: رجال النجاشى ٣٩٠

۴٣۶- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

جمال الدين محمد جار اللّه بن محمد نور الدين بن أبى بكر على بن ظهيرة القرشى المخزومى (ت ٩٨۶ ه)

غوتبخن: ١٢٧۴ ه (بعناية: وستنفلد)

القاهرة: مطبعة عيسى الحلبى، ١٣۴٠ ه، ١٣۵٨ ه.

بيروت: ١٩۶۴ م (اوفسيت). ط ٢، ١٣٩٢ ه، ۴١٢ص، ٢١ سم.

بيروت: المكتبة الشعبية، ١٩٧٩ م،ص ٢۵٩.

۴٣٧- جامع المسالك فى أحكام المناسك فى الفقه على المذاهب الأربعة

عبد اللّه التليدى

مكة المكرمة: ط ١، ١٣۴۵ ه

دمشق: دار المعاجم

الرياض: ط ۲، ۱۴۰۹ ه، ۷۸ص ۲۱ سم

۴۳۸- كتاب جامع نوادر الحج

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ۳۸۱ ه)

ص: ۳۰۱

ظ:

رجال النجاشی ۳۹۰

۴۳۹- الجامعة الإسلامیة فی المدینة المنورة

عبد القدوس الأنصاری

المنهل (جدة) مج ۲۱: ج ۵ (۵/ ۱۳۸۰ ه/ ۱۱/ ۱۹۶۰ م)ص ۲۹۳- ۲۹۵.

۴۴۰- الجامعة الإسلامیة فی المدینة المنورة

حسن بن حمود بشیر

المنهل (جدة) مج ۳۴: ح ۱۲ (۱۲/ ۱۳۹۳ ه/ ۱/ ۱۹۷۴ م)ص ۹۷۲- ۹۹۵

۴۴۱- جامه خراسانی برقامت کعبه

(بالفارسیه)

آصف فکرت

میقات‌حج س ۲: ع ۵ (پاییز ۱۳۷۲ ش)ص ۱۲۵- ۱۴۷

۴۴۲- الجانب الأخلاقی فی الحج

إبراهیم عبد السلام ناصف

المجاهد (القاهرة) س ۹: ع ۹۲

۴۴۳- جایگاه حج در اندیشه اسلامی

(بالفارسیة)

علی قاضی عسکر

میقات‌حج س ۱: ع ۱ (پاییز ۱۳۷۱ ش)ص ۱۲۸- ۱۱۷

۴۴۴- جایگاه حج در فرهنگ ارتباطات

(بالفارسیة)

رضا هاشمی

میقات‌حج س ۲: ع ۸ (تابستان ۱۳۷۳ ش)،ص ۱۸۶- ۲۰۵

ع ۱۴ (زمستان ۱۳۷۴ ش)ص ۱۸۶- ۱۹۶

۴۴۵- جبال الحجاز

رشدی الصالح ملحس

المنهل (جدة) مج ۷: ج ۹ (۹/ ۱۳۶۶ ه/ ۷/ ۱۹۴۷ م)ص ۳۹۷- ۴۰۱

ج ۱۱- ۱۲ (۱۱- ۱۲/ ۱۳۶۶ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۴۷ م)ص ۴۹۹- ۵۰۲

۴۴۶- جبل ثور بالمدینة

محمد فؤاد لبانی

المنهل (جدة) مج ۱۶: ج ۲ (۳/ ۱۳۷۵ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۵۵ م)ص ۵۴- ۵۷

۴۴۷- جدال در حج

(بالفارسیة)

علی حجتی کرمانی

میقات حج. س ۴: ع ۱۱ (بهار ۱۳۷۴ ش)ص ۷۵- ۸۴

۴۴۸- جداول أمراء مکة وحکامها

مساعد بن منصور آل عبداللّه بن سرور

[د. م]: مطبعة النهضة الحدیثة، ۱۳۸۸ ه، ۵۱ص

ص: ۳۰۲

۴۴۹- جدهٔ بین ماضیها وحاضرها

رزق الطویل

المنهل (جدهٔ) مج ۲۰: ج ۱۰ (۱۲/ ۱۳۷۹ ه/ ۵- ۶/ ۱۹۶۰ م)ص ۶۷۱- ۶۷۶

۴۵۰- جدهٔ عبر التاریخ

عبد القدوس الانصاری

المنهل (جدهٔ) مج ۲۲: ج ۸ (۸/ ۱۳۸۱ ه/ ۱/ ۱۹۶۲ م)ص ۵۱۰- ۵۱۷

ج ۹ (۹/ ۱۳۸۱ ه/ ۲/ ۱۹۶۲ م)ص ۵۹۵- ۶۰۴

۴۵۱- جدّهٔ فی مطلع القرن العاشر الهجری «السادس عشر المیلادی»

نوال سراج ششه

مکهٔ المکرمهٔ: مکتبهٔ الطالب الجامعی، ط ۱، ۱۴۰۶ ه، ۱۶۳ص، ۲۴ سم

۴۵۲- جـذب القلوب إلی دیار المحبوب (فی تاریخ المدینهٔ المنورهٔ وفضل زیارهٔ النبی الأکرمصـلی الله علیه و آله و سـلم وأئمهٔ البقیع علیهم السلام)

(ترجمهٔ خلاصهٔ الوفاء بالفارسیهٔ)

عبد الحق بن سیف الدین الدهلوی (ت ۱۰۵۲ ه)

خ: مکتبهٔ المرعشی فی قم برقم ۴۱۳۷ فی ۲۲۸ ورقهٔ

ظ: فهرسها ۱۱/ ۱۵۶، منزوی ۱۰/ ۱۷، فهرستوراه منزوی ۱/ ۱۹۱

۴۵۳- جُرعهای از بیکران زمزم

(بحث حول أسرار الحج، بالفارسیهٔ)

عبداللَّه جوادی آملی

ترجمهٔ وتحقیق: علی حجتی کرمانی

[طهران]: معاونیهٔ التعلیم فی بعثهٔ الولی الفقیه لشؤون الحج والزیارهٔ، ط ۱، ۱۳۷۱ ش، ۱۷۷ص

۴۵۴- الجزء الخاص بالمدینهٔ المنورهٔ من رحلهٔ ابی سالم العیاشی

تحقیق ودراسهٔ: محمد امحزون

الریاض: جامعهٔ الملک سعود، کلیهٔ الآداب (رسالهٔ ماجستیر مسجلهٔ بإشراف: عبداللَّه العثیمین)

ظ: نشرهٔ أخبار التراث العربی ع ۲۱ (۹- ۱۰/ ۱۹۸۵ م)ص ۲۲

۴۵۵- جزازات من تاریخ مکهٔ المکرمهٔ

محمد بن عبداللَّه آل زلفهٔ

المنهل (جدهٔ) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۱۰۶- ۱۲۳

۴۵۶- الجزیرهٔ العربیهٔ فی أخبار المؤلفین الصینیین

نقولا زیادهٔ

دراسات تاریخ الجزیرهٔ العربیهٔ (الریاض) ج ۱ (۱۹۷۹ م)ص ۲۹- ۴۰

المؤرخ العربی (بغداد) ع ۶:ص ۱۲۷- ۱۴۳

ص: ۳۰۳

۴۵۷- الجزیرة العربیة فی الجغرافیات والرحلات المغربیة وما إلیها

محمد المنونی

مجلد المجمع العلمی العراقی مج ۲۹ (۱۹۷۸ م)ص ۱۵۰- ۱۸۷

مصادرتاریخ الجزیرة العربیة (الریاض) ج ۲ (۱۹۷۹ م)ص ۲۹۹- ۳۲۶

۴۵۸- الجزیرة العربیة فی رحلتی ابن جبیر والعبدری

عبد القدوس الانصاری

العرب س ۱۱: ج ۱۱، ۱۲ (۵- ۶/ ۱۹۷۷ م)ص ۸۰۶- ۸۱۶

مصادر تاریخ الجزیرة العربیة ج ۲ (۱۹۷۹ م)ص ۳۲۷- ۳۳۴

۴۵۹- الجزیرة العربیة فی کتب الرحالة الغربیین

عبد الشافی غنیم عبد القادر

مصادر تاریخ الجزیرة العربیة ج ۲ (۱۹۷۹ م)ص ۴۲۱- ۴۳۶

۴۶۰- الجزیرة العربیة فی کتب السّـِیر والتراجم، مع دراسة تحلیلیة لکتاب «الطبقات الکبری» لابن سعد، وأهمیته مصدراً لتاریخ الجزیرة العربیة

إبراهیم علی طرخان

فی: الندوة العالمیة الأولی لدراسات تاریخ الجزیرة العربیة (الریاض:

۵/ ۱۳۹۷ ه/ ۴/ ۱۹۷۷ م)

دراسات تاریخ الجزیرة العربیة ج ۱ (۱۹۷۹ م)ص ۱۴۳- ۱۸۱

۴۶۱- الجزیرة العربیة فی المصادر الکلاسیکیة

لطفی عبد الوهاب یحیی

دراسات تاریخ الجزیرة العربیة ج ۱ (۱۹۷۹ م)ص ۵۵- ۷۱

۴۶۲- الجزیرة العربیة قبل ظهور الإسلام

أحمد أبو الفضل عوض اللَّه

الدارة س ۱: ع ۴ (دیسمبر ۱۹۷۵ م)ص ۱۳۲- ۱۴۹

۴۶۳- الجزیرة العربیة وماضیها التاریخی العربی والإسلامی والإنسانی

عبد السلام هاشم حافظ

الدارة س ۸: ع ۲ (اکتوبر ۱۹۸۲ م)ص ۶۲- ۶۶

۴۶۴- الجزیرة والتاریخ الإسلامی (حول عصرصدر الإسلام)

إبراهیم عبد القادر المازنی

الرسالة (القاهرة) س ۵: ع ۱۹۶ (ابریل ۱۹۳۷ م)ص ۵۳۵- ۵۳۷

۴۶۵- جسر الإسلام فی شعیرة الحج

الهدایة (البحرین) س ۱۲: ع ۱۴۱ (۰۶/ ۱۹۸۹ م)ص ۴۳- ۴۵

ص: ۳۰۴

۴۶۶- جغرافیة الإسلام التاریخیة فی عصر النبوة: دراسة جیوبولتیکیة

إسماعیل سرور شلش

قضایا عربیة (بیروت) س ۱۰: ع ۲ (۳/ ۳/ ۱۹۸۳ م)ص ۵۵- ۹۹

۴۶۷- جغرافیة مکة المکرمة

مصطفی عطار

المنهل (جدة) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۶- ۱۱

۴۶۸- جلاء الأفهام فی فضل الصلاة والسلام علی محمد خیر الأنام

ابن قیم الجوزیة

تحقیق: شعیب الارناؤوط، عبد القادر الارناؤوط

الکویت: دار العربیة، ۱۹۸۷ م، ۴۹۲ص

۴۶۹- جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام

(التوسل بجاه خیر الأنام)

مختار بک بن أحمد مؤید باشا العظمی (ت ۱۳۴۰ ه)

دمشق: ۱۳۳۰ ه، ۹۹، و ۱۵ص

ظ:

معجم المطبوعات لسرکیس ۱۷۱۵

۴۷۰- جلوه هایی از سیمای محمدصلی الله علیه و آله و سلم «مناسک فکری حج» (بالفارسیة)

علی شریعتی

طهران: وزارة ارشاد ملی، ط ۱، ۱۳۵۹ ش

۴۷۱- جمرات کُجاست؟

(بالفارسیة)

مهدی پیشوای، حسین گودرزی

میقات حج س ۳: ع ۹ (پاییز ۱۳۷۳ ش،ص ۱۶- ۶)

۴۷۲- جمع الأحادیث الواردة فی زیارة قبر النبی (ص)

صلاح الدین خلیل بن الأمیر کیکلدی ابن عبد اللَّه العلائی الشافعی الدمشقی (۶۹۴- ۷۶۱ ه)

ظ:

فهرس الفهارس والاثبات ۷۹۱، معجم ماکتب عن الرسول وأهل البیت ۱/ ۴۴۱

۴۷۳- جمعه خونین مکه به روایت شاعران امروز

(بالفارسیة)

محمود شاهرخی، وعباس مشفق کاشانی، ومحمد رضا عبد الملکیان

(د. م): انتشارات سروش، ط ۱، ۱۳۶۸ ش، ۴۴۰ص، ۲۱ سم

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحَار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقَافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١۴٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨۶٠١۵٢٠٢۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢۵-٢٣۵٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣۵٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التِّجاريّة و المَبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠۴۵(٠٣١١)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.



مرکز القائمیة اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹